الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس علم الأسلوب

مستوى السنة الثالثة ليسانس
شعبة الدراسات اللغوية
تخصص اللسانيات التطبيقية

إعداد: د/ العبادي عبد الحق

السنة الجامعية: 2021 / 2022

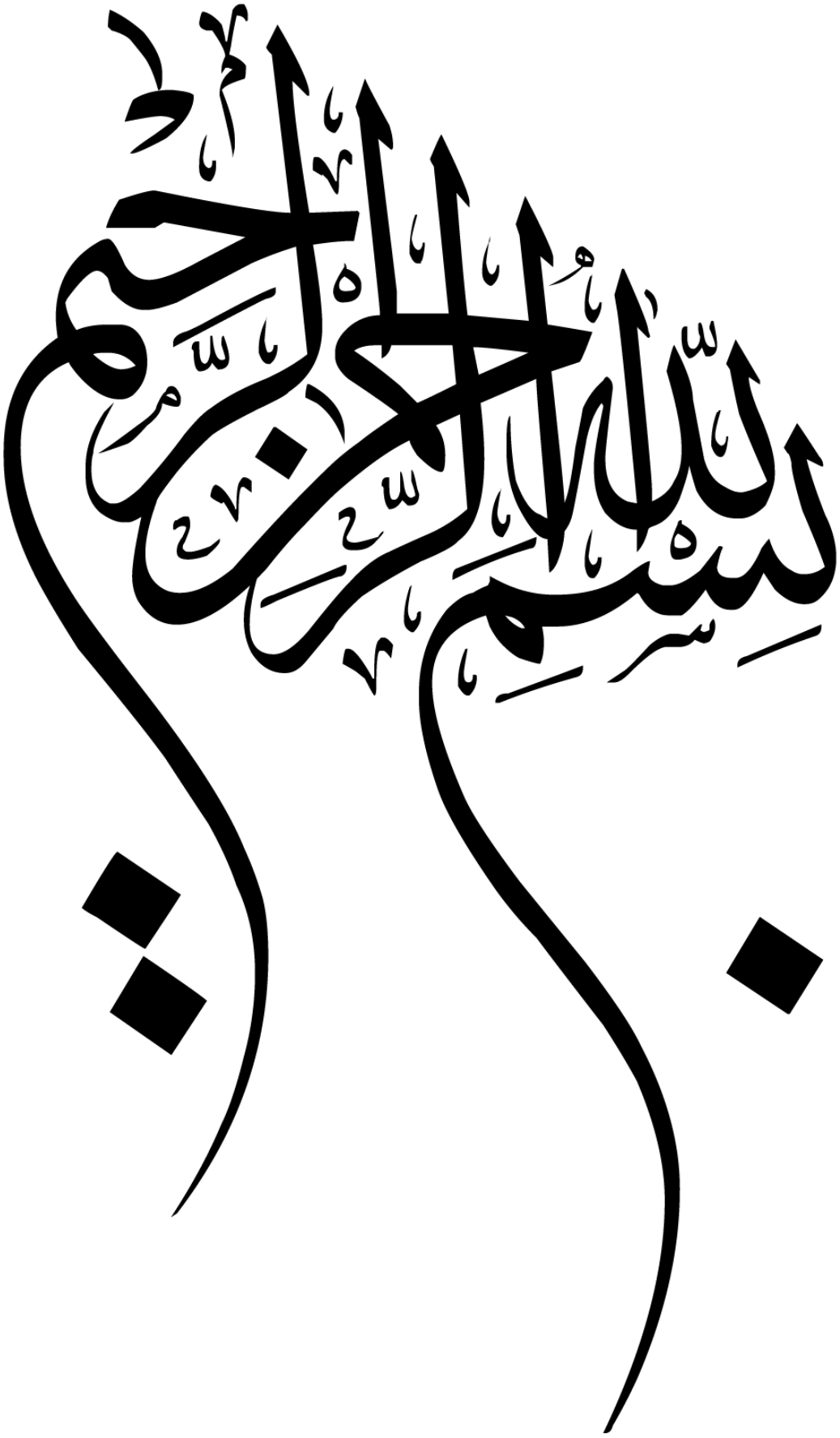
بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة: جامعة ابن خلدون تيارت

الكلية: كلية الآداب واللغات

الملحقة: ملحقة قصر الشلالة تيارت.

الميدان: ميدان اللغة والأدب العربي.

الشعبة: شعبة الدراسات اللغوية.

التخصص: اللسانيات التطبيقية.

الطور: ليسانس ل.م.د

السداسي: الخامس.

الوحدة التعليمية: وحدة التعليم الاساسية.

المادة: علم الأسلوب.

نوعية النشاط البيداغوجي: درس (محاضرات)

السنة الجامعية: 2021 / 2022.

من إعداد: د / العبادي عبد الحق.

الرتبة: أستاذ محاضر صنف أ.

التخصص: علم اللغة.

مفردات المحاضرات لمقياس علم الأسلوب

	المادة: علم الأسلوب.
	مفردات المحاضرة:
01	علم الأسلوب: النّشأة والتّطوّر.
02	الأسلوب والأسلوبية.
03	علم الأسلوب والدلالة.
04	علم الأسلوب وعلم التراكيب.
05	علم الأسلوب والعلوم اللغوية والأدبية.
06	نظريات الأسلوبية.
07	المدارس المؤسسة لعلم الأسلوب 1.
08	المدارس المؤسسة لعلم الأسلوب 2.
09	الأسلوب وعلم النص.
10	علم الأسلوب واللسانيات.
11	علم الأسلوب والنقد اللساني.
12	الأسلوبية والبلاغة 1.
13	الأسلوبية والبلاغة 2.
14	علم الأسلوب وتحليل الخطاب.

المحاضرة الأولى

علم الأسلوب : النشّأ ة والتّطوّر

توطئة:

لقد كان زمن ينظر فيه إلى اللغة في العمل الأدبي بوصفها أداة يقول بها الكاتب أو المبدع فكره وموضوعه، وبقول آخر لقد كان زمن ينظر فيه إلى اللغة بوصفها نظاما ثابتا لا يتكلم بنفسه عن شيء، ولكن يتكلم المبدع به عن شيء، إن هذا المنظور إلى اللغة قد تغير، لا بفعل تغير أفكار الكاتب والمبدع ذاتيا، ولكن بفعل ذاتية اللغة نفسها، ذلك بأن اللغة عبر معاشرة الكائن لها كونت حالة إدراكها الخاص فصار ينظر إليها على أنها الأداة نفسها في إبداع فكرة الكاتب، كما صار ينظر إليها على أنها محدثة لموضوعها ومبدعة له، وإن هذا ليجعلنا نرى فيها ما لم نكن بأعيننا الخاصة نراه.

فاللغة هي عين الإنسان إلى الوجود، وهي أيضا طريقته في تركيب هذا الوجود وبنائه، ولما كان الأمر كذلك احتاج الإنسان في تعمقها، ومعرفة أسرارها، وطرق تناولها لذاتيته الإنسانية إلى نوع جديد من الدرس، وقد كان ذلك للإنسان، فأنشأ من أجلها دراسة خرجت به من كونه محدثا لها إلى إطار هو فيه ينظر إلى نفسه بوصفه ناطقا بها ودارسا لها في ذات الوقت، ولقد توجت هذه الدراسات بالدراسة المعروفة اليوم باسم "علم الأسلوب".

مفهوم "الأسلوب":

يعد "الأسلوب" من أهم القضايا البلاغية التي شغلت الفكر النقدي القديم والحديث على حد سواء، وذلك يتجلى في دارسة مدى قدرة المتلقي على اكتشاف جماليات النص؛ وتبيان تميز أسلوب نص، أو مبدع عن آخر، باستخدام مناهج أسلوبية تبحث في مختلف الظواهر اللغوية للوقوف على سمات التفرد، فالبحث في "علم الأسلوب" وكيفية تعامله مع الخطاب الأدبي يستلزم ابتداءً، تحديد مفهوم "الأسلوب".

"فالأسلوبُ" بالضم: "الفن"؛ "يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه" "[1]"، و"الأسلوب الطريق" "[2]"، وهو « السطر من النخيل، وهو الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب" "[3]"، و"الأسلوب" عند "الزمخشري" يحمل مفاهيم لغوية أخرى، فيذكر في مادة (سلب) من كتابه "أساس البلاغة": "سلبه ثوبه، وهو سليب، وأخذ سلب القتيل، وأسلاب القتلى، ولبست الثكلى السلاب؛ أي: الحداد، وتسلبت، وسلبت على ميتها، فهو مسلب، والحداد على الزوج والتسليب عام ...، وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة ...، وشجرة سليب، أخذ ورقها وثمرها، وشجر سلب، وناقة سلوب: أخذ ولدها، ونوق سلائب، ومن المجاز: سلبه فؤاده، وعقله، وأستلبه، وهو مستلب العقل" [4].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م، ج 10، ص 17، مادة "سلب".

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 08، 2005 م، ص 98، مادة "سلب".

[3] الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992 م، ج 29، ص 302، مادة "سلب".

[4] الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م، ج 01، ص 468، مادة "سلب".

أما في المعجم الوسيط فالأسلوب الطريق؛ ويقال: "سلكت أسلوب فلان على كذا، طريقته، مذهبه والأسلوب طريقة الكاتب في كتابته، والأسلوب الفن، يقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، والأسلوب الصف من النخيل، ونحوه ، والجمع أساليب" [1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ** ﴾ [الحج: 73] يقول "بدر الدين الشوكاني" في تفسيره "فتح القدير": "بين سبحانه كمال عجزهم، وضعف قدرتهم فقال: ﴿**وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**﴾؛ أي: إذا أخذ منهم الذباب شيئاً من الأشياء لا يقدرون على تخليصه منه؛ لكمال عجزهم وفرط ضعفهم، والاستنقاذ، والإنقاذ التخلص، وإذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف، وعن استنقاذ ما أخذه عليهم فهم عن غيره مما هو أكبر منه جرماً، وأشد منه قوة أعجز، وأضعف، ثم عجب سبحانه من ضعف الأصنام والذباب فقال: ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ فالصنم كالطالب من حيث إنه يطلب خلق الذباب أو يطلب استنقاذ ما سلبه منه، والمطلوب الذباب، وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم، وقيل الطالب الذباب والمطلوب الآلهة" [2].

وقد قام "أحمد عبد المطلب" في كتابه "البلاغة والأسلوبية" بتحليل تعاريف الأسلوب سابقة الذكر مع "أحمد الشايب" في كتابه "الأسلوب" إذ تبينا بعدين أساسيين:

1. **الأول**: البعد المادي الذي نلمسه في تحديد مفهوم الكلمة من حيث ارتباطها في مدلولها بمعنى الطريق الممتد، أو السطر من النخيل.
2. **الثاني**: البعد الفني الذي يتجلى من خلال ربطها الأساليب القول؛ أي: أفانينه [3].

ولعل المعنى النقدي لكلمة أسلوب لم يبتعد كثيرا عن المعنى المعجمي، فهو "طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لاسيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات، والتشابيه والإيقاع" "[4]"، وهو يختلف من مبدع إلى آخر، ومن فن إلى آخر، ومن عصر إلى آخر.

"الأسلوب" في التراث العربي

إن الكلام عن "الأسلوب" قديم، أما "علم الأسلوب" فحديث جدا، فالحديث عن "الأسلوب" ذو نسب عريق في الثقافة العربية القديمة، لأن أصوله ترجع إلى "علم البلاغة"، وثقافتنا العربية تزدهي بتراث غني في "علوم البلاغة"، ويعد "الجاحظ" – وإن لم ترد في مؤلفاته لفظة "أسلوب" – أول من أثار في كتابه "البيان والتبيين" فكرة تباين مستويات

---

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1990 م، ص 440، مادة "سلب".

[2] الشوكاني، فتح القدير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007 م، ص 974، 975.

[3] أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 01، 1964 م، ص 38.

[4] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 01، 1979 م، ص 20.

الأداء اللغوي، ويرجع هذا التباين إلى تفاضل الناس أنفسهم، يقول: "وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحسن، والقبيح والسَّمجُ، والخفيف والثقيل؛ وكله عربي، وبكل قد تكلموا، وبكلٍّ تمادحوا وتعايبوا" [1]؛ "فالجاحظ" من خلال هذا النص يشير إلى تباين الناس في الأداء اللغوي، إشارة إلى انتقاء أساليب الكلام، كلٌّ حسب مكانته، ومستواه اللغوي.

أما "ابن قتيبة" فقد انطلق في بحثه "للأسلوب" من خلال بحثه في خصائص الأساليب الشعرية وخصائص أسلوب القرآن، خاصة في مباحث الإعجاز،– وقد كتب في الإعجاز علماء كثيرون لا سبيل إلى حصرهم – يقول "ابن قتيبة" في كتابه "تأويل مشكل القرآن" "إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب، وافتنانها في الأساليب ومما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في الأمم أمة أتيت من العارضة، والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصا من الله، لما أرهصه في الرسول وأراده من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب ... فالخطيب من العرب إذا ارتجل كلاما في نكاح، أو حمالة، أو تخصيص، أو صلح، أو ما شبه ذلك، لم يأت به عن واد واحد، بل يفنن فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجمين، ويشير إلى الشيء ويكني عنه، وتكون عنايته بالكلام على حساب الحال، وكثرة الحشد، وجلالة المقام ثم لا يأتي الكلام مهذبا كل التهذيب، ومصفى كل التصفية، بل يمزج ويشوب ليدل بالناقص على الوافر، والغث على السمين، ولو جعله كله بحرا واحدا لبخسه بهاءه، وسلبه ماءه" [2].

"فالأسلوب" بالنسبة إلى "ابن قتيبة" فن القول، ومعرفة دواعيه فقد ربط "الأسلوب" بطرق الأداة للمعنى؛ أي: الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه، كما ربطه أيضا بالقطعة الأدبية كلها فلم يقصر كلامه على الجملة الواحدة؛ بل إن طبيعة الأسلوب تمتد لتشمل – عنده – النص الأدبي، وما يتخلله من خصائص وسمات، وهذه القضية من أبرز قضايا المدارس الأسلوبية الحديثة التي جاوزت بها البلاغة التقليدية .

وقد عرف "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز" "الأسلوب" بأنه "الضرب من النظم والطريقة فيه" [3]، أما "حازم القرطاجني" فيطلق مصطلح الأسلوب على التناسب في التأليفات المعنوية، وذلك في مصنفه "مناهج البلغاء وسراج الأدباء"، فيمثل صورة الحركة الايقاعية للمعاني في كيفية تواليها واستمرارها، وما في ذلك من "حسن الاطراد، والتناسب، والتلطف في الانتقال من جهة إلى جهة أخرى، والصيرورة من مقصد إلى مقصد" [4]، ولعل "حازم القرطاجني"

---

[1] الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق محمد عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998 م، ج 01، ص 136.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1973 م، ص 12.

[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1983 م، ص 469.

[4] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م، ص 364.

يجعل الأسلوب منصبا على الأمور المعنوية، وجعله في مقابل النظم الذي هو منصب التأليفات اللفظية، وهذا بخلاف نظرة "عبد القاهر الجرجاني" الذي جعل من النظم شاملا لما يتعلق بالألفاظ والمعاني [1].

أما "عبد الرحمن ابن خلدون" فيعرف "الأسلوب" في كتابه "المقدمة" بأنه: "المنوال الذي تنسج فيه التراكيب، أو القالب الذي تفرغ فيه" [2]، ثم حدد "ابن خلدون" بعد ذلك مفهوم الأسلوب في الإبداع الأدبي فذكر أنه يرجع "إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب، وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب، أو المنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها رصا كما يفعل البناء في القالب، أو النساج في المنوال" [3].

ومما يلفت الانتباه في تعريفات "عبد القاهر الجرجاني"، و"حازم القرطاجني"، و"عبد الرحمن ابن خلدون" أن كلا منهم نظر إلى "الأسلوب" من زاوية معينة، فالأسلوب عند "ابن خلدون" مختص بصورة الألفاظ "القالب"، وعند "حازم القرطاجني" مختص بصورة المعاني، أما عند "عبد القاهر الجرجاني" فمفهوم "الأسلوب" ينسحب على الصورتين اللفظية والمعنوية من غير انفصال بينهما وهذه هي النظرة الاشمل "للأسلوب".

"فالأسلوب" عند "الجرجاني" يساوي "النظم"، فإذا كان "الأسلوب" كذلك، فيجب على المبدع أن يتوخى اللفظ لمقتضى التفرد الذاتي في انتقاء مفردات اللغة عن وعي، وذلك بمراعاة حال المخاطب، فـ "الجرجاني" يؤكد على أن "الأسلوب" يُميز بتميز صاحبه في نظمه عن غيره، خاصة، وأنه يؤكد على التزام معاني النحو في التأليف من خلال توفر محاسن الكلام في ترتيب المعاني في النفس حسب مقتضى الحال حتى يحصل التجانس، والجمال في "الأسلوب"، والتفرد في الصياغة؛ "فالأسلوب" عنده يقوم على القواعد العربية، وينضبط بالنحو.

يقول "عبد القاهر الجرجاني": "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها" [4]، وبذلك فقد جعل "الجرجاني" من النحو قاعدة للنظم، ولا شك أن قيام النظم عند "عبد القاهر" على توخي معاني النحو، يُوجب حضورا عقليا واستعمالا منطقيا للغة، فمن خلال النحو يستقيم الكلام وتُعرف المعاني، وتُدرك الأغراض.

"الأسلوب" في الدرس العربي الحديث

تعرض النقاد واللغويون العرب "للأسلوب"، ودارسو الأدب عموما، وتعددت تعريفاته تبعا لمناهج البحث،

---

[1] ينظر: ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط 01، 1997 م، ص 82، وينظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990 م، ص 30.

[2] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة بمراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م، ص 786.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص 786، 787.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 86.

وربما اعتمد بعضهم على ما ذكره القدماء فلم يخالفوه إلا قليلا، فنجد "حسين المرصفي" في كتابه "الوسيلة الأدبية للعلوم العربية" وهو يتحدث في صناعة الشعر ووجوه تعلمه لا يكاد يختلف عما ذكره "ابن خلدون"، وعما حدده "ابن رشيق القيرواني"، و"الأسلوب" – عنده – "لا تكفيه الملكة فحسب، بل هو بحاجة إلى تلطف في العبارة، ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصت العرب بها في استعمالها" [1]؛ فقد كان اعتماد "المرصفي" على ما جاء في حديث الملكة "لابن خلدون"، وعلى سنن العرب في اكتسابها، ونظم الشعر .

ولكن "مصطفى صادق الرافعي" بعد ذلك، وهو يبحث في مسألة إعجاز القرآن الكريم، والبلاغة النبوية في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، تعرض إلى معنى الأسلوب "وحدده في أفصح الكلام، وأبلغه، وأجمعه لحر اللفظ ونادر المعنى" [2]، ويبدو تأثره بما كتبه "عبد القاهر الجرجاني" في "دلائل الإعجاز"، و "أسرار البلاغة"، وبعض ما كتبه قدامى البلاغيين واضحا، ومما ذهب إليه أن "الأسلوب صورة عن مبدعيه، حتى أن القارئ يكاد يمسك إحساساته من خلال تعبيره، ويستطيع أن يتبين مواطن ضجره وملله ... وما إلى ذلك" [3].

وجعل "الرافعي" أيضا اللغة قسمين: عامة: وهي أساليب التواصل العامة في المواقف المختلفة، والتي تتم بطرق عفوية أيضا لا اعتناء فيها بالتركيب، وقوى التأثير الفنية، وخاصة: تتميز بحسن اختيار طرق أداء المعاني، وأقربها للتأثير في المتلقي [4]، ولا بد لها أن ترتبط بطبيعة المتلقين وطبقات إفهامهم، واعتبارها بما هو أبلغ في نفس، وأشار "مصطفى صادق الرافعي" أيضا إلى ارتباط المعاني بالجانب النفسي للمبدع، لأن الكلام صورة مادية للأحاسيس النفسية الخفية.

ومن المحدثين أيضا "أحمد الشايب" في كتابه "الأسلوب" ومن نتائجه أن مفاهيمه للأسلوب، وعناصره اعتمدت في المدارس وعدها المعلمون والمدرسون عناصر للأدب، وهي الفكرة، العاطفة، نظم الكلام، الخيال، الأسلوب، ويعرف الأدب "بأنه هو الكلام الذي يعبر عن العقل والعاطفة" [5].

و"الأسلوب" عنده فن من الكلام، وهو طريقة التفكير، والتصوير، والتعبير، وهو العنصر اللفظي في الكلام، ويعلق "شكري عياد" في كتابه "مفهوم الأسلوب" على هذا الأمر بقوله: "إن الأستاذ – يعني به "أحمد الشايب" – لم يطمئن إلى الوصف الذي يرتكز على ذاتية المنشئ، وآثر عليه – ربما دون أن يشعر – وصفا يرتكز على العبارة اللغوية نفسها، وهو بذلك يعتبر – من ناحية – على اهتزاز النظرة الرومانسية إلى الأدب، والحاجة إلى نظرة أخرى، تعترف للنص بحياة مستقلة عن حياة منشئه، وتدرسه على أنه ظاهرة لها وجودها الخاص، وكانت هذه النظرة إلى الأدب التي بدأت في أوروبا، والولايات المتحدة الأمريكية في أعقاب "الحرب العالمية الأولى"، وأخذت تبسط سلطانها على الدراسات

---

[1] حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، مصر، ج 02، ص 465.

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، مصر، ط 03، 1928 م، ص 204.

[3] نفسه، ص 272.

[4] نفسه، ص 342.

[5] أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصوات الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 05، 1956 م، ص 13

الأدبية منذ الأربعينيات، لا تزال تتلمس طريقها بين الأدباء العرب في حذر واستحياء" [1].

ورغم الرواج الذي لقيه كتاب "الأسلوب" "لأحمد الشايب" لا سيما في صفوف المدرسين، يعلق "محمد عبد المطلب" في كتابه "البلاغة والأسلوبية" بأن تطبيقه النظري والعلمي في المدارس انتهى بالطلاب إلى "تمزيق النص وإخراج أمعائه، دون أن يقع الطالب على الجماليات الكامنة في التعبير اللغوي" [2].

والملاحظ أن من جاء بعد "حسين المرصفي"، و"مصطفى صادق الرافعي"، و"أحمد الشايب" وغيرهم، أحسنوا الاستفادة في هذا الميدان من معطيات الأسلوبية الحديثة، على المستويين النظري والتطبيقي، وحاولوا جادين لتأصيلها في الأدب العربي وربط جذورها بالتراث، "فسعد مصلوح" مثلا في كتابه "الأسلوب" يطرح رؤية تدعو بطريق غير مباشر إلى ربط الأسلوب بمنشئه، وهي رؤية لسانية سالفة حيث يقول: "إن الأسلوب اختيار "*choice*"، أو انتقاء "*Selection*" يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معيّن" [3].

أما "صلاح فضل": فيعرفِّه في كتابه "أساليب شعرية معاصرة" على أنه: "هو الوريث لعلوم البلاغة" [4]، أما "نور الدين السد" يستعمل "علم الأسلوب مقابلا لـ: "*Stylistique*" ويراها جزءًا من علم اللغة" [5].

ويدرج "سعيد علوش" في كتابه "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"، المعاني الآتية للأسلوب [6]:

- يحيل الأسلوب ضمنيا على مفهوم يعارض بموجبه الاستعمال الفردي، والإبداعي للغة ووظيفتها الاجتماعية.
- مفهوم الأسلوب اعتبر مثاليا مما حدا بالنقد إلى التساؤل عن دلالته.
- الأسلوب هو طريقة العمل، ووسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات، والتركيبات.

"الأسلوب" في الدرس الغربي الحديث

عُرف "الأسلوب" عند الغربيين ابتداء من "العصر اليوناني" الذي مهد لظهور العديد من الفنون الشكلية والفكرية، وفي كتب "البلاغة الإغريقية" كان "الأسلوب" وسيلة من وسائل الإقناع، واندرج مفهومه تحت علم الخطابة، وخاصة فيما يتعلق باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال، وعرفه "أفلاطون" "*Platon*" بقوله: "الأسلوب شبيه بالسمة الشخصية" [7]، وقد تكلم عنه "أرسطو" "*Aristote*" في "باب الخطابة" باعتبار أقسام الشعر الذي صنفه بين الملهاة والمأساة،

---

[1] شكري عياد، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد الأول، العدد الأول، أكتوبر، 1980 م، ص 55.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م، ص 117.

[3] سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 2002 م، ص 25.

[4] صلاح فضل، أساليب شعرية معاصرة، دار القباء، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 14.

[5] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومة، الجزائر، ط 01، 2005 م، ص 14.

[6] سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ومؤسسة سوشبريس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1985 م، ص 114.

[7] ينظر: هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989 م، ص 33.

وتحدث عنه "كونتليانوس" "*Marcus Fabius Quintilianus*" في "نظم الخطابة"، أما الفيلسوف الألماني "آرثر شوبنهاور" "*Arthur Schopenhauer*" فعرف "الأسلوب" بأنه "التعبير عن معالم الروح" [1]، أما "فلوبير" "*Gustave Flaubert*" فاعتبر "الأسلوب وحده طريق مطلقة في تقدير الأشياء" [2].

وقد أصل اليونانيون للفظة "أسلوب" "*Stylus*" والتي كانت تعني في البداية "قلم الكتابة" أو "الريشة" ثم انتقل مفهوم الكلمة إلى معان أخرى تتعلق بطبيعة الكتابة للمخطوطات، ثم أخذ يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية، وتشير المعاجم الغربية – الفرنسية والإنجليزية – إلى هذا المعنى العام للأسلوب، والذي يقتصر على: طريقة الكتابة، أو الطريق الخاصة للتعبير عن الفكر، الانفعالات، والعواطف [3].

وعند المقارنة بين الاستعمالات المختلفة لكلمة "الأسلوب" نجدها جميعا تشير إلى خاصية معينة ومحددة "شيء خاص في الحياة، وفي الحديث، وفي الرسم أو في النحت، وفي طريقة التعامل، وفي النهاية فإن المصطلح أصبح هدفا لدراسات واعتبارات كثيرة".

ولم يدخل مصطلح "أسلوب" اللغات الأوروبية الحديثة إلا في القرن التاسع عشر، حيث استخدم أول مرة في اللغة الإنجليزية عام 1846م، ودخل القاموس الفرنسي مصطلحا كذلك سنة 1872م، وتكاد جميع الدراسات الأسلوبية تنطلق من مفهوم "الكونت دي بوفون" "*Georges-Louis Leclerc, Comte de Buffon*" للأسلوب والذي ذكره في محاضراته عام 1753 م، والتي ألقاها في المجمع العلمي الفرنسي بعنوان "مقالات في الأسلوب"، والتي لا تبتعد عن مفهوم "أفلاطون المذكور" سابقا حيث يقول : "إن المعارف والوقائع، والمكتشفات تنزع بسهولة، وتتحول وتفوز إذا ما وضعتها يد ماهرة موضع التنفيذ هذه الأشياء إنما تكون خارج الإنسان، وأما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، ولذا لا يمكنه أن ينتزع، أو يحمل، أو يتهدم" [4]؛ بمعنى أن "الأسلوب" صورة لصاحبه، تبرز مزاجه، وطريقته في التفكير، ورؤيته إلى العالم، وقد أثَّر "بوفون" بنظريته هذه في كل الذين جاؤوا من بعده من نقاد الأدب ومنظّري الأسلوب.

وورد في "المعجم الأدبي للغة الفرنسية" أن كلمة "أسلوب" "*Style*" انتقلت من اليونانية إلى اللغات الغربية عن طريق اللاتينية، وكانت تعني "الريشة"، أو "المثقب المستخدم في الكتابة"، وقد استخدمت لأول مرة في الفرنسية في القرن الرابع عشر استخداما عاما، وكانت تعني كل أنواع التعبير والكلام، وبصفة خاصة، فقد كانت تعني نموذجا قانونيا للتقاضي [5]، مما يعني أن مفهوم "الأسلوب" كان يعني أداة للكتابة، ثم تحول إلى مدلول اصطلاحي للخطاب.

وإذا اتجهنا إلى "المعجم السيميائي" "لغريماس" "*Julien Greimas*"، فقد رأى بأن مصطلح "الأسلوب" مأخوذ من النقد الأدبي، ومن الصعوبة إن لم يكن من الاستحالة إعطاءه تحديدا سيميائيا، في حين أنه إلى غاية القرن

---

[1] فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 2003 م، ص 30.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م، ص 67.

[3] فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ص 29.

[4] بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 22.

[5] ينظر: معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007 م، ص 10.

الثامن عشر كان مرتبطا بمقاربة علم اجتماع اللهجات، ويتجاوب مع أنماط الخطاب ضمن مفهوم علم اجتماع لسانيات السجلات، وأصبح في القرن التاسع عشر يعني الخصائص المتفردة لكاتب من الكتاب [1].

وتتفق التعريفات السابقة مع بقية قواميس اللغات الأوروبية الأخرى في تحديد الأصول اللفظية الدلالية لكلمة "أسلوب"، فهي كلها ترجعها إلى أصل يوناني، أو لاتيني، ومنها على سبيل المثال "قاموس أكسفورد الإنجليزي "*Oxford English Dictionary*" [2].

أما "رولان بارت" "*Roland Barthes*" فإنه قابل مصطلح "الأسلوب" "بالكتابة"، حيث رأى أن الأسلوب ظاهرة ذات طبيعة البذور تهدف إلى نقل الحالة، والمزاج ليستزرعها الكاتب في نفس القارئ [3]، فـ "رولان بارت" يعتبر أن "الأسلوب" يكمن في الكيفية، أو الطريقة التي ينقل بها الكاتب أفكارا معينة إلى المتلقي.

و"الأسلوب" عند "شارل بالي" "*Charles Bally*" هو مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المستمع، أو القارئ، وحصر مفهومه كذلك في تفجر الطاقات التعبيرية الكامنة في اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى حيز الوجود اللغوي، "فالأسلوب" هو الاستعمال ذاته، وكأن اللغة مجموعة شحنات معزولة، و"الأسلوب" هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر، ومعدن الأسلوب ما يقوم في اللغة من وسائل تعبيرية تبرز المفارقات العاطفية، والإرادية، والجمالية حتى الاجتماعية، والفنية [4].

وحاول "ميشال ريفاتير" "*Michel Riffaterre*"، تحديد مفهوم "الأسلوب" مستخدما المنهج العلمي في الدراسة، ومنتهيا إلى أنه علم يعنى بدراسة أسلوب الآثار الأدبية دراسة موضوعية، تنطلق من اعتبار النص الأدبي بنية ألسنية، تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا [5]، ويقدم "ريفاتير" في كتابه "الأسلوبية البنيوية" "***Stylistique structurale***" تعريفا محددا "للأسلوب"، فيقول: "يُفهم من "الأسلوب" الأدبي كل شكل مكتوب فردي ذي قصد أدبي؛ أي: أسلوب مؤلِّف ما، أو بالأحرى أسلوب عمل أدبي محدد يمكن أن نطلق عليه الشعر، أو النص، وحتى أسلوب مشهد محدد" [6].

ويقدم "ميشال ريفاتير" "*Michel Riffaterre*" تعريفا للأسلوب على أساس ما يتركه النص من ردود فعل لدى متلقيه فيعده قوة ضاغطة تسلط على حساسية القارئ بواسطته يتم "إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، ويحمل القارئ على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها يشوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة، بما يسمح بتقرير

---

[1] معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، ص: 11.

[2] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 82.

[3] نفسه، ص: 95.

[4] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م، ص 44.

[5] ينظر: عبد السلام المسدي، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 03، مارس، 1977 م، ص 07.

[6] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م، ص 110.

أن الكلام يعبر، والأسلوب يبرز" [1].

ومفهوم "ريفاتير" للأسلوب يستمد مقوماته من مرجعين أساسين [2]:

1 – المرجع الأول: نظرية الإعلام: "*Théorie de l'information*" والتي تقضي أن تكون من كل عملية تخاطب جهاز أدنى يتألف من باث "*Emmetteur*"، ومستقبل "*Recepteur*"، وناقل "*Tranmetteur*"، حيث يقوم الباث بعملية التركيب "*Codage*"؛ أي: صياغة الرسالة "*Message*" التي تنتقل عبر قناة حسية (*Canal*) بواسطة الأداة اللسانية، ويقوم المستقبل "بعملية التفكيك" "*Décodage*"

2 – **والمرجع الثاني: النظرية السلوكية**: وهي نظرية نفسية تسعى إلى إقامة علم نفس موضوعي يعتمد على الملاحظة الاختبارية، ورفض الاستبطان، والملاحظة الذاتية .

أما "الأسلوب" عند "جان كوهين" "*Jean Cohen*" فيمكن استخلاص جوهر مفهومه من خلال كتابه "بنية اللغة الشعرية" "*Structure du langage poétique*" فهو يذكر بصدد تحديد المنهج المتبع في دراسته للشعر الفرنسي في الحقب الثلاثة (الكلاسيكية، الرومانسية، والرمزية)، ذلك المنهج الذي لا يمكن أن يكون إلا منهجا مقارنا ما دام البحث في مسائل تمييزية، إذ يواجه الشعر بالنثر في ظل "نظرية الانزياح"، وهي أساس عمل "كوهين"، فالشعر عنده انزياح عن معيار هو قانون اللغة، ولكون النثر هو اللغة الشائعة فيمكن الحديث عن معيار تعد القصيدة انزياحا عنه، والانزياح هو التعريف الذي يعطيه "شارل برونو" "*Charles Bruno*" للواقعة الأسلوبية آخذا في ذلك عن قول "فاليري" "*Paul Valéry*"، وهذا التعريف يتبناه اليوم معظم الاختصاصيين، "فالأسلوب" "هو كل ما ليس شائعا، ولا عاديا، ولا مطابقا للمعيار العام المألوف" [3].

ويرى "تودورف" "*Tzvetan Todorov*" أن "الأسلوب" هو الاختيار الذي يجب أن يجريه النص من بين عدد معين من الالتزامات المتضمنة في اللغة، والأسلوب بهذا الفهم يوازي سجلات اللغة، وترميزاتها الصغرى [4]، وهذا ما تحيل عليه تعابير من مثل الأسلوب المجازي، الخطاب الانفعالي، وأن وصفا لعبارة ما، ليس إلا وصفا لمجل المميزات الكلامية.

ويرى "بيار جيرو" "*Pierre Giraud*": أن الأسلوب هو "طريقة للتعبير عن الفكر بوساطة اللغة" [5]، وعلى العموم فنظرة الدارسين الغربيين للأسلوب يمكن إرجاعها إلى ثلاث وجهات نظر:

أولا: "الأسلوب" اختيار وانتقاء يلجأ إليه المنشئ فيؤثر سمات لغوية معينة، دون غيرها، للتعبير عن موقف معين، ما دامت اللفظة تتيح له قائمة من الإمكانات المسهلة للتعبير والمحققة لجملة من الأغراض الإبلاغية، "فالأسلوب" هو جملة

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 83.

[2] عبد السلام المسدي، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، ص 111، 112.

[3] جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة عبد الولي محمد العربي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م، ص 15.

[4] ينظر: عثمان الميلود، شعرية تودروف، دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990 م، ص 04 .

[5] بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ص 06.

تلك الاختيارات البارزة في أدب، أو كتابة منشئ معين نميزه عن غيره.

وليس كل اختيار يقوم به المؤلف يكون أسلوبيا فهو نوعان:

1. اختيار محكم بسياق الكلام .
2. اختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة .

أما الأول: فنفعي مقامي، والنفعية استعمال الإنسان للغة من أجل إنجاز أغراض معينة، فيقوم باستخدام كلمة، أو عبارة دون غيرها لأنها أكثر مطابقة للحقيقة، وربما يوظفها لتضليل سامعه، ولإيهامه بأشياء معينة، أو لتفادي الاصطدام معه إذا كانت لديه حساسية اتجاه كلمة ما.

وأما الثاني: فانتقائي نحوي، والنحو –في تصوره الشامل– الجامع للجوانب الصوتية، والصرفية، والدلالية، والتركيبية، فيعمد المتكلم إلى توظيف عبارة، أو تركيب يحكم صحتها، وفصاحتها، ودقتها، وبهذين الاختيارين يتحدد "الأسلوب" .

ثانيا: الأسلوب هو، انحراف "*Déviation*"، أو انزياح "*Ecart*"، أو "عدول" عن نموذج آخر يعد النمط المعياري له، وهذا يمثله "جون كوهين"، ووفقا لهذه النظرية تكون الدراسة الأسلوبية دراسة مقارنة بين النص المفارق، والنص النمط لتبين السمات والخصائص اللغوية، والمقارنة هنا وسيلة هامة وأساسية فهي قوام التمييز بين خصائص الأساليب.

ومن الاعتراضات التي وجهت إلى أصحاب نظرية "الانحراف" هي صعوبة تحديد المعيار، أو القاعدة التي يقاس إليها "الانحراف" عن النمط الذي تتميز به لغة النص الأدبي .

ثالثا: "الأسلوب" يقوم على ما يتركه النص من ردود فعل لدى المتلقي، وهذا يمثله "ريفاتير" كما خلص "كروتشه" "*Benedetto Croce*" إلى أن اللغة ليست مقبرة لأجساد ثاوية محنطة، والوحدة الحقيقة هي الشكل الداخلي لبعض أجزاء القول، وعلى الباحث اللغوي والجمالي الناقد أن يواجه هذا الشكل الداخلي لتوضيح مداه في بنيته ومعناه.

ومهما تعددت التعريفات والتصنيفات، إلا أن "الأسلوب" اتخذ مفهوما في النقد الأدبي ارتبط بالبلاغة والفن، فـ "الأسلوب مصطلح بلاغي نقدي لساني فني حضاري، وتعاريفه ومفاهيمه مختلفة ومتباينة تباين المدارس البلاغية، واللسانية، والأسلوبية، والاتجاهات الأدبية، والنقدية، والفنية، والثقافية ومناهجها" [1].

وعليه، فمصطلح "الأسلوب" عند الغربيين انتقل من مفهوم المثقب أو الريشة المستخدمة في الكتابة إلى التعبير عن طريقة الكتابة عند كاتب بعينه.

مما سبق:

"فالأسلوب" هو طريقة الأداء أو طريقة التعبير، والذي ينطوي ضمنا على العناصر الثلاثة الأساسية التي تتكون منها العملية التعبيرية وهي: المرسل، والرسالة، والمتلقي، وقد جمع "رجاء عيد" ست تعاريف للفظة "أسلوب" في كتابه "البحث الأسلوبي معاصرة وتراث"، وكل تعريف ينطلق من منطلق مغاير للآخر [2]:

1. الأسلوب: هو اختيار من جانب الكاتب بين بديلين في التعبير.

---

[1] معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، ص 03.

[2] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993 م، ص 14.

2. الأسلوب: هو قوقعة تكتنف من داخلها لبا فكريا له وجود أسبق.
3. الأسلوب: هو محصلة خواص ذاتية متسلسلة.
4. الأسلوب: هو انحراف عن النمط المألوف.
5. الأسلوب: هو مجموعة متكاملة من خواص يجب توفرها في نص ما.
6. الأسلوب: هو تلك العلاقات القائمة بين كليات لغوية، وتنتشر إلى ما هو أبعد من مجرد العبارة لتستوعب النص كله.

وبهذا فإن لفظة "أسلوب" لم تستقر على مفهوم واحد، يقول "جون مدلتون" "*John Middleton*": "إن مناقشة لفظة "الأسلوب" لو أنها تحرت قدرا من الدقة العلمية فإنها سوف تغطي صعيد الجمال الأدبي، ونظرية النقد برمتها" [1].

ولكن رغم اختلاف المنطلقات والتعريفات إلا أننا نكاد نجد تعريفا يدور حوله الكل وهو أن "الأسلوب هو طريقة الأداء، أو طريقة التعبير"، وبهذا يكون المفهوم النقدي "لعلم الأسلوب" هو: "العلم الذي يكشف عن القيم الجمالية في الأعمال الأدبية انطلاقا من تحليل الظواهر اللغوية والبلاغية للنص الأدبي، تركز على دراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفة تأثيرية وجمالية" [2]، فهذه التعريفات وغيرها تجمع على أن الأسلوبية علم ألسني موضوعي وصفي منطقة عمله "الكلام / الأسلوب" باعتباره، "الميزة النوعية للأثر الأدبي [3]، والمحدد لصيرورة الحدث اللساني نحو الظاهرة الأدبية، و"الذي يأخذ أشكالا مختلفة قد تكون عبارة، أو خطابا، أو رسالة، أو طاقة بالفعل" [4].

فالتحليل الأسلوبي إذن يتعامل مع ثلاثة عناصر هي [5]:

1*العنصر اللغوي: إذ يعالج نصوصا قامت اللغة بوضع رموزها.

2*العنصر النفعي: الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل: المؤلف، والقارئ، والموقف التاريخي، وهدف الرسالة وغيرها.

3***العنصر الجمالي**: ويكشف عن تأثير النص على القارئ، والتفسير، والتقييم الأدبي له.

ومما نخلص إليه

أن "الأسلوب" يعني (فن قول) باعتباره طريقة من طرق التعبير، ومن هنا فأنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدع من حيث

---

[1] ينظر: شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 01، 1986 م، ص 190.

[2] فرحات بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ودراسة تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م، ص 15.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 87.

[4] نفسه، ص 35.

[5] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص 131.

أن لكل طريقته الخاصة في التعبير من خلال فن القول .

وهكذا فإن "الأسلوب" يأخذ مفهوما واسعا حيث تتعدد أنواعه وتختلف بتعدد الأشخاص المبدعين واختلافهم في سماتهم النفسية، فهو عند "موريه" "*Alexander Morah*" "موقف من الوجود، وشكل من أشكل الكينونة، وليس في الحقيقة شيئا نلبسه، ونخلعه كالرداء، ولكنه الفكر الخالص نفسه، والتحويل المعجز لشيء روحي إلى الشكل الوحيد الذي يمكننا تلقيه" [1]، وبعبارة "عبد السلام المسدي" فهو: "فلسفة الذات في الوجود" [2]، وهو عند معظم اللغويين إما "اختيار"، أو "انحراف"، أو "عدول".

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط 01، 1997 م.
2. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1990 م.
3. أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 01، 1964 م
4. أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية لأصوات الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 05، 1956 م.
5. بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
6. الجاحظ، البيان والتبين، تحقيق محمد عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1998 م.
7. جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة عبد الولي محمد العربي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م.
8. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 01، 1979 م.
9. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م.
10. حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، مصر.
11. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة بمراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م.
12. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1993 م.
13. الزبيدي، تاج العروس، تحقيق عبد الفتاح الحلو، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992 م

[1] نفسه، ص 97.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 67.

14.الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998م
15.سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 2002م.
16.سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ومؤسسة سوشبريس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1985 م.
17.شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 01، 1986 م.
18.شكري عياد، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد الأول، العدد الأول، أكتوبر، 1980 م.
19.الشوكاني، فتح القدير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007 م
20.صلاح فضل، أساليب شعرية معاصرة، دار القباء، القاهرة، مصر، 1998 م.
21.صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م.
22.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م.
23.عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.
24.عبد السلام المسدي، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 03، مارس، 1977م.
25.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي ومطبعة المدني، القاهرة، مصر، 1983 م.
26.عثمان الميلود، شعرية تودروف، دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990 م.
27.فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990 م.
28.فرحات بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ودراسة تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.
29.الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 08، 2005 م.
30.فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 2003 م.
31.ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1973 م.
32.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م.
33.مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، مصر، ط 03، 1928 م.

34.معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007 م.

35.ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.

36.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومة، الجزائر، ط 01، 2005 م.

37.هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989 م.

المحاضرة الثانية

الأسلوب والأسلوبية.

توطئة:

خضع "علم اللغة" في القرن التاسع عشر للتأثيرات الفلسفية السائدة حينئذ؛ مما جعله مادياً يعتبر اللغة شيئاً متعيناً يستحيل فكّه إلى أجزاء متباينة، ووضعياً يهتم بالأسباب المباشرة للظواهر، وإن كانت بطبيعتها تطورية تاريخية، وكان طموح علم اللغة وقتها يتمثل في إقامة تصورات علمية للغة تطابق نموذج العلوم الطبيعية المزدهرة، أما مجاله المفضل فهو الصوتيات؛ إذ أنّها مادة اللغة المحدودة الخاضعة للملاحظة العلمية المباشرة، وإن كانت تند في نفس الوقت عن المراقبة الواعية للفرد الواعي، تعقبها في ذلك الصيغ الصرفية، ثم يأتي بعدها النحو حيث تصبح عملية إخضاع المادة للمنظور التاريخي الوضعي أشد عسراً وتعقيداً، أما الأسلوب، فهو ظاهرة ذات أصل فردي وطبيعة نفسية – فلم يكن ليجد له مكاناً في هذا الإطار الذي لا يعني من اللغة سوى بخواصها المادية الطبيعية دون اهتمام بعلاقتها بالفكر، والذي يركز على حقائقها بغض النظر عن صلتها بالأفراد المنتجين لها.

ولكن تطور الفكر العلمي، وتجدد الفروع اللغوية لا يلبثان أن يعيدا إلى فكرة الأسلوب أهميتها، وقد ساعد على ذلك تياران هامان في علم اللغة؛ أحدهما التيار المثالي الذي أدى إلى النقد البنّاء للمادية التحليلية العقلية، والثاني تجديد المنهج الوضعي ذاته؛ بحيث يشمل ملاحظة الفكر والحياة، ويؤسس العلوم الإنسانية على قواعد تجريبية، وعقلية معاً.

فأصحاب المنهج المثالي يعتدون بالتمييز الشهير الذي أقامه "همبولت" "*Alexander von Humboldt*" بين العمل والطاقة، ويعتبرون اللغة أداة سلبية للجماعة، لكنها في نفس الوقت فعل مبدع للفرد، ويعارضون الفكرة الشائعة حينئذٍ عن اللغة واعتبارها شيئاً، أو جوهراً؛ مركزين على طابعها كمجموعة من العمليات والإجراءات، فهي تمثل لديهم فعلا إبداعاً فردياً يتخذ صفة العموم بمحاكاة الجماعة وتبنيها له؛ ويصبح خاضعاً للقوانين النفسية، والاجتماعية التي تؤثر بدورها على الأفراد المبدعين للغة والمتقبلين لها؛ فهي إذاً خاضعة بشكل مباشر لهؤلاء الأفراد، ولظروف حياتهم، ومزاجهم، وثقافتهم، وعمرهم، وجنسهم وغير ذلك من العوامل المؤثرة فيهم [1].

وعلى هذا تصبح اللغة في جوهرها مجموعة من الوقائع الأسلوبية ينبغي الاعتداد بها من وجهة نظر الأسلوب؛ وإن كان من البيّن أن كلمة أسلوب التي تستخدم هنا تتجاوز حدودها التقليدية لتشمل كلّ عنصر محدث في اللغة ينتمي إلى الفرد ويعكس أصالته، ويتبنى "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*" في تحليلاته ثنائية "همبولت" القائمة على التمييز بين اللغة الحرة المبدعة للفرد، واللغة الثابتة المقعدة للجماعة، ويطلق على الأولى اسم "الكلام" مبقياً على كلمة "اللغة" للثانية، ومحدداً خصائص كل منهما ونتائج التمييز بينهما على كل المستويات ومبرزاً بالتالي فكرة الأسلوب الملازمة للمستوى الأول.

وتأسيساً على هذا، فقد نشأ اتجاهان في علم الأسلوب: أحدهما يتمثل في علم أسلوب التعبير، ويدرس العلاقة بين الصيغ والفكر في عمومه، وهو الذي ربما كان يقابل بلاغة الأقدمين، والثاني هو علم الأسلوب الفردي، وهو في واقع الأمر نقد للأسلوب بدراسة علاقة التعبير بالفرد أو الجماعة التي تبدعه، وتستخدمه، ومن هنا فهي دراسة توليدية، وليست تقويمية، ولا تقعيدية، مما يجعل محورها مختلفاً عن محور المدرسة الأولى، فعلم أسلوب التعبير لا يخرج عن

[1] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م، ص 14.

نطاق اللغة، ولا يتعدى وقائعها في حدا ذاتها، أمّا علم الأسلوب الفردي فهو يدرس نفس هذا التعبير في علاقته بالأشخاص المتحدثين به؛ الأول يعتد بالأبنية اللغوية ووظائفها داخل النظام اللغوي، أيّ أنّه وصفي بحت؛ والثاني يحدد بواعثها وأسبابها؛ أي أنّه توليدي، الأول يهتم بالنتائج ويتوقف على علم الدلالة ودراسة المعاني في ذاتها، والثاني يعني بالمقاصد ويرتبط بالنقد الأدبي.

والجديد في كلا الاتجاهين يتمثل في اعتمادهما معاً على علم اللغة؛ حيث يصبح الأسلوب موضوعاً للدراسة العقلية المنظمة بعد أنّ ظلّ خلال فترة طويلة نهباً لانطباعات النقد الذاتي المبعثرة، ومعنى هذا أنّه كلّما اشتد طموح علم الأسلوب ليصبح علماً للتعبير كلما اقترب مرّة أخرى من منطقة البلاغة، لكنها بلاغة تتكئ على تصور جديد لوظيفة اللغة والأدب، باعتبارهما تعبيراً عن طبيعة الإنسان وعلاقته بالعالم. هذه المبادئ الجديدة، وما يترتب عليها من نتائج هي التي تجعل العالم اليوم يعترف بعلم الاسلوب باتجاهاته المختلفة.

نشأة الأسلوبية:

حضي النص الأدبي باهتمام وعناية الدارسين والمحللين، فمارسوا عليه عدة قراءات منها السياقية سابقا، والنسقية حديثا، والقراءة الأسلوبية من القراءات النسقية التي تهتم بالجانب اللغوي من النص، وفي المعيار اللساني تعني الأسلوبية التعبيرية صورة من صور الانزياح، والعدول عن معيار الدقة والصواب في اللغة، فهي بحث في ما يتجلى في النصوص الأدبية من انتهاكات متعمدة للمعايير النحوية والدلالية، والاستعانة بقواعد إضافية واختيارات من جهة، واستخدامها في تحسين الأداء التعبيري من جهة أخرى.

ويُعد تتبع الاستعارة – على سبيل المثال – ضربا من الإجراء على هذا المستوى، وقد لوحظ أن الاستعارة تقوم على ضرب من التوازي بين المستعار له والمستعار [1]، وقد توقف عند هذا كثيرون، ومن هؤلاء "جان كوهين" "*Jean Cohen*" في بنية اللغة الشعرية "*structure de langage poétique*"، و"يوري لوتمان" "*Youri Lotman*" في "التحليل البنيوي للغة الشعر" "*la structure du texte artistique*"، و"مكاروفسكي" "*Jan Mukařovský*"، غير أن الفضل في شيوع هذا اللون من الإجراء يعود "لشارل بالي" "*Charles Bally*" وتلاميذه الذين توسعوا توسعا أكبر في دراسة التعبير الأدبي، على أساس أن التعبير الأدبي وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها المرسل لاجتذاب اهتمام القارئ، والتأثير فيه، أو عليه، وقد تحول مفهوم التعبير فيما بعد إلى حدث فني، إلى جمالية، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه وشعوره إلا إذا أتيحت له أدوات دلالية ملائمة وتعبيرية رائقة [2]، وما على الأسلوبي إلا أن يبحث في هذه الأدوات، وأن يعمل على دراستها، وتصنيفها، بغية وضع النص الأدبي في موضعه المناسب.

كما ذكرنا أن مؤسس الأسلوبية هو "شارل بالي"، وعُرف منهجه فيها "بالأسلوبية التعبيرية" أو "الوصفية"، وإليه تنسب ريادة الأسلوبية وبالتحديد "علم الأسلوب التعبيري"، وله مؤلفات في هذا المجال بدأت منذ سنة 1902 م حيث

[1] سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 01، 1983 م، ص 285.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص 18.

أصدر كتابه الأول" بحث في علم الأسلوب الفرنسي" "*Traité de stylistique française* "، ثم توالت دراساته المطولة حول هذا العلم سواء على مستوى التنظير أو التطبيق، ومن أهم هذه المصنفات "الوجيز في الأسلوبية" "*Précie de stylistique*" عام 1905 م، و"الأسلوبية الفرنسية" "*La stylistique française* " عام 1909 م، و"اللغة والحياة" " *La langage et la vie* " عام 1932 م، و"اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية" " *Linguistique generale et linguistique française* " عام 1932 م، وقد أحدثت هذه الدراسات تأثيرا واسعا في كثير من المدارس الأسلوبية التي جاءت بعده، وعلى نحو خاص تلك التي تأثرت بالنزعة الوصفية في منهجه.

"فشارل بالي" يرى أن الأسلوبية هي "علم يدرس العناصر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التأثيري [1]؛ فالأسلوبية من هذا المنطلق تبحث عن أسلوبين أحدهما لا يعنيه إلا إيصال الأفكار للمتلقي بدقة، والآخر يشد إلى التأثير على المتلقي، ولم يركز "بالي" كثيراً على النوع الثاني (الخطاب الأدبي)؛ إذ يرى أنه شأن يخص الفرد المنتج، ولذا كانت الأسلوبية التعبيرية "لبالي" تتجاهل تحليل النص الأدبي، لأن أسلوبيته أسلوبية لغوية جاءت لتكمل ما صنعه أستاذه ، "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure* "، فأسلوبية "بالي" تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي: أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، أي: أنها تدرس الكيفية المتبعة في اللغة للتعبير عما في النفس، يقول "شارل بالي": "إن علم الأسلوب هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي" [2]، ولعل "بالي" في ذلك تأثر نوعاً ما بالمدرسة النفسية التي ترى في كل حدث لغوي تعبير عن جانب نفسي لمنتجه.

"فبالي" يبحث عن الآثار الوجدانية في اللغة، مما دفعه إلى وضع بعض التصنيفات للغة "مستويات خطاب حسب طبيعة الحدث اللغوي نفسه" "كلغة الرعاع"، و"لغة الفلاحين"، و"لغة النخبة"، و"لغة الأطباء"، و"اللغة الأدبية"؛ "ومن هنا كان الأسلوب عند "بالي" هو تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية، والتأثيرية، والانفعالية التي تميز أداء عن أداء" [3]، ومن شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى أخرى.

إذن الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" تتناول مستويات التعبير اللغوي حسب المنتج من جهة والمقام من جهة أخرى، مع تضمين الأدوات اللغوية المستخدمة في كل طريقة تعبير ، وقد استبعد "بالي" النص الأدبي من أسلوبيته، لأنه يمثل لغة تخص شخصا بعينه، وهو الشاعر الذي تفنن بطريقة انفرادية في تفجير طاقات اللغة في نصه، فأسلوبية "بالي" تبحث في لغة جميع الناس بما تحمله تلك اللغة من أفكار خالصة، وما تحمله من عواطف ومشاعر، فهي تدرس "وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية، أي: أنها تدرس تعبير الوقائع عن الحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع على الحساسية" [4]، ومن هنا كان العمل الأدبي عنده لا يعدو أن (يكون ركيزة، أو وعاء، أو حجة تتيح تحليل، وقائع اللغة العاطفية)، وليس هدفاً للتحليل الأسلوبي.

---

[1] صلاح فضل، علم الاسلوب مبادئه وإجرائته، ص 98.

[2] نفسه، ص 98.

[3] رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991 م، ص 31.

[4] عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 147.

لقد اعتمد "شارل بالي" في تشكيل أسلوبيته التعبيرية على أرضية معرفية يمكن استجلاء معالمها العامة بالنقاط الآتية:

1 – اعتماده على المنجزات الكبيرة التي حققتها اللسانيات السوسيرية في دراسة اللغة.

2 – اعتماده على مبدأ "دي سوسير" في تفريقه بين اللغة والكلام.

3 – اعتماده على النظرة اللسانية الحديثة في توجهاتها المنهجية نحو إضفاء صفة العلمية على دراسة الظواهر اللغوية بأشكالها كافة، حيث حاول "بالي" استثمار هذه النظرة وأن يضفي على أسلوبيته صفة العلمية بكل ما تتطلبه من التزامات [1]، وهو بذلك قد فارق النقاد والبلاغيين القدماء في طريقة تعاملهم مع الأنماط التعبيرية اللغوية والأدبية على حد سواء، فهو لم يقصد بأسلوبيته دراسة الأساليب الأدبية لأن هذه الأخيرة تعبر عن قيم جمالية فردية متميزة، وإنما المقصود لدى "بالي" دراسة الآليات، والمظاهر، أو الآثار التعبيرية في كل لغة، دراسة موضوعية علمية شمولية [2].

4 – اعتماده على منجزات علم اللغة في مجال دراسة الخطاب التداولي بشقيه المنطوق والمكتوب، إلا أنه ركز على اللغة المنطوقة أكثر من غيرها، لاعتبارات تعبيرية تتصل بالجانب الاجتماعي الوجداني للذات المتكلمة.

إذن مفهوم الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" تتمثل في تفريقه بين نوعين من الخطاب (الحدث اللغوي)، الأول ذاك الحدث النفعي الذي لا هدف من إنتاجه سوى الإبلاغ (أي توصيل معلومات محددة للمتلقي، وهذا الخطاب يلتزم بالقواعد والقوانين اللغوية كلها أشد الالتزام، وهو محور أسلوبيته التعبيرية، والآخر هو نفس الخطاب النفعي (الحدث اللغوي) مع تضمينه قوة التأثير على المتلقي، ولم يكن هذا النوع من الحدث اللغوي الذي تهتم به الأسلوبية التعبيرية؛ إذ يرى "بالي" أن هذا أمر يخص المنتج لما عنده من طاقات تعبيرية استطاع بها تطويع الأداة اللغوية للتعبير عن إحساسه .

ومن أهم النقاط البارزة في الممارسة النقدية لهذه المدرسة ما يلي:

1. الأسلوبية عندهم سمات، وخصائص داخل لغة تعبر عن جوانب عاطفية وانفعالية.
2. تتم عملية رصد هذه السمات وفق مستويات لغوية منتظمة "صوت، معجم، دلالة" بالإضافة إلى ظواهر الصورة، والمجاز.
3. تقصي الكثافة الشعورية العاطفية التي يشحن بها الكاتب نصه في استعمالاته النوعية.
4. عملية الكشف، والتوصيف لكل خصوصية لغوية لتحقيق جانب المتعة الجمالية، والدقة الموضوعية.

ومن بعد "بالي" تطور مفهوم الأسلوبية التعبيرية، وأصبح يعنى بالنوع الثاني من الخطاب وهو الخطاب التأثيري (الأدبي)، الأمر الذي أدى إلى نقل الأسلوبية من ميدان اللغويات إلى ميدان النقد الأدبي، وقد قام تلاميذ "بالي" في مرحلة لاحقة بتطوير هذا الاتجاه عن طريق التوسع في دراسة التعبير الأدبي، فبحثوا في الأدوات الكفيلة التي يحتاجها الأديب للإفصاح والتعبير عن إحساسه الخاص، وما على الأسلوبي إلا البحث عن هذه الأدوات، وهنا تأتي مهمة

[1] غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1958 م، ص 04.

[2] شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، الكويت، 1986 م، ص 09.

الأسلوبي التي تتمثل في بحثه واستقصائه لتلك الأدوات التي استخدمها الكاتب للتعبير عن أحاسيسه، وانفعالاته، تلك الأدوات التي نقلت الخطاب النفعي، وحولته إلى خطاب تأثيري.

الأسلوبية والأسلوب

تعرف الأسلوبية "*Stylistique*" على أنها "علم الأسلوب" وهي مشتقة من لفظة أسلوب "*style*"، وقد أضيفت إليها اللاحقة "ية" لإضفاء الصفة العلمية، تماما كما لو يقال: "علم الأسلوب"، وذلك جريانا على نحو "الشعرية" "*poétique*"، و"الألسنية" "*Linguistique* "، و"السيميائية" "*sémiotique*" وغيرها من المصطلحات.

والأسلوب هو طريقة الكتابة باستعمال الكاتب الأدوات التعبيرية من أجل غايات أدبية، فهو "محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل" [1]، وينطوي مفهوم الأسلوب على جملة من الموضوعات، والمنطلقات المختلفة فهناك المنطلق الشخصي، والمنطلق الاجتماعي، والمنطلق اللغوي، فإذا كان المنطلق الشخصي يحدد الأسلوب من خلال السمات النفسية للمرسل الفرد، فإن المنطلق الاجتماعي يحدده من خلال الطبقات، والشرائح، والفئات الاجتماعية، في حين أن المنطلق اللغوي ينظر إلى الأسلوب من منظور العلائق اللغوية التي تتشكل منها الرسالة أو النص.

فـ"الأسلوب" هو طريقة في الكتابة تتماهى إلى حد كبير مع "فن البلاغة"، سواء كانت هذه الطريقة لكاتب معين، أو لجنس من الأجناس، أو لعصر من العصور؛ أي: أن "الأسلوب" هو "فن البلاغة الحديث" الذي ظهر في القرن الثامن عشر الميلادي تحت عنوان: "الأسلوبية"، وقد تحول هذا الفن تدريجيا من طريقة في الكتابة إلى طريقة في الكتابة والنقد، ولعل أول من استعمل هذا المصطلح الفيلسوف الألماني "نوفاليس" "*Friedrich Novalis*"، وكانت "الأسلوبية" عنده تختلط مع "البلاغة" [2]، وقد تبعه في هذا المفهوم "هيلانغ" "*Hilang*" الذي يقول إن الأسلوبية "عمل بلاغي" [3]، ثم انفصلت عنها، والتحقت بميدان الدراسات اللسانية التي يعد العالم السوسيري "دي سوسير" رائدها الأول.

والفرق بين "الأسلوب" كمصطلح اشتقت منه "الأسلوبية"، و"البلاغة" يكمن في الأساس الذي نشأ عليه كل منهما، فهل أساس نشأة "البلاغة" العربية كان جماليا، أم معرفيا ؟؛ ولكي نصل إلى إجابة عن هذا السؤال علينا أن نأخذ "البلاغة العربية" على أنها "علم البيان"، والمعروف أن "علم البيان" – الذي هو فرع من "علم البلاغة" اليوم – يتناول موضوعات (التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز) وأساس هذه الموضوعات هو "التشبيه"، و"التشبيه" قائم على تمثيل ما هو مجرد بما هو حسي، وبما أن الشعر الجاهلي هو حسي بامتياز فلم تكن "البلاغة" عند الجاهليين غير" التشبيه"، إلا ما ندر، أما بعد مجيء الإسلام، وتغير مركز الكون عند العرب من الارتكاز على الحسي إلى الارتكاز على الغيبي، فقد تعرض التشبيه إلى إشكال: فمن غير الممكن تشبيه الحسي بالغيبي؛ لأن الغيبي فيه حاجة إلى تشبيه في الأصل، ومن غير الممكن أيضا تشبيه الغيبي بالحسي لأن ذلك يوقعنا بالتجسيد .

---

[1] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص: 116.

[2] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 05.

[3] نفسه، ص 05.

وقد بدأت معاناة "المعتزلة" عندما وجودوا أن الله يشبه نفسه بأشياء محسوسة ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [الفجر: 22]، ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف: 54]، ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾ [الطور: 48]، ﴿ **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ [الفتح: 10]، وهذا يتعارض مع مبدأ التنزيه عندهم، فحاولوا إيجاد مبررات لتلك المشكلة ،حيث بدأوا بالتأسيس لعلم يخرجهم من هذا الإشكال، وهو "علم البيان"، الذي تغير اسمه بعد ذلك إلى "علم البلاغة"، ونخلص من هذا: بأن نشأة "البلاغة العربية" جاءت على أساس معرفي، وليس على أساس جمالي، ثم بدأت تتطور جماليا.

ويرتكز حقل الأسلوبية على ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير الألسني، وقد أحكم استغلالها علميا "دي سوسير"، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة الألسنية إلى واقعين، أو لنقل إلى ظاهرتين وجوديتين، ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة، وقد اعتمد كل الألسنيين بعد "سوسير" هذا الثنائي فحاولوا تركيزه في التحليل، وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم الألسنية [1].

وبحسب هذه الفكرة فقد أفادت "الأسلوبية" من "علم اللغة الحديث" فكرتين مهمتين:

الأولى: التمييز بين "اللغة"، و"الكلام" التي قال بها العالم "سوسير"؛ إذ ميز بينهما تمييزا دقيقا، فاللغة عنده نظام متعارف عليه من الرموز التي يتفاهم بها الناس، أما "الكلام" فهو صورة اللغة المتحققة في الواقع في استعمال فرد معين في حالة معينة، وهذا الاستعمال يطابق النظام العام للغة في صفاته الأساسية، ولكنه يختلف في تفصيلاته من فرد إلى آخر، ومن حالة إلى حالة، فلكل فرد من المتكلمين طريقته الخاصة، وهذه الفكرة قادت إلى نشوء "علم الأسلوب" لأنها شخصت السمات التي تتخذها اللغة في الاستعمال، وهي التي تكون ما سمّاه أهل الأدب "الأسلوب" [2].

الثانية: إن الاختلافات اللغوية ترجع في الغالب إلى اختلاف المواقف، فاللغة بوصفها نظاما اجتماعيا تأخذ أشكالا متعددة، وهو ما يجعل لكل فئة من الناس طريقتها الخاصة في استعمال اللغة ومن أبرز عوامل الاختلاف:

1. الجنس: فكثير من الكلمات تشيع بين النساء، ولا تشيع بين الرجال.
2. العمر: فالشباب يختلفون عن الأطفال، وكذا الشيوخ في استعمالهم اللغة.
3. المهنة: فالطبيب يستعمل طريقة في التحدث تختلف عن طريقة القضاة مثلا.
4. البيئة الاجتماعية: فالبادية تختلف عن الحاضرة في أدائها اللغوي.
5. المناسبات الاجتماعية والمواقف تتطلب في بعض الأحيان أداءً لغويا مناسبا لها.

إن هذه الاختلافات وغيرها تشترك في تكوين الموقف الذي يحاول القائل أن يراعيه فيما يختار من طرق التعبير حتى يستطيع أن يوصل ما يريده إلى شخص آخر، أو جماعة من الناس، فهو لهذا يتخير طريقة التعبير المناسبة للموقف [3].

---

[1] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 34.

[2] فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق ط 02، 2000 م، ص 40.

[3] نفسه، ص 41.

هنا أخذت "الأسلوبية" تتسع، وتتحدد معالمها بشكل أوسع عند "شارل بالي" "*Charles Bally*" إذ وجّه اهتمامه إلى دراسة اللغة عامة غاضا نظره عن كل توسع في أشكالها الأدبية [1]، حتى يمكن القول إنه "اهتم بدراسة اللغة مفردات، وقواعد، ولم يهتم بدراستها استعمالا خاصا، أو لم يهتم بما يستطيع الفرد أن يفعله بها في ظروف معينة، وغايات محددة" [2]، وقد صنف "بالي" الواقع اللغوي فجعل الخطاب نوعين؛ نوع حامل لذاته غير مشحون، وآخر حامل للعواطف، والخلجات، وكل الانفعالات [3]، ذلك أن المتكلم – بحسب رأيه – "قد يضفي على معطيات الفكر ثوبا موضوعيا، وعقليا مطابقا جهد المستطاع للواقع، ولكنه – في أغلب الأحيان– يضيف إليها – بكثافات متنوعة – عناصر عاطفية قد تكشف الأنا في صفائها الكامل، وقد تغيرها ظروف اجتماعية مردها حضور أشخاص آخرين، أو استحضار خيال المتكلم لهم.." [4].

وعليه فإن هناك – بحسب هذه الفكرة – نوعين من "الأسلوب":

الأول: الأسلوب التعبيري: وهو ذو وظيفة إبلاغية، وغايتها إثبات إرادة المتكلم بالألفاظ، ومنهجه دراسة الوسائل التعبيرية في المجال اللغوي الذي تلتقي فيه اللغة بالحياة [5]، وقد أشار إلى هذا النوع "شارل بالي" فقال: "إن اللغة الطبيعية كالتي نتكلمها جميعا ليست في خدمة التفكير الصرف، ولا في خدمة الفن، ولا تأخذ في اعتبارها المنطق الأعلى، ولا المثل الأدبي الأعلى، إنما وظيفتها الأولية والثابتة ليست إقامة القياسات المنطقية، واختتام الجمل، والجمل وفق التفاعيل الشعرية، إنها بكل بساطة في خدمة الحياة، لا حياة الأقلية بل حياة الكل، وبكل مظاهرها، ووظيفتها بيولوجية واجتماعية" [6]، وهذه مسألة عني بتطبيقها العرب منذ القدم، وهي عندهم فن أصيل، إذ أنهم غالبا ما عبروا عن جوانب الحياة اليومية بطرائق فنية تربط الحياة بالأدب، أو بمعنى آخر الحياة بالذوق الفني.

الثاني: الأسلوب الأدبي: وهو ذو وظيفة فنية تجعل للعمل الأدبي خصائص، ومميزات تميزه عن غيره، ومن أبرز رواده "ليو سبتزر" "*Leo Spitzer* "، الذي قال في توضيح هذا "الأسلوب": "يجب أن يبدأ في الحقيقة أي تحليل للنص، وأية دراسة في "فقه اللغة" بنقد الجمال مع اعتبارنا كمال العمل المدروس أمرا مفروغا منه، وبرغبة كاملة في المشاركة الوجدانية يجب أن يكون دفاعا، وتبريرا موجزا..." [7]، وهكذا يبدو إن "الأسلوب الأدبي" أسمى من "الأسلوب التعبيري" وأجل شأنا، وهو مدار الدراسات الأسلوبية، ولبنة النصوص الإبداعية.

---

[1] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية "نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989 م، ص 119.

[2] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 37.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1977م، ص 36.

[4] نفسه، ص 36.

[5] لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1970 م، ص 101.

[6] غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ص 38.

[7] نفسه، ص 72.

تعددت تعريفات "الأسلوبية"، وانطلق الباحثون في تعريفاتهم من وجهات نظر متعددة فقد قالوا إن "الأسلوبية تتمثل في "البحث عن الأسس الموضوعية لإرساء "علم الأسلوب" [1]، وإنها "طريقة في تحليل شكل النص مع الافادة من معطيات علم اللغة – اللسانيات" [2]، وإنها "نوع من الحوار الدائم بين القارئ، والكاتب من خلال نص معين" [3]، وعرفها "جاكبسون" "*Roman Jakobson*" بأنها "بحث عمّا يتميز به الكلام الفني عن باقي مستويات الخطاب أولا، وعن أصناف الفنون الإنسانية ثانيا" [4]، وقالوا إن "الأسلوبية" "بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف" [5]، وهي "مجموعة من الطرق المتميزة لا ترى الأسلوب إلا من خلال مظاهر خاصة" [6]، وهي "دراسة للعلاقات بين الشكل وبين مجموع الأسباب الاخبارية" [7]، وقيل فيها هي "دراسة التعبير اللساني" [8]، وهي أيضا: "دراسة للمتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي" [9].

إن المتأمل لهذه التعريفات يرى:

أولا: عجز هذه التعريفات عن بيان معنى واضح يجلي الغبار عن ما يحيط بها من غموض، ولعل ذلك ناتج من اختلاف المنطلقات التي حددّها لها أصحابها من جهة، واختلاف المناهج المطبقة لنمط معين من الأسلوبيات من جهة ثانية، إضافة إلى الأسباب الناشئة من الترجمة غير الدقيقة.

ثانيا: لقد حاول أصحابها جعل دراسة "الأسلوب" تقوم على أسس موضوعية تقرّبه من الدراسة العلمية، وتنأى به عن الانطباعات الذاتية، والآراء الشخصية، التي كانت سائدة منذ القدم، وهذا ما حدا بهم إلى محاولة إكساء هذا الفن ثوب العلمية، والابتعاد التدريجي عن التذوق الأدبي، وربما كان تباين وجهات النظر التي انطلق منها الباحثون عاملا مهما في صعوبة تحديد تلك الأسس، أو بكلمة أدق المسار الموجه الذي يمكن الاعتماد عليه في تحديد اتجاهات الدراسة الأسلوبية، والنتائج المستخلصة منها، حتى حدا ببعضهم إلى اعتماد الأسلوبية منهجا يناهض المناهج القديمة، ويهدمها بوصف الأسلوبية "الوريث الشرعي للبلاغة" [10]، في حين سار آخرون في خط معتدل، ورأوا فيها من مكملات الدرس البلاغي القديم.

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 30.

[2] سمير شريف، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العراق، ج 16، 1988 م، ص 239.

[3] جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م، ص 07.

[4] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 34.

[5] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 07.

[6] نفسه، ص 06.

[7] نفسه، ص 06.

[8] نفسه، ص 06.

[9] نفسه، ص 08.

[10] عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م، ص 16.

ويبدو أن عدم وجود منهج واضح يحدد المنطلقات الأساسية للدراسة الأسلوبية، وغياب الأصول التي تعنى بالكشف عن قيمة النصوص الأدبية، ثم تفرّد الأدباء في تطبيقاتها قد جعل منها عرضة للنقد، وموضعا للاتهام بعد قدرتها على حل مشكلات النقد.

وفي مطلع القرن الماضي ظهر "للأسلوبية" مفهومان:

الأول: دراسة الصلة بين الشكل والفكرة، لا سيما في ميدان الخطابة عند القدماء.

الثاني: الطريقة الفردية في "الأسلوب"، أو دراسة "النقد الأسلوبي"، وهي تتمثل في بحث الصلات التي تربط بين التعبيرات الأدبية الفردية والوجدانية [1]، وكان هذا المفهوم أساس الخلاف بين الأسلوبيين، وتعدّد اتجاهاتهم، وكان من نتائج ذلك تعدد الأسلوبيات، فظهرت "الأسلوبية التعبيرية" (الوصفية)، و"الأسلوبية البنيوية"، و"الأسلوبية التكوينية" (أسلوبية الفرد)، و"أسلوبية الانزياح"، و"أسلوبية السياق"، و"الأسلوبية الإحصائية" [2]، وتبعا لهذا الخلاف تعددت المدارس المطبقة لهذه "الأسلوبيات"، فكان هناك "المدرسة الفرنسية"، و"الألمانية"، و"الإيطالية"، و"مدرسة الشكلانيين الروس" [3].

إن من أهم السمات المميزة للدراسة "الأسلوبية" أنها "تبدأ من العمل الأدبي نفسه، ومن الكلمات، والطريقة التي ترتبط في القطعة الكتابية الخاصة، وليس ثمة حدود يحظر على طالب الأسلوب تجاوزها، ولكنه يبدأ في الأقل من نقطة إيجابية يمكن تحديدها" [4]، بمعنى أن" الأسلوبية" ليس من شأنها أن تتعرض إلى رسالة الأدب، أو مذاهبه، كما ليس من شأنها التمييز بين مذاهب الأدب المختلفة كتلك التي ترى في الأدب تمثيلا لتجربة بشرية، أو تلك التي ترى فيه نقدا للحياة، أو تلك التي ترى فيه وسيلة للتعبير عن ذات الإنسان، أو تعكس شخصيته.

كما إنها لا تتدخل في الأدب بتقييمه، فذلك مجاله لاتجاهات نقدية أخرى تتعلق بالذوق الشخصي، أو مبنية على اتجاهات جمالية معينة [5]، ومن هنا يتضح قصور "المنهج الأسلوبي"، وضيق نظرته في التعامل مع النصوص الإبداعية، وهذا ما يناقض مع قولهم إن "الأسلوبية" تمثل منهجا علميا في طرق "الأسلوب الأدبي"، وإنها نظرة شمولية تقتضي مقاييس محدّدة يدرك من خلالها قوام الإبداع الأدبي [6]، ومما يزيد من قصور هذا المنهج إنها تجعل النص ساحة تنطلق منها الدراسة الأدبية، وتعده فريدا لا يمكن القياس عليه، وبالتالي القضاء على روح النقد لأن ذلك يسبب غياب الأصول التي يتخذها النقاد أساسا في تحليلاتهم الأدبية لاستكشاف قيمة النص، وتفرد الأديب فيه.

نحو منهج أسلوبي عربي

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984 م، ص 128.

[2] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 32 وما بعدها.

[3] جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، ص 07.

[4] غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ص 49.

[5] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 288، 289.

[6] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 109، 110.

يتعرض اليوم تراثنا العربي إلى حرب ضروس لا هوادة فيها، ولا رحمة، وتتشكل كل يوم في شكل، وتتخذ من ثياب الحداثة لبوسا، وتجعل من الذين استهوتهم ثقافة الغرب جندا، فراح الناس يقلّدونهم، ويمشون في مواكبهم، متخذين من الحداثة والمعاصرة حججا تظللهم، وراحوا يحقرون من ثقافة العرب بنأيهم عنها، ناسين – بل متناسين – تراثهم الضخم، وحضارتهم التليدة.

لقد طرحت النظريات اللسانية الحديثة فرضيات جديدة لدراسة "النص الأدبي"، فاستهوت هذه النظريات أفئدة كثير من الباحثين العرب فراحوا يقلدونها فأساءوا التقليد، وذهبوا يجرّبونها فأخطأوا التجريب، ودعوتهم في ذلك أن الغربيين قد فاقوا العرب في كل شي، وهب أن ذلك صحيح في ميادين العلم والتكنولوجيا، لكنّ تراثنا أصيل، وما وصل إلينا من ذلك التراث يجعلنا نطمئن إلى مناهجنا القويمة التي ترسم الطريق لدراسة النصوص الأدبية دراسة أسلوبية تذوقية، وجمالية في آن معا، نعم لا بأس من الإفادة من هذه النظريات الحديثة لكنها يجب أن لا تكون أساس الدراسات الأدبية عامة، والأسلوبية خاصة، ولنحاول أن نجعلها مكمّلة لموروثنا القديم بما لا يتعارض مع مصطلحات ذلك الموروث، ومفاهيمه الأساسية.

إن "المنهج الأسلوبي الحديث" لا يزال قاصرا عن إعطاء النصوص الأدبية وجهتها الحقيقة، ذلك لأنه ينطلق من فرضية أساسها النص وحده متجردا عما يحيط بمنشئه من ظروف تسهم في خلق أسلوبه من جهة، وطبيعة المتلقي من جهة ثانية، ويتجلى هذا القصور في كون العملية الإبداعية عامة، والشعرية خاصة تنبني على ثلاثة محاور رئيسة هي:

1 – منشئ النص (المتكلم).

2 – النص (الرسالة).

3 – المستقبل (المتلقي).

وعليه فإن هناك صلة وثيقة بين هذه الأطراف الثلاثة، وإن إغفال أي واحد منها يؤدي إلى الخلل في الدراسة، فمن حيث "المنشئ" فهو إنسان يخضع للكثير من العوامل التي تحدث أثرها في أسلوبه شعريا كان أم نثريا، ولعل أول هذه العوامل نفسه، فالنص الأدبي "يستمد قيمته الفنية من طريقة صياغته، وائتلاف مكوناته، وظرفه بعد أن يمّر بظرف الأديب، وانفعلاته الوجدانية، وما يجيش في صدره من عواطف، فيشحذ رهافة مكوناته التعبيرية ليفيد من خصائصها الإيحائية فتؤدي أقصى ما لديها من طاقات ذلك إن الجمال في الأسلوب مصدره السمو في التعبير، وهو صفة نفسية تصدر عن خيال الأديب وذوقه"، والواقع إن مسألة الإحساس لصيقة بالنفس الإنسانية منذ القدم، ولا يستطيع أي إنسان أن يتحرر من أحاسيسه في التعبير عن مكنونات نفسه، بما ينعكس ذلك كله على نتاجه الإبداعي.

وتبعا لاختلاف المواقف التي تحدو بالأديب إلى إنشاء النص فإن ذلك كله يؤثر في طبيعة الأسلوب المصاغ، فشاعر معين حينما يكتب في الغزل، فإن أسلوبه – بطبيعة الحال– يختلف عن الكتابة في الرثاء، أو الهجاء، أو المدح، فلكلٍ أسلوبه الخاص به على نحو ما أشار إلى ذلك القدماء.

ثم إن أثر العصر عامل آخر يسهم في تشكيل "الأسلوب"، فشاعر "كحسان بن ثابت" كان قد علا شعره في الجاهلية فلما أسلم لان ومال نحو السهولة والسلاسة [1]، وما ذلك إلا للأجواء الجديدة التي اصطبغت بها مظاهر الحياة بعد ظهور الدين الإسلامي، لذلك فإن فرضية إهمال (منشئ النص) وما يحيط به، والاقتصار على النص وحده مجردا عما حوله هو أمر تعوزه الدقة، وربما لا يمكن الحكم بصحته بتاتا.

أما من حيث "المتلقي" فإن للشاعر أن يختار أسلوبه الملائم لطبيعة المتلقي، فالألفاظ التي يُخاطَب بها أهل المدينة هي غيرها التي يخاطب أهل الريف والبادية، ولذا فإن مخاطبة الطبقة المثقفة هي غيرها للطبقة العامّة، وهذا يتطلب أن يكون لكل طبقة أسلوب خاص يخاطبها بها الشاعر.

فقبل القيام بأي تحديد يجب أولا مراعاة الخطوات الآتية:

أ- إعادة قراءة تراثنا العربي قراءة متأنية وواعية لنأخذ منه الأصول الأساسية فنفيد منها في تحليلاتنا الأسلوبية، ولتكون دليلا على أصالة مكوناتها الفكرية فتحقق بذلك السبق، والريادة على ما تطرحه النظريات الحديثة من مناهج وأفكار.

ب- دراسة العلاقة بين الألفاظ والمعاني على نحو يفضي بنا إلى دراسة الصور الفنية بوصفها امتدادا لهما، فلا فضل للفظ على معنى ولا العكس إلا بمقدار تآلفهما، وقدرتهما على رسم الصورة الفنية، وبمعنى ثانٍ إن دراسة الصورة الفنية الأساس لمعرفة النص، وسر جماله، ومقدار إبداع منشئه من دون الخوض بالتقسيمات التي أنهك البلاغيون أنفسهم في إيجادها مما لا طائل، ولا جدوى منه.

ج- التأكيد على وحدة النص الأدبي، ودراسته من دون أن نعمد إلى تفكيكه، ودراسة عناصره بصورة مستقلة لأن هذا يؤدي إلى ضياع المراد، وطمس معالم الإبداع الحقيقي.

د- دراسة المقومات الأسلوبية التي تكون منها النص الأدبي، والحكم عليها بلاغيا ونقديا باستعمال المصطلحات التي ألفها العربي، من دون إقحام مصطلحات غريبة تنوء بحملها آذان السامع، لأن الغاية من الدراسة الأسلوبية هي الحكم على النص، وتقديمه مقروءا، أو مسموعا إلى المتلقي، فلا بد من أن تكون لغة الدراسة مفهومة بتحقيق نوع من الأرضية المشتركة بين المنشئ والمتلقي.

هـ- بقاء الأسلوبية على ما نقرؤها في دراسات القدماء، وما نجده في دراسات المحدثين فنّا يتصل بالحياة، وعلما يتمشى مع الذوق، ومسألة تحقق الطموح، والإحساس بالجمال.

مما سبق:

وبعد هذا التوضيح والتفريق يمكننا أن نورد تعريفا "للأسلوبية" منطلقتين من آراء الباحثين والنقاد، فالأسلوبية "*Stylistique*" هي – علم الأسلوب – وهي مشتقة من لفظة أسلوب "*style*"، وقد أضيفت إليها اللاحقة "ية" لإضفاء الصفة العلمية، تماما كما لو يقال: "علم الأسلوب"، وذلك جريانا على نحو الشعرية "*poétique*"، والألسنية "*Linguistique* "، والسيميائية "*sémiotique*" وغيرها من المصطلحات.

[1] هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981 م، ص 288.

والأسلوب هو طريقة الكتابة باستعمال الكاتب الأدوات التعبيرية من أجل غايات أدبية، فهو "محصلة مجموعة من الاختيارات المقصودة بين عناصر اللغة القابلة للتبادل"، وينطوي مفهوم الأسلوب على جملة من الموضوعات، والمنطلقات المختلفة فهناك المنطلق الشخصي، والمنطلق الاجتماعي، والمنطلق اللغوي، فإذا كان المنطلق الشخصي يحدد الأسلوب من خلال السمات النفسية للمرسل الفرد، فإن المنطلق الاجتماعي يحدده من خلال الطبقات، والشرائح، والفئات الاجتماعية، في حين أن المنطلق اللغوي ينظر إلى الأسلوب من منظور العلائق اللغوية التي تتشكل منها الرسالة أو النص.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م.
2. سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 01، 1983 م.
3. رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991 م.
4. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م.
5. غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1958 م.
6. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، الكويت، 1986 م.
7. بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
8. فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق ط 02، 2000 م.
9. هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية "نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989 م.
10. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1977م.
11. لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1970م.
12. سمير شريف، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العراق، ج 16، 1988 م.
13. جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 01، 1999م.
14. عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م.
15. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1984 م.
16. هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981 م.

المحاضرة الثالثة

علم الأسلوب والدلالة.

توطئة:

يعد البحث في علاقة علم الأسلوب بالعلوم اللغة الأخرى هو في حقيقته "كشفا عن أصوله وخصائصه التركيبية لا من حيث معالمه ضمن تطوره التاريخي، وإنما في بنيته الآنية كما تتجلى لنا اليوم في الحقل العربي" [1]، فعلم الأسلوب استفاد كثيرا من العلوم اللغوية، والبلاغية، والنقدية بل وحتى العلوم الرياضية، والعلمية، والاحصائية؛ ذلك أن "الأسلوب" من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب على وجه الخصوص، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما كونه ركيزة لغوية، ونوعا من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية لغوية غير لغوية كما ذهب إليه "كمال بشر" في قوله: "وحقيقة الأمر عندنا أن "علم الأسلوب" ينتمي إلى مجالين:

1. مجال الدراسات اللغوية وذلك بالنظر إلى الأسلوب على أنه بناء، أو هيكل لغوي مكونة عناصره من وحدات لغوية جاءت منسوقة وفقا لمعايير لغوية على وجه من وجوه قواعد اللغة المعينة.
2. مجال الأدب ونقده بوصفه نوعا من التعبير منفردا بخواص تعبيرية مميزة لغوية وغير لغوية، وبوصفه نمطا خاصا من الكلام يفي أولا بأغراضه الأدبية، والثقافية، والاجتماعية، والنفسية أيضا" [2].

وإذا كانت اللغة بناء إلزاميا على الأديب من حيث الشكل فإن الأسلوب هو تلك الإمكانات التي تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب، أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب، بل ينبغي أيضا الوصول إلى المعنى بأوضح السبل، وأحسنها، وأجملها [3]، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب وانعدم معه، ومن بين هذه العلوم التي استفاد منها علم الأسلوب "علم الدلالة" كون هذا الأخير مهم جدا في فهم النص الأدبي شعرا كان أو نثرا، كما يقوم بتحليل بناه المكونة له على الصعيدين الخارجي والداخلي "ذلك أن النص يتحرك ضمن دلالاته، ولا شيء يقوى على ضبط هذه الدلالات، وتحديد مواقعها، أو رسمها، وبنائها قدر ما يقوي الأسلوب عليه، ومن هنا نرى قيمة علم الدلالة بالنسبة للتحليل الأسلوبي حيث لا غنى للمحلل عنه، وإن اقتضاء هذا الأمر إنما يعني في أحد وجوهه ضرورة هذين العلمين، أو اشتراكهما معا للإمساك بالمتغيرات الدلالية التي ينطوي عليها الحدث الأسلوبي" [4].

علم الدلالة:

يلح اللسانيون واللغويون اليوم، على جعل علم الدلالة علما خاصا بدراسة معنى الكلمات، أو المعنى اللغوي عامة دون التطرق إلى مسائل منطقية، ونفسية، على الرغم من أن "علم الدلالة علم فسيح الأرجاء، متداخل الأجزاء، متسع العلاقات مع المستويات اللغوية الأخرى الصوتية، والبنائية، والتركيبية، زيادة على علاقته بعلوم ومعارف إنسانية كثيرة كالفلسفة، والفقه، وعلم الكلام، والتاريخ، والجغرافية، والاجتماع، وغيرها من العلوم التي يبدو بعضها شديد

---

[1] عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 01، 1984 م، ص 57.

[2] كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 م، ص 21.

[3] ينظر: ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981 م، ص 116.

[4] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومه، الجزائر، 1986 م، ج 1، ص 48.

الاشتباك بعلم الدلالة" [1]، والحقيقة أن العناية بدراسة المعنى كانت من أقدم اهتمامات الفكر الإنساني، وحظيت بمكانة متقدمة في التفكير العربي القديم خاصة.

وتعد إسهامات اللغويين العرب مهمة في مجال وضع الرسائل الدلالية المتنوعة، والتي كانت بذرة لظهور العمل المعجمي المنظم على يد "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، وتلامذته "[2]"، ثم جاء "أحمد بن فارس"، وربط بين المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها في معجمه الضخم "مقاييس اللغة"، وقام "الزمخشري" بمحاولة رائدة في كتابه "أساس البلاغة" حين ميز بين المعاني الحقيقية، والمعاني المجازية، أما الأصوليون، فقد تناولت كتبهم مباحث الدلالة اللفظية من حيث المنطوق، والمفهوم، والعموم والخصوص، والظهور والخفاء وغنيت مؤلفاتهم ومؤلفات معاصريهم من مناطقة، وفلاسفة بأمثلة هذه القضايا المتصلة اتصالا وثيقا بالدرس الدلالي والمعجمي، "كابن سينا"، و"الفارابي"، و"ابن رشد"، و"أبو حامد الغزالي"، و"القاضي عبد الجبار"، وفي الدرس الحديث، يولي علم الدلالة الكلمة عناية بالغة باعتبارها الوحدة الدلالية الأساسية في اللغة الإنسانية، لها معنى أساسي، أو مركزي عليه مدار الاتصال بين أفراد الجماعة الواحدة، ومعان إضافية سياقية تلقي بظلالها على المعنى الأساسي، ولسلامة الفهم بين المتخاطبين يشترط دوما معرفتها بالمعنى الأول للكلمة.

فالحقيقة الفعلية للغة تكمن أساسا في فهم معناها [3]، "والسر في ذلك أن مباحث العلوم كلها إنما هي في المعاني الذهنية والخيالية" [4]؛ إذ يلعب المعنى دورا أساسيا في مستويات تحليل الخطاب اللغوي، "إن جزءا من صعوبة ربط اللغة بالعالم الخارجي قد ينجم من حقيقة أن الطريقة التي ننظر بها إلى العالم تعتمد إلى حد ما على اللغة التي نستعملها" [5]، ومن هنا كان الاهتمام بالدلالة لا لأن لها علاقة باللغة فحسب بل لعلاقتها بكل أجناس العلوم.

إن للدلالة علاقة بشتى مجالات الحياة، فالمعنى يغطي جوانب عديدة للغة "فاللغة وعموم المؤشرات الظاهرية للغة تؤدي دور تثبيت الحديث في الواقع الظرفي الذي يحيط بمثال الحديث، وهكذا فإن المعنى المثالي لما يقوله المرء في الكلام الحي ينثني نحو إسناد واقعي، أي نحو ذلك الشيء الذي يتحدث عنه المرء" [6]، ومما يخلص إليه

---

[1] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 17.

[2] أحمد محمد قدور، المدخل إلى فقه اللغة العربية، جامعة حلب، سوريا، 1991 م، ص 190 وما بعدها.

[3] جاء في كتاب البيان والتبين قول للجاحظ عن بعض جهابذة الألفاظ ونقاد المعاني، وهذا نصه: "المعاني قائمة في صدور الناس، متصورة في أذهانهم، ومختلجة في نفوسهم، ومتصلة بخواطرهم، وحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى مالا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره، وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها."، الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998 م، ج 1، ص 75.

[4] ابن خلدون، المقدمة، تح سهيل زكار، وخليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001 م، ج 1، ص 750.

[5] بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، العراق، 1985 م، ص 53.

[6] إدوارد سعيد، العلم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000 م، ص 39.

"دي سوسير" من خلال اعتباطية اللغة "أنها ليست نظاما من الأمور الجوهرية الثابتة، بل من الأشكال غير المستقرة؛ إنها نظام من العلاقات بين الوحدات التي تشكلها، وهذه الوحدات ذاتها هي الأخرى من الاختلافات التي تميزها عن سواها من الوحدات التي لها بها علاقة، وهذه الوحدات لا يمكن أن يقال إن لها وجودا بذاتها بل تعتمد في هويتها على أندادها فالمحل الذي تحتله وحدة ما، سواء أكانت صوتية، أو معنوية في النظام اللغوي هو الذي يحدد قيمتها، وهذه القيم تتغير؛ لأنه ليس هناك ما يمسك بها ويثبتها والنظام اعتباطي بالنسبة للطبيعة، وما هو اعتباطي قد يتغير" [1]، فاللغة بهذا الفهم الذي أقره "دي سوسير" شكل، وليست جوهر.

ولعل هذا الذي أدركه "ابن خلدون" في "المقدمة"؛ إذ يقول: "اعلم أن اللغات كلها شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات؛ وإنما هو بالنظر إلى التراكيب" [2]، وهذا هو حال الدرس الدلالي يهتم أكثر بالبناء التركيبي للخطاب، لكن دون إهمال الصيغ الإفرادية.

فالبحث في القضايا اللغوية في الدرس الدلالي العربي القديم حظي بإدراك الفهم الصحيح، والمنهج الناضج الذي يجعل من الدرس الدلالي يقترب أكثر من قضايا المنهج اللغوي الحديث، وبخاصة الدرس اللغوي الغربي، مع ما بين المنهجين من نقاط اختلاف يبعثها اختلاف السياق الحضاري الذي ظهرت فيه الآراء اللغوية، واللسانية العربية، والغربية فارتباط العرب في تفكيرهم النظري، والتطبيقي بالقرآن كان كافيا لتوجيه الدرس الدلالي نحو العلمية التي تؤكدها السيميولوجيا، واللسانيات الحديثة؛ ومن ثم كان التعامل مع اللغة كواقعة اجتماعية قابلة للدرس والمشاهدة من خلال فهم النصوص الدينية فهما سديدا، واستنباط الأحكام منها، وتطبيقها في الحياة اليومية.

إن ما يميز اللغة طبيعتها الصوتية، وقيامها بأداء وظيفة اجتماعية تواصلية، مع تنوع البناء اللغوي واستخداماته لها، لذا يمكن القول منذ البدء بأن البحث في اللغة عند العرب كان مؤسسا على منهج علمي واضح هدفه خدمة النص الديني، وإثراء الحياة الاجتماعية بأحكامه على طريق تفسيرها، وكشف غموضها تمهيدا للعمل بها، ثم إن هذا الهدف الديني كان المحرك الأول والمباشر للتفكير في اللغة من حيث هي نظام من العلامات غرضه إقامة التواصل، فاللغوي العربي بحث باللغة، وفي اللغة وللغة، أو ما يمكننا أن نعبر عنه بالمصطلح الحديث أن اللغويين العرب درسوا اللغة لذاتها ولأجل ذاتها من حيث هي موضوع علمي قابل للتوصيف منهجيا.

فمن خلال ذلك أوفى اهتمام العرب باللغة وعلومها على الغاية، ولا عجب في ذلك إذ كانت اللغة العربية لغة الوحي، ولذلك أدى اهتمام العرب بلغتهم إلى نتائج علمية في الدرس اللغوي والدلالي العربي، فنهضوا بدراسات صوتية هامة للحروف ومخارجها وصفاتها، وتعمقوا في دراسة النحو، والتراكيب، والصرف، والأبنية، وسبقوا في وضع المعاجم اللغوية على اختلاف أنواعها ومناهج ترتيبها، فالبحث في قضية اللغة مهما كان منهجه ومرماه يحيلنا مباشرة

---

[1] جون ستروك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شترواس إلى ديريدا"، ترجمة جابر عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م، ص 18، 19.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 659.

إلى مشكل علاقة الإنسان بالظاهرة اللغوية في أصل اتصاله بها، ثم في مدى انحصاره فيها والتراث العربي في منطوقه ومضمونه قد زخر بتساؤلات مبدئية تمحورت حول ديمومة لقاء الإنسان باللغة منذ القدم، ولا يتميز الإنسان بشيء تميزه بالكلام.

الدلالة لغة:

مما جاء في مادة "دل" في المعاجم اللغوية العربية كثير، ومن ذلك ما جاء في معجم "تاج العروس": "دل يدل، إذا هدى" [1]؛ أي أرشد؛ ولعل هذا المعنى هو الذي تحدث عنه القرآن الكريم في آيات كثيرة [2]، ويقول "ابن فارس": "الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تنقلها، والآخر اضطراب في الشيء، فالأول قولهم: دللت فلانا على الطريق والدليل: الأمارة في الشيء، وهو بين الدَّلالة، والدِّلالة" [3]، والدليل هو ما يستدل به "وقد دله على الطريق يدله دَلالة، ودِلالة، ودُلولة، والفتح أعلى" [4]، ومن ذلك الاستدلال "وهو تقرير الدليل لإثبات المدلول، وقد يكون مطاوعا لدله الطريق" [5]، ويقول "ابن منظور": "والدليل: هو الدال" [6]، فاللغة كما قال "ابن خلدون" هي: "هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني" [7]، ولعل خير ما يساعدنا على فهم الدلالة العميقة لموقف علماء اللغة "هو أن نفهم السبب الذي يمكن من وراء التمسك بالأصل اللغوي وليس من شك في أن هذا السبب يعود إلى الربط بين اللغة، والدين ربطا جوهريا، فقد فسرت الآية : ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة: 31]؛ بأن الله علم آدم "عليه السلام" اللغة العربية، وهي إذن قديمة قدم آدم "عليه السلام"" [8]، ومن هنا كان الدين عاملا أول في دراسة اللغة، فقد كانت هذه الدراسة اللغوية وسيلة لمعرفة الدين بعامة، ولفهم القرآن بخاصة.

فالمعنى اللغوي للدلالة يوحي "عند القدامى بالإرشاد، والهداية، والتسديد أو التوجيه نحو الشيء، والدلالة أعم من الإرشاد والهداية، أي: المعنى المراد من الكلمة اللغوية، أو الذي تحمله الكلمة فلا دلالة للرمز اللغوي من غير أن يكون قادرا المعنى، فالكلمة إنما تقوم في واقع الأمر بثلاث وظائف في آن واحد:

الأولى: أنها تمثيل، أو قل رمز للمسمى في عالمه الخارجي سواء أكان ماديا، أم معنويا، أم فكرة.

---

[1] الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1993 م، ج 28، ص 502، مادة "دل".

[2] يقول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا** ﴾ [الفرقان: 45]، وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الصف: 10]، وقوله: ﴿ **فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ** ﴾ [سبأ: 14]، وغيرها من الآيات.

[3] ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م، ج 2، ص 260، مادة "دل".

[4] الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990 م، ج 4، ص 1298، مادة "دل".

[5] الزبيدي، تاج العروس، ج 28، ص: 502، مادة "دل".

[6] ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 16، ص 1414، مادة "دل".

[7] ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 750.

[8] أدونيس، الثابت والمتحول "بحث في الإبداع والإتباع عند العرب"، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط07، 1994 م، ج 2، ص 151.

الثانية: أن الكلمة قد تكون شاملة تستقطب كل أنواع المسمى، فكلمة إنسان، تدل على مخلوق، ناطق مفكر، ذكر أو أنثى، صغير أو كبير.

والثالثة: أنها موزعة، أي: إن المعنى ليس ذهنيا نظريا دائما؛ وإنما هو في الغالب محصلة توزيعية بنائية يتحدد المعنى فيها من خلال استعمالها، وانتظامها، وسياقها، وعلاقتها بكلمات أخرى داخل التركيب المعين، أو ما يسمى بالسياق اللغوي، وملاحظة سياق الحال" [1]، من هنا نخلص أن أهم الجوانب في دراسة الاتصال اللغوي هو جانب المعنى؛ ذلك بأن الاتصال يتم بواسطة مرسل، ومستقبل، وبينها رسالة خطابية، ويسعى المتلقي دائما إلى إدراك مقاصد باعث الخطاب، وقد تقوم العقبات في سبيل إدراك هذه المقاصد فيكون ذلك سببا في فشل مشروع الاتصال؛ بل إن المتلقي نفسه قد يكون سببا في إفشال هذا المشروع [2]، إما عن عمد وإما عن غفلة.

الدلالة في الاصطلاح العربي القديم

علم الدلالة في الدراسات اللغوية العربية هو ذلك العلم الذي اصطلح عليه أهل اللغة، واللسان، والفلسفة، والأصول العربية، وعلم الكلام، والمناظرة "أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول: يسمى دالا، والشيء الآخر: يسمى مدلولا" [3]، وهو ما يطابق إلى حد ما التعريف المعاصر لعلم الدلالة، فاصطلاح الدلالة في التراث العربي القديم هو: "كون اللفظ من أطلق أو أحس فهم منه معناه للعلم بوضعه" [4]، وهي عندهم منقسمة إلى ثلاثة أقسام: "المطابقة، والتضمن، والالتزام؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة، وعلى جزئه بالتضمن إن كان له جزء، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام، كالإنسان فإنه يدل على تمام الحيوان الناطق بالمطابقة على أحدهما بالتضمن، وعلى قابل العلم بالالتزام" [5]، ولعل أوضح الدلالات لمصطلح "دلالة"، وأكثرها استخداما في الكتابات القديمة، "هي الدلالة التي تقرن "المعنى" بالغرض، أو "المقصد" وتربطه بما يريد المتكلم أن يثبته، أو ينفيه من الكلام، و"المعنى" بهذا الاستخدام، يرادف الفكرة العارية المجردة، التي يتفنن المبدع في صياغتها، ويستخلصها المتلقي من صياغة المبدع، بعد تجريدها من حواشي الصياغة وزخارفها" [6]، فظاهر كلام المنطقيين أن تقسيم الدلالة إلى مطابقية، أو تضمنية، أو التزامية هي من خصائص المفردات، والكلمات لا الكلام والجمل، ولكن الأصوليين عمموها إلى الكلام أيضا، فيجري فيه ما يجري في الصيغ الإفرادية، مثلا إذا قلنا: الشمس مشرقة، فقد أخبر بالدلالة الالتزامية عن أن النهار موجود.

---

[1] هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 23، 24.

[2] ينظر: تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م، ص 149.

[3] الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985 م، ص 109، وينظر: محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م، ج 1، ص 787.

[4] الزبيدي، تاج العروس، ج 28، ص: 498، مادة "دل".

[5] نفسه، الصفحة نفسها.

[6] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 03، 1992 م، ص 313.

فكلمة "دلالة" في الاصطلاح اللغوي العام هي مصدر فعل "دل" بمعنى "أشار" "[1]"، وأما الدلالة في الاصطلاح البياني فقد وجهها "الجاحظ" وجهة أخص مشيرا بها إلى العلامة التي بدونها لا يكون لحاجات الفكرة المستترة وجود ظاهر محسوس؛ فالدلالة بالنسبة للمعنى هي الإشارة الظاهرة التي بواسطتها يمكن تعيينه وتجسيده، وقد تترادف عند "الجاحظ" كلمتا الدلالة، والإشارة من هذه الناحية كما في قوله: "وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، وكان أنفع وأنجع" [2]، وإذا عدنا إلى المفهوم العام لكلمة "بيان" عند الجاحظ والذي يعني "الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله يمدحه، ويدعو إليه، وبذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم" [3]، ويمكن حصر هذه الدلالات إلى خمسة أقسام [4] هي: اللفظ، والكتابة، والإشارة، والعقد، والحال أو النصبة.

وجاء في "الكليات" "لأبي البقاء الكفوي" أن الدلالة هي: "كون الشيء بحيث يفيد الغير؛ علما إذا لم يكن في الغير مانع كمزاحمة الوهم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية" [5]، وفرق "أبو البقاء" بين الدلالة والاستعمال؛ إذ يقول: "هذا لفظ يدل على العموم، ثم قد يستعمل حيث لا يراد العموم بل يراد الخصوص" [6]، أما "ابن جني" فاهتم بدراسة العلاقة بين الألفاظ والمعاني وبيان المناسبة بينهما، وكان التركيز الأول عنده على القيم الصوتية والصرفية ودلالتها.

أما "ابن سينا" فقد أقدم على شرح العملية الدلالية اللغوية، والدور الذي تقوم به في عملية التواصل مركزا على الأبعاد النفسية للدلالات اللغوية يقول "ابن سينا" في هذا الصدد: "ومعنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال المسموع ارتسم في النفس معنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلما أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه" [7]، هذه الأبعاد النفسية للدلالات اللغوية التي ركز عليها "ابن سينا" لم تكن في إفرادية اللفظ فحسب؛ بل تعدته إلى المستوى التركيبي الأسلوبي، فالاهتمام بعلم التراكيب هو جانب مهم من علم الدلالة العام؛ لأنه يرتبط بعلم النحو الذي له دور في معرفة معاني التراكيب من حيث الحركات الدالة على ذلك.

هذا بالنسبة للمنطوق، أو المسموع، فالدرس العربي القديم لم يهمل المكتوب أيضا يقول "أبو حامد الغزالي": "فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال موجود في

---

[1] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 م، ج 9، ص 270.

[2] الجاحظ، البيان والتبين، ج 1، ص 75.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] يقول "الجاحظ": "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة"، نفسه، الصفحة نفسها.

[5] أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م، ص 493.

[6] نفسه، الصفحة نفسها.

[7] ابن سينا، العبارة، تح، محمود الخضيري، مراجعة إبراهيم مدكور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص 04.

الأعيان" [1]، ويفرد "الغزالي" بحثا كاملا في هذا المجال لبيان رتبة الألفاظ في مراتب الوجود، فيقول: "اعلم أن المراتب فيما مقصده أربع، واللفظ في المرتبة الثالثة:

1- فإن للشيء وجودا في الأعيان.

2- ثم في الأذهان.

3- ثم في الألفاظ.

4- ثم في الكتابة.

فالكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس هو مثال موجود في الأعيان" [2]، هذا الاهتمام اللغوي بدلالة الخطاب المكتوب في التراث اللغوي العربي القديم قابله نوع من الإهمال في الدراسات اللغوية اليونانية القديمة؛ إذ اعتبر "سقراط" الكتابة مجرد "رسم يولد كائنا لا حياة فيه، يبقى صامتا حين تتوجه إليه بالسؤال، وكذلك إذا توجه المرء إلى الكتابات بغية استنطاقها والتعلم منها، فإنها تشير إلى شيء واحد بعينه، إشارة تبقى دائما كما هي" [3]، واعتبر اليونانيون القدماء أن النفوس ستكون أكثر نسيانا إذا وضعت ثقتها في علامات خارجية كتابية بدلا من الاعتماد على أنفسها من الداخل.

وأخذت الكتابة عند "ابن خلدون" محورا هاما؛ إذ اعتبرها "رسوما لها دلالة خاصة على الألفاظ المقولة، وما لم تعرف تلك الدلالة تعذرت معرفة العبارة، وإن عرفت بملكة قاصرة كانت معرفتها أيضا قاصرة" [4]، واعتبر "ابن خلدون" الكتابة بيانا عن القول والكلام المنطوق [5]، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني؛ واشترط في القول والكلام أن يكونا واضحي الدلالة.

بل زاد الدرس اللغوي والدلالي اهتمامه بالمنطوق والمكتوب إلى دلالة الإشارات والرموز؛ يقول الراغب الأصفهاني: "الدلالة ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك يقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي؛ قال تعالى: ﴿ **مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ** ﴾ [سبأ: 14]" [6]، ويعتبر "عبد القاهر الجرجاني" أنه "ليس

---

[1] أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1960 م، ص 75.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 2006 م، ص 73، 74.

[4] ابن خلدون، المقدمة، ج 1، ص 750، 751.

[5] نفسه، ج 1، ص 524 .

[6] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 171.

على الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظه في النطق بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل" [1]، وأما "ابن خلدون" فقد أولى أهمية كبيرة للدرس اللغوي الدلالي بصورة مستقلة عن باقي العلوم الأخرى.

ومما يقوله "ابن خلدون" في مجال التعلم وهو معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية: "فلابد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى الفكر في مطلوبك دلالة الكتابة المرصوفة على الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق" [2]، ويتطرق "ابن خلدون" إلى ماهية الدلالة في تعريفه لعلم البيان فيقول: "هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية؛ لأنه متعلق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الأمور التي يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي: إما تصور مفردات تسند ويسند إليها ويفضي بعضها إلى بعض، والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء، والأفعال والحروف، وإما تمييز المسندات من المسند إليه والأزمنة" [3]، وهذا الاهتمام بالدرس الدلالي لا يقتصر على "سيبويه"، أو "ابن سينا"، أو "ابن خلدون" ، بل تميز به جل علماء التراث.

فالناظر في تراث التفكير العربي "يدرك بيسر أن رواده قد كانوا ينزلون التقاء الإنسان باللغة في لحظة التحديد ذاتها، إذ أن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه ففي مستوى التعريف المنطقي للإنسان تمثل الظاهرة اللغوية المحور الفقري الذي تتولد عنه مجموعة الفوارق التمييزية على الصعيد الوجودي والفلسفي عامة" [4]، فاللغويون العرب وبحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج وانصهار الخطاب الديني في هذه المميزات، قد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدسيتها ومراتب إعجازها؛ فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه بعض الدراسات اللغوية الغربية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين.

الدلالة في اصطلاح المحدثين

ارتبط علم الدلالة بمعناه الفرنسي "*Semantique*"، لدى اللغوي الفرنسي "ميشال بريال" "*M.Bréal*" [5]؛ إذ "اشتقت هذه الكلمة الاصطلاحية من أصل يوناني مؤنث "*Simantik*" مذكره "*Semantikes*"؛ أي: يعني يدل ومصدره كلمة "*Sema*" أي: إشارة وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الإنجليزية، وحظي بإجماع متداول بغير

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992 م، ص 45.

[2] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون " المقدمة "، ج 1، ص 504.

[3] نفسه، ج 1، ص 659.

[4] عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، وليبيا، ط 02، 1986 م، ص 46.

[5] تقول "ميلكا إفيتش" "*Milka Ivic*": "وضع الأساس لعلم الدلالة اللسانية –وهو علم معاني الكلمات وأشكالها النحوية – في نهاية القرن التاسع عشر، وكان تأسيسه في المقام الأول ثمرة لعمل اللساني الفرنسي "ميشال بريال" غير أن هذا العلم لم يبدأ في التطور على نحو جدي بوصفه فرعا مستقلا من فروع اللسانيات إلا في القرن العشرين، وكان تطوره في السنوات الأخيرة على وجه الخصوص أكثر نجاحا بفضل تزايد أعداد المهتمين بمشكلاته، واكتساب أفاق نظرية أكثر رحابة، واستخدام إجراءات منهجية أكثر كفاءة"، ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد الله مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط 02، 2000 م، ص 361.

لبس "*Semantics*"" [1]، وارتبط علم الدلالة عند المحدثين بدراسة المعنى وتحليله، فعلم الدلالة "بمفهوم المعنى؛ أي: بما هو فحوى "*sens*" أو مغزى، وهو في هذه المرحلة يصبح رديفا لمفهوم المعنى" [2]، ويعنى علم الدلالة في العصر المعاصر بدراسة الألفاظ المفردة، والتراكيب، وبخاصة الجمل ذلك باعتبار الجملة الشيء الفعلي الحقيقي الوحيد "لأنها الحدث الفعلي في لحظة التكلم، وهذا هو السبب في أننا لا نستطيع أن نعبر من الكلمة بوصفها العلامة المعجمية إلى الجملة بتوسيع منهجية واحدة لتشمل وحدات أكثر تعقيدا، فالجملة، هي وحدة الخطاب الأساسية" [3]، هذه الدراسة لدلالات الصيغ الإفرادية والمستويات الصوتية، وكذا الأساليب التركيبية اتسمت بالوصفية والموضوعية [4]، ورغم هذه الدراسة الوصفية الموضوعية إلا أنه "لم تبدأ الدلالة في التطور على نحو جدي بوصفه فرعا مستقلا من فروع اللسانيات إلا في القرن العشرين" [5]، وبخاصة عند اللسانين، واللغويين الغربيين.

لقد حلل "دي سوسير" "*De saussure*" العلامة اللغوية إلى مكونين "الصوت أو المكون الصوتي، ودعاه الدال "*Signifiant* "، والمكون الذهني " *conceptual*" أو الفكري ودعاه المدلول "*Signifié*"، وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أن هذا التحليل يهمل الأشياء التي يطلب من الرموز اللغوية أن تمثلها عندما نود أن نشير إلى العالم من حولنا؛ أي: أن المدلول ليس شيئا بل فكرة عن شيء، أو ما يخطر على في ذهن المتكلم أو السامع عند التلفظ بالدال الصحيح، وهذا يعني أن الدال يشكل الجانب المادي من اللغة" [6]، والدال في الحالة المحكية أيُّ صوت ذي معنى يلفظ أو يسمع، وهو في حالة اللغة المكتوبة أي علامة ذات معنى تكتب على الصفحة.

ويركز "دي سوسير" على المدلول كونه "الجانب الذهني المعرفي من اللغة، وهو جانب كثيرا ما نعتبره غير مادي مع أن من المؤكد أن المدلول في الدماغ هو أيضا حادث عصبين والدوال والمدلولات لا يمكن فصلها بهذه الطريقة إلا من قبل المنظر اللغوي أما في واقع الحال فهما لا ينفصلان، فالصوت الذي لا يعني شيئا حقا ليس إلا لأنه لا يدل إذ لا يمكن أن نحصل على دال دون مدلول، كذلك لا يمكن القول إن هناك مفهوما من المفاهيم لم يجد ما يعبر عنه، أي ما لم يتخذ شكلا ماديا، إما داخليا على شكل فكرة أو خارجيا على شكل لغة، أي لا يمكن أن نحصل على مدلول دون دال. » "[7]"، أما "بول ريكو" "*Paul Rico*" فيقول: « يتيح لنا مفهوم المعنى تأويلين يعكسان الجدل الرئيس بين الواقعة والمعنى، إذ يعني المعنى ما يعنيه المتكلم، أي ما يقصد أن يقوله، وما تعنيه الجملة أي ما ينتج عن الاقتران بين وظيفة تحديد الهوية ووظيفة الإسناد المعنى بعبارة أخرى، تعقل صوري وتعقل

---

[1] فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط 02، 1996 م، ص 06.

[2] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ص 33.

[3] نفسه، ص 32.

[4] أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م، ص 239.

[5] ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 361.

[6] جون ستروك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شترواس إلى ديريدا"، ص 14 .

[7] نفسه، الصفحة نفسها.

مضموني خالص معا، ونستطيع أن نربط إحالة الخطاب على المتكلم به مع جانب الواقعة من الجدل، فالواقعة هي شخص ما يتكلم" [1]، لكن بمعاني متعددة.

علم الأسلوب والدلالة

تناول اللغويون العرب قضية الدلالة في الأدب، والنقد، واللغة وعلاقتها مع الأسلوب، ولقد أورد "ابن منظور" تعريفا للمعنى قائلا "ومعنى كل شيء بمحنته، وحاله التي يصير إليها أمره، والمعنى، والتفسير، والتأويل واحد، وعنيت بالقول كذا: أردت، ومعنى كل كلام ومعناه، ومعنيته: مقصده" [2]، فالمعنى في اللغة يدل على "المراد من الكلام وغاياته، ومضمون الكلام وما يقتضيه من دلالة، والمعنى خفي يدرك بالقلب، وليس للسان فيه حظ" [3].

أما في علاقة المعنى باللفظ، والمفاضلة بينهما فأقاويل كثيرة، وإذا عرجنا إلى تراثنا النقدي القديم نجد "للجاحظ" مواقف عدة في مفاضلة اللفظ على المعنى، رغم أنه يقر بوجود علاقة وطيدة بينهما [4]، عكس ما أورده المحدثون؛ الذين لا يفاضلون بينهما، ولا يقرون في الغالب بوجود علاقة اعتباطية بين اللفظ والمعنى، ولقد أقر "كمال بشر" بصعوبة تحديد مفهوم واحد للمعنى عند جميع المدارس اللغوية وهو في ذلك ينتصر للتعريف الذي أوردته مدرسة "فيرث" "*John Rupert Firth*" الانجليزية والتي ترى أن المعنى "هو مجموعة الخصائص، والمميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة، بل إن وظيفة فروع علم اللغة مجتمعة دراسة هذه العناصر، وبيانها وتحليلها" [5]، حتى أن أقطاب البحث اللغوي الغربيين أنفسهم اختلفوا في تحديده فالمعنى عند "دي سوسير" هو عبارة عن ارتباط متبادل بين الكلمة؛ وهي الصورة السمعية، وبين الفكرة؛ وهي الصورة الذهنية، والتغيير في الأولى يصحبه تغيير في الثانية والعكس صحيح، وعند "بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*" مجموعة من الحوادث السابقة للكلام، والتالية لهذا الكلام نفسه [6].

يرى اللغويون والأسلوبيون أن للدلالة علاقة وطيدة بالأسلوب، ومنه يرتبط علم الدلالة الذي يدرس المعنى المعرفي، أو المعني المعجمي بعلم الأسلوب التعبيري الذي يتناول المعنى التعبيري، أو الوجداني العاطفي؛ أو يطلق عليه بما وراء المعنى المعرفي، الذي يبنى أساسا على المعنى الأول، ولقد أشار "ستيفب أولمان" "*Stephen Ullmann*" في مقاله الموسوم بـ"اتجاهات جديدة في علم الأسلوب" إلى العلاقة بين "علم الدلالة" و"علم الأسلوب" في أنهما يتناولان المعنى ذاته وفق مستوياته المتحولة؛ فكل ما يتجاوز المعنى الإشاري أو العلامي (المعنى المعرفي) من اللغة أثناء التحليل يدخل مباشرة في

---

[1] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ص 39.

[2] ابن فارس، المقاييس في اللغة، ج 4، ص 148، مادة "عنى".

[3] فريد عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2005 م، ص 16، 17.

[4] ينظر: صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط 01، 2004 م، ص 70.

[5] ينظر: عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دار غريب، القاهرة، مصر، 2002 م، ص 28.

[6] ينظر: نفسه، ص 17 وما بعدها.

مستوى المعنى التعبيري، أو الوجداني العاطفي عند الأسلوبي "شارل بالي" "*Charles Bally*" [1].

لقد أسهم ظهور "علم الدلالة"، وتطوره عبر العصور في اغتناء البحث الأسلوبي الحديث بشتى الإجراءات النقدية التي تتركز على بحث السمات الأسلوبية من خلال دلالات الكلمة والعبارة، فالجملة، ثم النص، على اعتبار أن هذه الملفوظات تمثل في ذهن القارئ، أو الناقد صور نفسية، أو ذهنية، أو اجتماعية تكشفها المادة اللغوية المستهلكة كمظهر إفصاحي للتعبير، "وذلك في الأساس، لأن اللغة ليست فقط تواضعا، أو سننا؛ أي أنها ليست مجرد إشارات اصطلح عليها، تتحكم بها قوانين تركيبية محددة، إنما هي إفصاح، وإدلال، وتعبير، تحقق الاتصال، والتفاهم" [2]، وكذا من خلال شتى الأطروحات، والنظريات الدلالية المختلفة رغم تفاوت، أو تضارب مفاهيمها، ومن أشهرها النظرية المرجعية ونظرية الأفكار، والنظرية السلوكية، ونظرية السياق والاستعمال.

وإلى جانب هذا كله بعض النظريات النصية كـ"نظرية الحقول الدلالية"، أو "النظرية النحوية" (التوليدية) مما حفز الأسلوبيين إلى التركيز الجدي على اتخاذ الدلالات كمفاتيح نصية لولوج عالم الأسلوب الفني، فبحث هؤلاء في مختلف الدلالات اللغوية الفرعية من: صوتية، ومعجمية، وتركيبية، وتصويرية ...كما اتخذوا من مختلف النظريات الدلالة النصية (نظرية الحقول، النظرية التوليدية ...) إجراءات نقدية فاعلة.

فالنص الأدبي هو نظام لغوي يعبر عن ذاته، وقد احتلت قضية الدلالة اللغوية، وماهيتها، وأبعادها النفسية، والاجتماعية جزء كبيرا من اهتمامات النقاد الأسلوبيين، وتحليل الدلالة اللغوية عندهم يخضع إلى مقاييس أربعة هي [3]:

1 – دلالة أساسية معجمية.

2 – دلالة صرفية.

3 – دلالة نحوية.

4 – دلالة سياقية موقعية.

وهذه الدلالات تأتلف في كل متكامل لتشكل الخصوصية الفنية والجمالية للنص الأدبي، وهذه الصيغة يتم تلقيها، لأن العمل الفني ليس موضوعا بسيطا بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية، وذو سمة متراكبة، مع تعدد المعاني والعلاقات اللغوية فيه.

إن البنية اللغوية لا تتحدد بالكلمات، بل بالصيغ، وعندما يتم تفكيكها إلى وحدات دنيا، بحثا عن أعدادها وحقولها وتبادلاتها، تكون قد فقدت مواقعها في منظومة التركيب الشعري، وهي التي تمنحها أبرز فعاليتها الوظيفية موسيقيا ودلاليا فـــ "شبكة العلاقات المجازية والرمزية المعقدة في الشعر تتركز وظائفها الجمالية في تعقيد نسيجها الدلالي المتميز، الأمر الذي يجعل الإحصاء المعجمي مهما تقدمت سبله، واستخدمت فيه تكنولوجيا الحواسيب الآلية، لا يعدو أن يكون مجرد مؤشر مساعد في تحليل بعض طبقات لغة الشعر، دون أن يحجب لنا ضرورة الاستمرار في العمل اليدوي

---

[1] ستيفن أولمان، الأسلوبية وعلم الدلالة، تح محي الدين محسب، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، 2001 م، ص 13/11.

[2] عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م، ص 158.

[3] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، "دراسة في النقد العربي الحديث"، ج 1، ص 89.

الممتع في تحديد علاقات الدوال بالمدلولات بمستوياتها المختلفة ونقد النتائج التي يسفر عنها التحليل" [1]، وعلم الدلالة أشمل من علم الأسلوب، ولكن لا يمكن فصله عنها فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها، يحتاج علم الدلالة –لأداء وظيفته –إلى الاستعانة بهذه العلوم؛ فلكي يحدد الشخص معنى الحدث الكلامي لابد أن يقوم بملاحظات تشمل الجوانب الآتية:

1. ملاحظة "الجانب الصوتي" الذي قد يؤثر على المعنى.
2. دراسة "التركيب الصرفي" للكلمة وبيان المعنى الذي تؤديه صيغتها.
3. مراعاة "الجانب النحوي".
4. بيان المعاني المفردة للكلمات، وهو ما يعرف باسم المعنى المعجمي.
5. دراسة التعبيرات التي لا يكشف معناها بمجرد تفسير كل كلمة من كلماتها.

فعلم الدلالة إذن يهتم "بالجانب المعجمي، وما تدل عليه الكلمات، مع تتبع لمستجدات المعنى الذي يلحق بتلك الدلالات، أو ما يدفع –بسبب التطور–إلى أن يتبدل ما تشير إليه تلك الكلمات أو سواها، ومن الممكن متابعة "الدلالة" من خلال النظام اللغوي الذي يتميز بخصائصه النحوية والصرفية، والتي تشكل لهذا النظام بنيته الخاصة به" [2]، وبالتالي "فعلم الدلالة" بحاجة ماسة ومستمرة إلى العلوم اللغوية الأخرى "كالنحو" و"الصرف"، بل يحتاج إلى كل ما له علاقة بالبنية اللغوية.

إن الموضوع الحقيقي لعلم الدلالة هو "المعنى" ولا أحد ينكر قيمة المعنى بالنسبة للعلوم اللغوية، وخاصة علم الأسلوب فبدون المعنى لا يمكن أن تكون لغة، وبدون لغة لا وجود لعلم الأسلوب إطلاقا.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد محمد قدور، المدخل إلى فقه اللغة العربية، جامعة حلب، سوريا، 1991 م.
2. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
3. إدوارد سعيد، العلم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000 م.
4. أدونيس، الثابت والمتحول "بحث في الإبداع والإتباع عند العرب"، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط07، 1994م.
5. بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، العراق، 1985 م.

[1] صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 01، 1995 م، ص 45.

[2] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 65.

6. أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م.
7. بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 2006 م.
8. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
9. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 03، 1992م.
10. الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998 م.
11. جون ستروك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شترواس إلى ديريدا"، ترجمة جابر عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م.
12. الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990 م.
13. أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1960 م.
14. ابن خلدون، المقدمة، تح سهيل زكار، وخليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001 م.
15. الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
16. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
17. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981 م.
18. الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1993 م.
19. ستيفن أولمان، الأسلوبية وعلم الدلالة، تح محي الدين محسب، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، 2001م.
20. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 م.
21. ابن سينا، العبارة، تح، محمود الخضيري، مراجعة إبراهيم مدكور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
22. الشريف الجرجاني، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1985 م.
23. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط 01، 2004 م.
24. صلاح فضل، أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 01، 1995 م.
25. عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دار غريب، القاهرة، مصر، 2002 م.
26. عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 01، 1984 م.

27.عبد السلام مسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، وليبيا، ط 02، 1986 م.
28.عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992م.
29.عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م.
30.ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979 م.
31.فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط 02، 1996 م.
32.فريد عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2005 م.
33.كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 م.
34.محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
35.ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
36.ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد الله مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط 02، 2000 م.
37.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومه، الجزائر، 1986 م.
38.هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 01، 2007م.

المحاضرة الرابعة

علم الأسلوب وعلم التّراكيب.

توطئة:

عني العرب بالنظر باللغة والكلام، كما اعتنوا بالشعر منذ عرفوه يؤثرون كلمة مكان كلمة لتكون أدل على المراد، وأدق في وصف المشاعر، وأبين لما يراد بيانه، وكذلك ينظرون في أوضاع الكلمة في الجملة، فيأتون بها مقدمة في صدر التركيب، أو يأتون بما في آخره، لتكون في كل حالة أبين دلالة، وأدق وصفا، وتروي كتب الأدب كيف كان ينظر بعضهم في كلام بعض، وكيف كانت ملحوظاتهم مبنية على إحساس عميق بجلال الكلمة، وحاجتها في الاستعمال إلى مهارة بالغة حتى تقع موقعا لا ينبو بها ولا تقلق فيه، وحتى تكون أيضا معبرة تعبيرا صادقا يصف إحساس تلك النفس التي جاشت بها وصاغتها، ويبلغ في هذا الوصف مبلغا من الدقة، والصدق يجعل له قبولا، وتأثيرا في كل نفس تتلقاه.

وتجد مثل هذا في تلك المرويات التي ترويها كتب الأدب كقول "النابغة ذبياني" "لحسان بن ثابت" في نقد أبياته [1]:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى ... وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابني مُحَرِّقٍ ... فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِنا اِبنَما

معنى البيتين أن "حسان" يفخر بقومه اليمانيين، وكرمهم، وأن لهم جفانًا ضخمة؛ أي أوعية ضخمة للطعام، تُنصب في الضحى ليأكل منها الناس، وفى نفس الوقت فهم شجعان، وأسيافهم تقطر دمًا من كثرة نجدتهم للناس، ثم يفخر بأنهم أهل لهذين الحيين (بني العنقاء) و (ابني محرق) فأكرم بنا نحن الأخوال، وأكرِم بالأبناء!، وكلمة (ابنما) تعنى ابن، ويجوز زيادة (ما) فيها.

قال "النابغة" "لحسان": "إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك، وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت "الجفنات"، فقللت العدد، ولو قلت "الجفان" لكان أكثر، وقلت- "يلمعن في الضحى" ولو قلت- "يَبرُقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا، وقلت- "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلة القتل، ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، فقام حسان منكسرًا منقطعًا" [2].

و"النابغة" يعلم أن "حسان" أراد أن يصف قومه، وشجاعتهم، وعراقة أصولهم في العرب، وأراد أن يبالغ في هذه الأوصاف بقدر ما تمتلئ بما نفس شاعر عاش حياة قبلية متناحرة، هو إذن يريد أن يمد حيل المبالغات في بيان هذه الأوصاف إلى مداه، وهو لا يشعر أنه يبالغ، وإنما يصف ما تحسه نفس ممتلئة اعتزازا بالفرسان، والمغاوير من أبناء قومه، فعليه أن يأتي بالعبارة التي تصف هذا الشعور، وتدل عليه، وعلى هذا قامت ملاحظات "النابغة" فهو يعلم أن حان لا يريد وصف قومه بالكرم المتواضع الذي يظهر في عدد قليل من الجفنات، ولا يريد كذلك أن طالبي معروفهم قليل، كما

[1] حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1994 م، ص 219.

[2] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 2010 م، ج 09، ص 384.

تدل عليه عبارة يلمعن بالضحى لأن اللمع في الضحى أقل ظهورا من البرق في الدجى، ولهذا لفته إلى ما في عبارته من تصور في أداء مراده فانكسر "حسان" كما قالوا.

ولعل الشاهد من هذه الحادثة هو أهمية التركيب اللغوي وعلاقته بالأسلوب، فلعلم الأسلوب علاقة وطيدة بعلم التراكيب.

علم التراكيب عند القدامى والمحدثين:

هناك ملاحظات حول الخطاب عامة والخطاب الشعري خاصة هي أكثر تعميما من هذه التي تدور حول الكلمة والتركيب، ملاحظات تشمل القصيدة كلها، وهذه الأحكام العامة إنما اعتمدت على نظر فاحص في الشعر في تركيبه وألفاظه، وعلاقات كلماته بعضها ببعض، وما اقتضته الصنيعة الصادقة من بسط، أو إشارة، واهتمام بجزء من المعنى، وتصويره، وجعل الآخر تابعا له، وسوق الكلام على الخبر، والاستخبار، أو التقرير، أو الإنكار، أو التنفير، أو الترغيب، أو الملاينة الجاذبة، ووقوع كل واحد من هذه الطرق موقعه الأشكل للمعنى، والأنسب الأحوال النفس والشعور.

وإذا أتيت إلى تتبع مراحل الدراسات اللغوية العربية القديمة التي عالجت مسائل الإعجاز القرآني، وسلامة النطق وكتابة اللغة العربية الفصيحة لوجدت أحاديث تبرز أن العرب قديما قد عرفوا مصطلح التركيب، والدليل على ذلك ما ذكره "سيبويه" في حديثه عن ضم الكلمات مع بعضها البعض في كتل، أو مجموعات، وبذلك أقام للكلام الجيد أساسا من أبنية مفردات اللغة، وبحث في تراكيبها، ووضع القواعد التي تضمن سلامتها، منتهجا أساليب العرب المتواترة في سنن كلامها، وتوصل إلى وضع الأسس الأولى للنظرية اللغوية في مسألة حسن الكلام بوضع ضوابط الكلام من كلام العرب ومنهجية تحليل هذه الأصول، والتعليل بها [1].

أما بالنسبة "للجاحظ" فقد سجل هو الآخر حديثا عن الحروف، وانتظامها في الكلمة العربية في قوله: "فأما اقتران الحروف فإن الجيم لا تقارن الظاء، ولا القاف، ولا الطاء، ولا الغين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال بتقديم ولا تأخير" [2]، وعن الألفاظ المفردة نراه يربط بين حسن اللفظ، وسهولة مخارج حروفه، وحلاوة آدائه الصوتي؛ وبين قبول القلب له فيقول: "إن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا، وأعاره البليغ مخرجا سهلا، ومنحه المتكلم دلا صار إلى قلبك أحلى، ولصدرك أملا" [3].

كما يشير "الجاحظ" أيضا إلى أهمية مشاكلة اللفظ للمعنى جرسا، وإيحاء كي يعرب عن فحواه، ويطابق مقتضاه فيقول: "متى شاكل اللفظ معناه، وأعربَ عن فحواه، وكان لتلك الحال وفقاً، ولذلك القدر لفقا، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلّف، كان قميناً بحُسنِ الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول

---

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1977 م، ج 03، ص 25، 26.

[2] الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998 م، ج 01، ص 69.

[3] نفسه، ج 01، ص 254.

الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العيّابين، ولا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة" [1]، وعن الألفاظ مشكلة في الجملة والعبارة ينبه إلى أهمية حسن الموقع لأنه جماع البلاغة، كما ينبه إلى توازن وتعديل الألفاظ على نحو يكسبها حلاوة وبماء فيقول : "جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر، وزين ذلك كله، وماؤه، وحلاوته، وسناؤه أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية" [2].

ويبلغ الجاحظ قمة ما أنشده في البلاغة الصوتية العربية إذ يقول: "ومن الحروف الكلام وأجزاء الشعر ما نراها سهلة لينة، ورطبة مواتية، سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة، وكأن الكلمة بأسرها حرف واحد" [3]، ويأتي "عبد القاهر الجرجاني" الذي كان فذا في حديثه عن نظم الكلام؛ وذلك في قوله: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض" [4]، وفي قوله: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس" [5]، ثم يشير إلى أقسام التركيب التي يبني منها الكلام؛ وهي لا تعدو عنده ثلاثة أنواع: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما [6].

ثم يسرد الأوضاع التركيبية لتعلق الاسم بالاسم، والاسم بالفعل وغير ذلك إلى حقيقة التركيب قائلا: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي حجت به فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه" [7].

ويضيف "الجاحظ" في هذا الصدد حديثا عن دقة ترتيب، وتركيب الكلمات في قوله: "وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جانب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند إنشاء الشعر مؤونة، وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم أنه أفرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري على الأذهان" [8]، أما

---

[1] نفسه، ج 02، ص 07، 08.

[2] الجاحظ، البيان والتبين، ج 01، ص 88، 89.

[3] الجاحظ، البيان والتبين، ج 01، ص 67.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992م، ص 04.

[5] نفسه، ص 55.

[6] نفسه، ص 04.

[7] نفسه، ص 64، 65.

[8] الجاحظ، البيان والتبين، ج 01، ص 67.

"ابن أبي الإصبع المصري" فيقول عن الانسجام في الكلام: "أن يكون لخلو من العقائد متحدرا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه، وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك" [1].

أما بالنسبة للعرب المحدثين فنجدهم يتفقون على تعريف علم التراكيب على أنه هو ذلك العلم الذي يبحث في التلاؤم بين الكلمات بغية الوصول إلى معنى معين، فهو يتضمن ضم الكلمات بعضها إلى بعض بناء على المعنى المنشود مع مراعاة معاني النحو، وما يترتب عليه من تقديم وتأخير، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وغير ذلك مما يضمن سلامة النطق، والفهم الصحيح للكلام العربي.

وفي مواضع أخرى نجد أن من الدارسين من يعتبر أن علم التراكيب أعم، وأشمل بحيث يشمل علم الصرف، وعلم النحو ويسمونه علم القواعد، وهو يختص بدراسة العلاقات داخل نظام الجملة، وحركة العناصر، وفي ذلك يقول "ماريو باي" "*Mario Pei*": "فالتغيرات الحادثة هنا داخل الكلمات نفسها تشكل موضوع علم الصرف الذي يختص بدراسة الصيغ، وتنظيم الكلمات في نسق معين يشكل موضوع علم النحو، وإن الصرف والنحو ليكونان ما يسمى بعلم القواعد، أو التركيب، أو قوانين المرور التي لا يمكن أن تنتهك تجنبا للوقوع في ورطة تفوق تيار المعاني المتدفق الذي يربط متكلما بآخر وتوفق التفاهم الذي هو الهدف الأساسي أو الوحيد للغة" [2].

ماهية التركيب:

يعد التركيب عملية تنظيمية أساسية مرتبطة بالأولى الاختيار، فالمخاطب يعيش ضغطا حيث يتزاحم هذا الرصد "بأفعاله، وأسمائه، وحروفه على لسان المتكلم فإذا انطلقت الجملة على لسانه وبدئها بفعل انسحبت كل الأفعال" [3]؛ فاللغة لا استقامة لها ما لم يقم المخاطب بوصفها، وبنائها على التركيب الواقع على غرائز الناس، فالمنشئ للكلام لا يمكنه الإفصاح عن حسه، وتصوره إلا انطلاقا من تركيب الأدوات اللغوية لتحقيق الانفعال غير أن التركيب غير المحكم للألفاظ يجعل الجزء يؤدي إلى اختلال الكل، لذا يأتي التركيب في الدرجة الثانية بعد "عملية الاختيار"، والتي "يقوم فيها المخاطب بعملية فحص لمعجمه اللغوي، وانتقاء سمات معينة للتعبير عن تجربة معينة ليكون نصا أدبيا، وهذا ما يؤكد على أنه يؤثر سمات عن أخرى هي "التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره" [4]، أما التركيب فيتم من خلاله وانتقاء المفردات اللغوية؛ إذ يقوم لما تم اختياره بحيث يتلاءم مع النسق الذي يدور فيه الكلام، من هنا ندرك أن التركيب الأسلوبي مشروط بحيث أنه كل "مقطع لساني هو حلقة وصل بين الأشياء، والوقائع المرموز إليها، والمتقبل لذلك المقطع وهذه العلاقة ليست عفوية، وإنما هي تفترض عقدا مزدوجا أحد العقدين يستجيب لضغوط الدلالة، وهو التواضع على

---

[1] ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1963 م، ص 429.

[2] ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 08، 1998 م، ج 01، ص 52.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م، ص 140.

[4] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 23.

رصيد معجمي معين، والآخر يستجيب لضغوط الإبلاغ وهو التسليم لمجموعة من القوانين الضابطة لتركيب مقاطع الكلام" [1]، ويتحكم في هذه العملية السياق الخارجي والداخلي.

فالخارجي ما ارتبط بالموقف والحال؛ إذ يتحكمان في نسج التراكيب، وسبك الجمل ليؤدي الرسالة المنوطة به في عملية التواصل بين الباث والمتلقي، وأما الداخلي هو مراعاة الوظيفة التركيبة الجمالية في عملية الوصل، والفصل بين مفاصل الجمل والتركيب هذا ما نسميه بالسياق النسقي.

وهو عموما سواء الداخلي والخارجي يتحكم في كثير من العمليات كالتركيب الجملي.

وهناك سياق آخر يسمى التنافري الذي لا نقصد به التنافر ضد السياق التركيبي وإنما عنصر المفاجأة الذي يحل محل الانسجام، وهذا يحدث داخل الأسلوب، وذهب بعض نقاد العرب إلى اعتبار الأسلوب تركيبا لغويا يحمل قيما جمالية وفنية يحول النص الأدبي إلى عمل فني من خلال ما يمتاز به من انسجام من هنا قسموا التركيب إلى نوعين:

1. التركيب النحوي: له علاقة بالجملة من حيث عناصرها، وترتيبها، وقد يتعرض هذا إلى خرق، أو انحراف على مستوى الجملة، كما يحاول الباحث الأسلوبي في تعامله مع هذا النوع من التركيب الوقوف على العناصر المهيمنة في النص كالتكرار.
2. التركيب البلاغي: هو التحولات الفنية التي تجري على بنية التركيب كالاستفهام والنداء... الخ وبحث التصدعات الدلالية التي يخلفها الانزياح البياني.

فاللغة توفر للمبدع إمكانات كثيرة في اختيار المفردات التي يستعملها في صياغة التراكيب الشعرية مثلا، وهذا يعني أن ثمة أمرين اثنين يحكمان عميلة الاختيار وهي صيغ الكلمات، وثانيا دلالتها المعجمية، وثمة هيئات متعددة تحملها الصيغ، وكل صيغة لها دلالتها التابعة لها، والتركيب وجه مهم من أوجه علم الأسلوب، وله أهمية كبيرة حيت يرسم التأثير في المتلقي، والتأثير فيه هو مدار، ومقصد عملية التواصل.

إذن فالتركيب هو "تنضيد الكلام ونظمه لتشكيل سياق الخطاب الأدبي، وهو عنصر أساسي في الظاهرة اللغوية" [2]، "فعملية التركيب لا تتم بطريقة عشوائية، بل تتطلب مهارة الكاتب وقدرته على تنسيق كلماته وصياغة ألفاظه وأفكاره، فعملية التركيب عملية ذهنية فكرية تقود الناص، المؤلف إلى ضبط قواعد الكلام للغته المنطوقة حيث يتسنى له أن يخرجها في قالب فني" [3]، ويعد الأسلوب هو الانتظام الداخلي لأجزاء النص في صلب علاقاته متألفة تحددها نوعية

---

[1] توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، 1984 م، ص 86.

[2] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 1986 م، ج 01، ص 186.

[3] عثمان مقبرش، الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة للشاعر عثمان ولصيف، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع والاتصال، المسيلة، الجزائر، ط 01، 2011 م، ص 21.

بنيته اللسانية وهو التعريف المفضي إلى اعتبار الأسلوب المحلل الهندسي لنقط تقاطع اثنين، أحدهما عمودي وهو محور التركيب وثانيهما أفقي وهو محور التوزيع" [1].

أهمية المستوى التركيبي:

يعتبر المستوى التركيبي من أهم المستويات اللسانية التي وقف عندها اللغويون من أجل استخلاص أهم القواعد التي تحكم إنتاج الجمل والنصوص، ولعل أهم شيء أثار انتباههم في كل ذلك هو طبيعة التركيب اللغوي وكيف ينشأ، وهل تكون نشأته ثابتة دوما أم أنها متغيرة بتغير الدلالات والمقاصد ؟، كما أن الاهتمام قد انصب في مرحلة تالية على علاقة الشكل بالدلالة الناتجة عنه، وهل تتغير هذه العلاقة أم أنها هي الأخرى ثابتة ؟

يرى الباحث "عبد الهادي بن ظافر الشهري" أن المستوى التركيبي "من أنسب المستويات اللغوية التي تسمح للمرسل بتوظيفه لإبراز إستراتيجية الخطاب تداوليا، ويعد "عبد القاهر الجرجاني" من أبرز من بلور ذلك من خلال توظيفه للتعبير عن القصد الذي يتوخاه المرسل" [2]؛ ويربط "الشهري" في هذا التعريف بين المستوى التركيبي والبعد السياقي التداولي للمستوى نفسه، حيث توظف الطبيعة التركيبية لهذا المستوى وفق المرامي التواصلية التي تجمع منتج النص / الخطاب بالقارئ / المتلقي، ويشير التعريف من جهة أخرى إلى ضرورة تكييف المستوى التركيبي، وشكله بحسب ما تقتضيه الأبعاد الدلالية، والتداولية التي تحكم إنتاج الخطابات والنصوص، وهذا دون مراعاة شروط ابتدائية في طبيعة التركيب وشكله.

لقد اتجه الاهتمام بالتركيب مع البدايات الأولى لظهور التفكير البنيوي، مع الإشارة هنا إلى أن "عبد القاهر الجرجاني" قد أعطى ملاحظات هامة في هذا الميدان، وذلك أن "نظرته إلى نسق الكلام وارتباط بعضه ببعض جعلته يتخذ النظم أساسا في نقد الكلام، ولذلك كانت الألفاظ عنده رموزا للمعاني المفردة التي تدل عليها هذه الرموز" [3]، كانت "نظرية النظم" التي جاء بما "عبد القاهر الجرجاني" إشارة مبكرة لضرورة الاهتمام بالتركيب، واعتباره السبيل المفضي إلى المعنى، لكن دون أن ننسى أن هذا المعنى تتنازعه أطراف أخرى إضافة إلى طبيعته التركيب الشكلية.

ويرى الباحث "مجدي فرج" أن النص يتشكل عبر القراءة، مخالفا بذلك الرأي القائل باستقلالية الأثر الأدبي، فالنص عنده يتشكل "عبر القراءة، فتعد قراءة النص عملية بناء وإعادة بناء للحدث الدلالي، وتعريف النص لا يقتصر على ما يقع في نطاق المنطوق – المكتوب، بل إنه يتضمن النص المرئي إضافة إلى النص المكتوب" [4]، وتدخل الملاحظات السابقة ضمن النظرة البنيوية التي سعت إلى اعتماد منهج المحايثة في معالجة الأثر الأدبي، فكان من جملة ذلك

---

[1] عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، ط 04، 1993 م، ص 134.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2004 م، ص 71.

[3] أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01، 1987 م، ص 98.

[4] مجدي فرج، القراءة النصية في الأدب والفن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط 01، 2008 م، ص 15.

محاولة إقصاء المؤلف، والدعوة إلى موته، مما يفضي ضمنيا إلى الاحتكام إلى البنية النصية لدى معالجة الأثر الأدبي، وهنا يبرز دور القراءة التي تسعى إلى فك شفرات المستوى التركيبي، ومحاولة الوقوف على دلالاتها.

وفي هذا الصدد يعرض "حلمي خليل" لمفهوم المستوى التركيبي، ويقرن بينه وبين النظام النحوي على أنهما شيء واحد، أو أن أحدهما يفضي إلى الآخر، وذلك أن كل لغة "تعرض المعاني، والدلالات بطرق خاصة، ونحن نتلقى تلك المعاني، والدلالات بالترتيب الذي يقدمه لنا الكلام؛ أي في الصور، والأشكال التي يظهر فيها الكلام، هذه الصور، والأشكال، أو قل هذا التركيب والتأليف هو الذي يتمثل في النظام النحوي للغة ما" [1]؛ فالنظام النحوي هو الذي يضمن طرق، وأساليب التركيب اللغوي وفق اللغة المعينة.

غير أن هذا النظام المذكور إنما يختص بالجملة لا النص، وعلى كل حال يمكن اعتباره نظاما تركيبيا للنص، وذلك إذا نظرنا إلى أن الجملة هي جزء من النص، ويعول "فرديناند دي سوسير" "*Ferdinand De Saussure*" على أهمية اللغة باعتبارها نظاما لغويا في بياني المعاني التي سماها أفكارا، فقد "اتفق الفلاسفة، وعلماء اللغة دائما على أنه لولا الإشارات لما استطعنا أن نميز تمييزا واضحا، ثابتا بين فكرتين، فلولا اللغة، أصبحت الفكرة شيئا مبهما" [2].

المستوى التركيبي وعلاقته بمستويات التحليل الأسلوبي:

تعد اللغة العربية نظاما متكاملا يتكون من مجموعة من الأنظمة أو المستويات يختلف بعضها عن البعض في المحتوى، والحدود، والقوانين، ولكنها تتكامل فيما بينها فتكون النظام الكلي للغة لذلك فالتحليل الأسلوبي يقوم على عدد من المستويات الأساسية لعل من أهمها المستوى التركيبي الذي يتم فيه دراسة الجملة، وتركيبها، كالتقديم والتأخير، والكشف عن العلاقات النحوية بين الكلمات في الجملة، ووظيفة كل كلمة بها ، لذلك فهو عنصر مهم في بحث الخصائص الأسلوبية كدراسة طول الجملة، وقصرها، وعناصرها، كالمبتدأ والخبر، الفعل والفاعل وكذا ترتيبها.

فالنحو هو أساس التركيب ومفتاح النور على ما في السطور، لذلك فهو يشكل ركنا أساسيا في نظام اللغة العربية لما له من أثر في تركيب الجمل، ودلالاتها، فالمستوى النحوي "يعني بالإعراب، والعوامل النحوية، وقواعد تركيب الجمل: اسمية، وفعلية، مثبتة ومنفية، خبرية وإنشائية، ويدرس العلاقات بين عناصر الجملة وعلاقات الجملة بما بعدها، وما قبلها" [3].

---

[1] حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 01، 2007 م، ص 109.

[2] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك المطلبي، مكتبة بيت الموصل، بغداد، العراق، ط 03، 1988 م، ص 131.

[3] محسن علي عطية، اللغة العربية: مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007 م، ص 93.

وفي هذا المستوى يمكن دراسة الجملة التي هي: "وحدة إسنادية تتضمن مسندا ومسندا إليه، يكونان عمدة هذه الجملة، ويحققان المعنى المفيد" [1]، وبهذا فإن المستوى التركيبي يقوم على دراسة نحو النص، دراسة الجمل في تعالقها وتشكيلها للمعنى [2].

الأسلوب والتوازي التركيبي:

يقصد بالتوازي التركيبي تكرار البنية التركيبية مع ملئها بمحتوى مختلف، "وفائدته أن الكاتب قد يدرك أن محتوى تركيب ما غير مقبول لدى القارئ إذا أتى منفصلا، أما إذا وضعه وسط مجموعة أخرى لها نفس التركيب؛ مثل: مبتدأ مفرد + خبر مفرد، ولها قبول دلالي؛ فإن القارئ يقبله، ويدعم ذلك العطف بينها بواو العطف" [3]، والتوازي عند "الخطيب القزويني" يسمى الموازنة، و"يعني تساوي الفاصلتين في الوزن والقافية" [4]، كقوله تعالى: ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾ [الغاشية: 15، 16] ، وكقوله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الصافات: 117، 118].

يتعلق التوازي التركيبي بإيجاد روابط من نوع خاص بين الجمال، وتتمثل في التشابه التركيبي المقرون بالتماثل الصوتي في نهايات التراكيب، "وهذا التشابه بين مجموعة من التراكيب المتوازية يخلق نوعا من التوحد يشي بترابط النص" [5]، يقول :مصطفى وهبي التل" في قصيدة له [6]:

فما لغير الأذى في ربعها ألق ولا لغير القذى في جوها رهج

يرى "علي جعفر العلاق" أن هذا البيت "يبلغ التوازي فيه حده الأقصى، حتى يتماثل شطراه تماثلا صوتيا وتركيبية مدهشا، يثري من بعده الدلالي، والإيقاعي إلى حد كبير" [7]، إن البني التركيبية المتوازية يدل بعضها على معاني البعض الآخر نتيجة التعالق التركيبي الحاصل بينها، فكأن دلالة الجزء الأول من التراكيب المتوازية تتضمن دلالة بقية

---

[1] أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مراجعة جورج مثري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 03، 2001 م، ص 116.

[2] ينظر: يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 51.

[3] حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، تقديم سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 02، 2009 م، ص 100.

[4] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 03، 1993 م، ص 112.

[5] حسام أحمد فرج، نظرية علم النص، ص 101.

[6] مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس: ديوان مصطفى وهبي التل، تح: زياد صالح الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م، ص 32.

[7] علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 40.

الأجزاء إما بالموافقة، وإما بالمخالفة، ولا يخفى ما في الدلالة الضمنية من تأثير في إثبات بلاغة النص، الذي تزداد أدبيه "كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية" [1].

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01، 1987 م.
2. ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1963 م.
3. أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مراجعة جورج مثري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 03، 2001 م.
4. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، 1984 م.
5. الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998 م.
6. حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، تقديم سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 02، 2009 م.
7. حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1994م.
8. حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 01، 2007 م.
9. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 03، 1993 م.
10. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1992 م.
11. سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1977م.
12. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م.
13. عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، ط 04، 1993 م.
14. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992م.
15. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 04، 2008 م.

[1] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 04، 2008 م، ص 71.

16.عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2004 م.
17.عثمان مقبرش، الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة للشاعر عثمان ولصيف، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع والاتصال، المسيلة، الجزائر، ط 01، 2011 م.
18.علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
19.أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 2010 م.
20.فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر. يوئيل يوسف عزيز، مراجعة مالك المطلبي، مكتبة بيت الموصل، بغداد، العراق، ط 03، 1988 م.
21.ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 08، 1998 م.
22.مجدي فرج، القراءة النصية في الأدب والفن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط 01، 2008 م.
23.محسن علي عطية، اللغة العربية: مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007 م.
24.مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس: ديوان مصطفى وهبي التل، تح: زياد صالح الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م.
25.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث"، دار هومة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 1986 م.
26.يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م.

المحاضرة الخامسة

علم الأسلوب والعلوم اللغوية والأدبية.

توطئة:

إن علاقة الأدب باللغة هي علاقة الوظيفة بالمادة، والغاية بالوسيلة، والثمرة بالشجرة، فاللغة هي مادة الأدب الأولية، ووسيلته إلى إدراك غايته التواصلية، والأدب هو ثمرة اللغة، وناتج توظيفها، وحصيلة استثمار عناصرها الأولية وقواعدها الكلية، لذلك ما نشأت علوم اللغة إلا لإدراك أسرار الأدبية في الأدب، وقوانين الإبلاغية في الكلام، ولوقاية الغاية التواصلية، نفعية كانت أم جمالية، من أن يصيبها الضعف، أو يدركها الاختلال، وهي بديهية لا تحتاج إلى مزيد بيان.

لقد ظل الأدب واللغة في تاريخ ثقافتنا العربية علمين توأمين، وحقلين متقاطعين متكاملين، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، ولا يعمل أولهما بمعزل عن الثاني ولا الثاني دون أن يستهدف الأول؛ فكان الأديب يحصّل من علوم اللغة ما تحصل به ملكتُه، وتستقيم لغته، وتستحكم موهبته، وكان الناقد هو العالم بفقه اللغة، المتبحر في علومها، الخبير بأسرار بلاغتها؛ زيادة على ما يتمتع به من رفعة الذوق، ونباهة الفكر، وكان اللغوي غير منقطع عن معرفة الآداب، ولا عاجز عن بلاغة الأداء، وكان جميعهم يسير على القول القائل: "من أراد أن يكون إماما في العلم فعليه أن يتبحر في فرع من فروعه، ومن أراد أن يكون أديبا فعليه أن يأخذ من كل علم بطرف" [1].

ولعل الأسلوب يعد من أهم العلوم التي توحد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما كونه ركيزة لغوية، ونوعا من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية لغوية غير لغوية، وهذا ما ذهب إليه "كمال بشر" في قوله: "وحقيقة الأمر عندنا أن علم الأسلوب ينتمي إلى مجالين:

1. مجال الدراسات اللغوية وذلك بالنظر إلى الأسلوب على أنه بناء، أو هيكل لغوي مكونة عناصره من وحدات لغوية جاءت منسوقة وفقا لمعايير لغوية على وجه من وجوه قواعد اللغة المعينة.
2. مجال الأدب ونقده بوصفه نوعا من التعبير منفردا بخواص تعبيرية مميزة لغوية وغير لغوية، وبوصفه نمطا خاصا من الكلام يفي أولا بأغراضه الأدبية، والثقافية، والاجتماعية، والنفسية أيضا" [2].

وإذا كانت اللغة بناء إلزاميا على الأديب من حيث الشكل فإن الأسلوب هو تلك الإمكانات التي تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب، أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب، بل ينبغي أيضا الوصول إلى المعنى بأوضح السبل، وأحسنها، وأجملها [3]، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب، وانعدم معه الأسلوب.

العلوم اللغوية والأدبية:

ترجع أول محاولة جادة لترتيب علوم اللغة في نسق واحد إلى "أبي نصر الفارابي"، وقد أطلق "الفارابي" على كل العلوم اللغوية اسما شاملا لها هو "علم اللسان"، يتألف علم اللسان عنده من عدة مجالات؛ يقابل "علم الألفاظ المفردة"

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 2002م، ص 553.

[2] كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 م، ص 21.

[3] ينظر: ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981 م، ص 116.

في تصنيف "الفارابي" "علم الدلالة" في التصنيف الحديث، ويتناول "قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة وعندما تركب" [1]، البحث في الأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة على التوالي، ولكن "الفارابي" أدخل في "علم اللسان" بعض الموضوعات التي لا تدخل في علم اللغة بالمعنى الحديث، من ذلك علم الألفاظ المركبة التي صنعها خطباؤهم، وشعراؤهم؛ أي دراسة الشعر والنثر، ومن ذلك أيضا قوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الأشعار [2]، وهكذا ضم "علم اللسان" عند "الفارابي" علوم اللغة إلى جانب غيرها من العلوم، والمهارات.

ويدل مصطلح علوم الأدب عند "ابن الأنباري" على علوم اللغة: النحو، واللغة، والتصريف، وعلم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو بالإضافة إلى العروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم [3]؛ أي أن علوم الأدب تشمل عند "ابن الأنباري" مجموعة العلوم اللغوية، والأدبية، وما يتعلق بها من معارف.

وكان "ابن الأنباري" أول من اعتبر "علم أصول النحو"؛ أي مناهج البحث النحوي علمًا قائمًا بذاته، وقد ألف فيه محتذيًا حذو المؤلفين في علم أصول الفقه يقول "ابن الأنباري": "أصول النحو هي أدلة النحو التي تفرعت عنها فروعه، وفصوله كما أن معنى أصول الفقه أدلة الفقه التي تفرعت عنها جملته، وتفصيله" [4].

والأديب عند "ابن الأنباري" وعند "ياقوت الحموي" هو المشتغل بهذه العلوم اللغوية الأدبية، وما يرتبط بها من معارف، وبهذا المعنى ألف "ابن الأنباري" كتابه "نزهة الألباء في طبقات الأدباء"، وألف "ياقوت الحموي" "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" [5].

أما تصنيف "السكاكي" لعلوم اللغة فيقوم على أساس "مثارات الخطأ"، فالخطأ اللغوي يمكن أن يكون في بنية الكلمة، وهذا موضوع علم الصرف، وقد يكون في تأليف المفردات داخل الجملة، وهذا موضوع علم النحو، وقد يكون في مطابقة العبارة للمعنى، وهذا موضوع علمي المعاني والبيان، واعتبر "السكاكي" علوم الصرف، والنحو، والمعاني، والبيان بالإضافة إلى علم اللغة مجموعة علوم متكاملة انتظمت عنده في نسق واحد [6].

وكان "أبو حيان النحوي" أول من أطلق مصطلح علوم اللسان العربي على علوم اللغة، وقد تبعه "ابن خلدون" في استخدام هذا المصطلح، وتضم علوم اللسان العربي عند "أبي حيان" علم اللغة، وعلم التصريف، وعلم النحو، ويتناول علم اللغة "مدلول مفردات الكلم"، ويتناول علم التصريف "أحكام مفردات الكلم قبل التركيب"، أما علم النحو "فيتناول

---

[1] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1973 م، ص 68.

[2] ينظر: الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م، ص 47/ 50.

[3] ينظر: ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق: عطية عامر، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998 م، ص 53، ينظر: ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق أحمد عبد الباسط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2017 م، ص 227.

[4] ابن الأنباري، الإغراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سوريا، 1957 م، ص 08.

[5] ينظر: محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، ص 69.

[6] ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1987 م، مقدمة المؤلف.

أحكام مفردات الكلم "حالة التركيب" وبذلك كان مصطلح "علوم اللسان العربي" عند أبي حيان شاملا لعلوم اللغة عند العرب دون غيرها من العلوم [1].

ولا يقتصر مجال علوم اللسان العربي عند "ابن خلدون" على النحو واللغة بل ضم إليهما علم البيان، وعلم الأدب، وبذلك لم يفصل "ابن خلدون" بين علوم اللغة بمعناها المحدد، والدراسة الأدبية [2].

ويقوم تصنيف "أحمد بن مصطفى طاش كبرى زاده" للعلوم اللغوية وما يتعلق بها من دراسات على أساس التمييز بين ما يتناول "المفردات" من جانب وما يتناول "المركبات" من الجانب الآخر [3].

ذكر "طاش كبرى زاده" أن دراسة المفردات تتناول مجالات خمسًا، أولها: "علم مخارج الحروف" ويعد هذا المصطلح أول تسمية محددة شاملة لما يطلق عليه في العصر الحديث "علم الأصوات"، فإذا كانت الدراسة الصوتية قديمة في التراث العربي فإن "سيبويه" و"الخليل" ومن جاء بعدهما لم يضعوا لها تسمية خاصة، وشاملة إلى أن جاء "طاش كبرى زاده"، وحاول في تصنيفه للعلوم أن يخصص هذه الدراسة، فأطلق عليها "علم مخارج الحروف"، وجعل هذا العلم أول مجالات البحث اللغوي، وبهذا اتفق "طاش كبرى زاده" مع ما تعارف عليه اللغويون المحدثون بعده بقرون، ويتناول علم مخارج الحروف "معرفة تصحيح مخارج الحروف -كيفية وكمية-، وصفاتها العارضة لها بحسب ما تقتضيه طباع العرب، ويستمد من العلم الطبيعي، وعلم التشريح" [4]، ويتضح من تحديد "طاش كبرى زاده" لمكان علم مخارج الحروف في أول مجالات البحث اللغوي إدراكه العميق لأهمية علم الأصوات، بل ويعد فهمه لعلاقة البحث الصوتي بالعلم الطبيعي، وبعلم التشريح سابقا لعصره، ولكثيرين ممن جاءوا بعده.

وإلى جانب "علم مخارج الحروف" تضم دراسة المفردات عند "طاش كبرى زاده": "علم اللغة" ويبحث "جواهر المفردات، وهيئاتها من حيث الوضع للدلالة على المعاني الجزئية" [5]، كما يضم "علم الوضع"، ويبحث في "تفسير الوضع وتقسيمه إلى الشخصي، والنوعي، والعام، والخاص"، والمقصود بذلك دراسة الدلالات التي وضعت لها الألفاظ، ويضم أيضا "علم الاشتقاق" وموضوعه كيفية خروج الكلم بعضها عن بعض [6]، وآخر مجالات دراسة المفردات: "علم الصرف" [7] وعلى هذا تتناول دراسة المفردات عند "طاش كبرى زاده" ما يقابل "علم الأصوات"، و"علم بنية الكلمة"، و"علم الدلالة" في مجالات علم اللغة الحديث، أما بنية الجملة فقد جعلها "طاش كبرى زاده" الموضوع الأول للبحث في المركبات،

---

[1] أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك، المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر، ص 66.

[2] ابن خلدون، المقدمة، ص 753 وما بعدها.

[3] طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1985 م، ج 01، ص 99.

[4] نفسه، ج 01، ص 99.

[5] نفسه، ج 01، ص 100.

[6] نفسه، ج 01، ص 126.

[7] نفسه، ج 01، ص 127.

وتضم دراسة المركبات عنده النحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والعروض، والقوافي ... إلخ، وبذلك ضم "طاش كبرى زاده" هذه الدراسات الأدبية مع علم النحو في إطار واحد.

ويتفق "التهانوي" في تصنيفه لما أطلق عليه العلوم العربية مع تصنيف هذه العلوم عند "طاش كبرى زاده" اتفاقًا بعيدًا، ولكن "التهانوي" لم يخصص "لعلم الأصوات" قسمًا مستقلا كما فعل "طاش كبرى زاده"، بل بدأ "التهانوي" حصره للعلوم العربية بعلم اللغة، ثم جاء علم الصرف، وعلم الاشتقاق، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم العروض، وعلم القافية.....إلخ [1].

وقد ظل مصطلح العلوم العربية مستخدمًا عند أصحاب الثقافة السلفية في العالم العربي الحديث، فقد صنف "الشيخ المرصفي" العلوم العربية إلى علم "متن اللغة"، و"فقه اللغة"، و"علم الصرف"، و"علم النحو"، والفرق بين "علم متن اللغة" و"فقه اللغة" عند "المرصفي" أن الأول يبحث في "أوضاع الألفاظ لمعانيها"، والثاني يبحث الألفاظ "باعتبار تخالفها في المعاني التي وضعت لها" [2]؛ أي أنه يعتبر علم متن اللغة هو معرفة المعاني الحقيقية للألفاظ، وفقه اللغة هو دراسة الفروق في المعاني.

وهكذا تنوعت التسميات التي أطلقت في مراحل تاريخية مختلفة على مجال البحث في اللغة، ولذا تعتبر هذه المصطلحات جزءًا من تاريخ البحث اللغوي، وينبغي أن نترك هذه المصطلحات للحديث في تاريخ العلم على أن تكون المصطلحات الحديثة قائمة على أساس النظرية الحديثة لعلم اللغة.

علاقة علم الأسلوب بالعلوم اللغوية:

من المعلوم أنه كان للعرب دور كبير، ومشهود في تطوير الدراسات اللغوية على أسس علمية منذ القرن الأول الهجري، فقد ساهم رواد البحث اللغوي بدءاً "بأبي الأسود الدؤلي"، ومروراً "بالخليل" وتلميذه "سيبويه"، و"ابن جني" وغيرهم ممن ساهموا، ليس في خدمة اللغة العربية فحسب، بل وفي تطوير البحث اللغوي ككل حيث أتو بنظريات دقيقة ودراسات وصفية، بدأ علماء الغرب في اكتشاف بعضها بعد العلماء العرب المسلمين بأكثر من عشرة قرون، ولعل هذا الاهتمام باللغة راجع إلى عناصرها متباينة، وأغراض دراستها المتنوعة، ولذلك تجد مباحث كثيرة، ومتعددة في مجال اللغة، ومن أهم هذه المباحث علم الأسلوب الذي يبحث في أساليب اللغة، واختلافها باختلاف فنونها من شعر، ونثر، وخطابة، ومحادثة، وكتابة، ومسرح، وقصة، ومناظرة.....الخ

وعد بعض العلماء "علم الأسلوب" فرعاً تطبيقيا لعلم اللغة الحديث، فإذا هو جزء من علم اللغة كان يجب على الباحث في مجالات اللغة أن يقوم بتحليل نظريته إلى عناصرها المختلفة فيجعل أسلوب النصوص الأدبية تطبيقا جزئياً لمقولة أسلوبية عامة، وحينئذ تعتمد النظرية الأسلوبية على علاقة النظام اللغوي العام بمفهوم "دي سوسير"

[1] ينظر: التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م، ج 01، ص 18، 19.

[2] ينظر: حسن المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 01، 2012 م، ج 01، ص 20.

"*Ferdinand de Saussure*" بأسلوب نص معين كمظهر للكلام، ويتعين عليها أن توضح بعض التصورات الهامة في الأدب مثل أسلوب مؤلف معين، أو جنس أدبي بأكمله وما يعتريه من تطور، أو تغيير على ممر العصور.

ويوضح علماء الأسلوب طبيعة العلاقة المتوازية بين مستويات المجالات اللغوية، وعلم الأسلوب بالنموذج التالي [1]:

"علم اللغة النظري ⟵ النظرية الأسلوبية

علم اللغة التطبيقي ⟵ البحث الأسلوبي

منطقة التطبيق ⟵ التحليل الأسلوبي"

وإذا كان علم اللغة الحديث قد ميز بوضوح بين جانبين يمثلان الثنائية اللغوية، هما: النظام والاستعمال، ووضح "دى سوسير" الفرق بين اللغة كنظام يشتمل على الوحدات، والأبنية، والعناصر بوظائفها، ودلالاتها وبين مستوى الكلام الذي يقوم فيه المتحدثون، أو الكاتبون باستخدام هذا النظام والاختيار منه والتنفيذ الفردي لبعض إمكاناته، فإن علم الأسلوب يفيد هذا التمييز.

وقد جاء "علم النحو التوليدي" ليضع ثنائية قرينة من ذلك تتقابل فيها الكفاءة والاختصاص مع الممارسة والفعل، ويؤثر معظم الدارسين إرجاع مقولة الأسلوب إلى التنفيذ الفردي للغة؛ أي: إلى مجال الكلام والممارسة وإن لم يخل هذا الحل من بعض المشكلات.

إذن فعلم الأسلوب هو منهج نقدي لساني يقوم على دراسة النص الأدبي دراسة لغوية لاستخلاص أهم العناصر المكونة لأدبية الأدب إذ تجعل منطلقها الأساس النص الأدبي؛ أي أن علم الأسلوب ينطلق من النص ليصب في النص أو كما يقال قراءة النص ذاته، وينبغي هنا أن نشير إلى أن الوصف اللغوي يتضمَّن استنباطاً لقواعد تحكم العبارات، أمَّا في علم الأسلوب والتحليل الأسلوبي فإنَّ غايته الكبرى ليست استنباط قواعد، وإنَّما هي مسألةٌ تضمينيَّةٌ؛ أي إبراز خواص أسلوبٍ بعينه، والواقع أنَّ هدف التحليل الأسلوبي يطمح في بيان الخواص المميزة لأسلوبٍ ما [2].

علاقة علم الأسلوب العلوم الأدبية

مما سبقت الإشارة إليه أن "علم الأسلوب" انبثق من اللسانيات فهو قد ظهر في الربع الثاني من القرن العشرين، وبعد ذلك اتسع الخوض فيه وفي أسس وتحليلاته في مجال الأدب والبلاغة، والظاهر أنَّ علم الأسلوب قد اكتسب على يدي الباحثين فيما بعد شيئاً كثيراً من النظرة الفلسفية التي امتدَّ طوفانها للأدب فتولَّدتِ الرمزية، والسريالية، وغيرها، وبما أنَّ منشأ المذهب غربيٌّ فقد امتدت بعض النظرات الإلحادية المادية من الباحثين.

ونستطيع اعتبار الأسلوب جملة الصيغ اللغوية التي تعمل عملها في إثراء القول، وتكثيف الخطاب، وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم، وكشف عن سرائره، وبيان لتأثيره على السامع، ويظهر علم الأسلوب ك "جسر ممتد بين اللسانيات، والتاريخ الأدبي" [3] يهدف مثل التاريخ الأدبي إلى إثارة الاختزالية المتميزة للإبداعات الكبرى، والتي يكشفها

---

[1] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م، ص 116 وما بعدها.

[2] رجاء عيد، تحليل الأسلوب والمنهج العلمي لدراسة الأدب، مجلة التربية، قطر، العدد 103، ديسمبر، 1992 م، ص 173.

[3] إيهاب الملاح، شغف القراءة، دار الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2019 م، ص 147.

بوسائل التحليل اللساني في النص الإبداعي، دون الرجوع إلى مرجعية المؤلف ومقاصده، فالأسلوب هو الكاشف لنمط التفكير عند صاحبه [1]؛ إذ يعبّر تعبيرًا كاملاً عن شخصيته، ويعكس أفكاره، وصفاته الإنسانية، ويبيّن كيفية نظره إلى الأشياء، وتفسيره لها، وطبيعة انفعالاته، وغير ذلك مما يؤكد الذاتية أساسًا للأسلوب.

فأغلب النقَّاد اليوم يجمعون على أن "الأسلوب" من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما، فاللغة تمثل مقولة تعتمد على نظام الإحداث الشخصي؛ أي أنها طاقة وليست مخزنا لأسلحة مصنعة، ولا مجرد معجم، أو على حد تعبير "كروتشه" "*Benedetto Croce*" "ليست اللغة مقبرة لأجساد ثاوية محنطة، والوحدة اللغوية الحقيقية هي الشكل الداخلي لبعض أجزاء القول، وعلى الباحث اللغوي والجمالي الناقد أن يواجه هذا الشكل الداخلي لتوضيح مداه في بنيته ومعناه" [2].

فغاية التحليل الأسلوبي المعاصر للبلاغة لا يكمن في استتباعها، وأرشفتها، وإنَّما في الكشف عن روابطها المنسجمة أو المتنافرة، وذلك بمعرفة التوظيف البلاغي للأنماط، ومعرفة الأهمية النسبية لهذه الأنماط في سياقها النصي المحدد، ودورها في تكوين بنيته، فمعالجتها ليست مجرد علاقةٍ سيمانطيقية مجردة، فالمضمون مرتبطٌ بالشكل، ولا سيَّما في المسألة الشعرية أكثر من غيرها في فنون الأدب الأخرى.

ولا ريب أنَّ خصوصية الشكل تبين، وتعدل في الوقت نفسه من المضمون إلى أقصى مدى؛ فالرمزية، والأسطورة، والغموض من سمات القصيدة الحرة المعاصرة، وارتبط هذا بالشكل، أو القالب الشعري له فجاء مبعثراً على السطور بحسب الطاقة الشعورية، وصارت القصيدة كُلاًّ لا يتجَّزأ، ولو نظرنا إلى القصيدة العمودية لوجدنا الوضوح والمباشرة ارتبطا في الوزن العروضي، لذلك جاء شكل القصيدة مكوَّناً من أبياتٍ يشكِّل كلُّ بيتٍ منها وحدةٌ مستقلةٌ لا ارتباط له ظاهريًّاً بالبيت السابق أو التالي، فلكلِّ نمطٍ أسلوبه الخاص به الذي لا ينفع معه أسلوب الآخر، والقصة بدورها لا تقبل اللغة العربية ذات الألفاظ الصعبة، أو الغامضة، فالمضمون الفكري، أو الاجتماعي للقصة لا ينسجم مع ذلك الشكل اللغوي المتقعِّر – لو جاز لنا التعبير – بل يحتاج إلى لغةٍ أقرب إلى لغة العوام لتمثِّل الأسلوب الحقيقي للغة أبطال القصة من خلال سياقها الثقافي والفكري .

فدراسة الأسلوب ذات علاقةٍ وثيقةٍ بالبحث في أنماطٍ لغويَّةٍ متنوِّعةٍ عامَّةٍ، والناقد الأدبي عليه أن يطيل النظر في بنية النص للوصول إلى تحليلٍ أسلوبيٍّ محكمٍ.

فالأسلوب يتعامل مع النص على أنَّه مجموعةٌ من الملفوظات اللغوية الخاضعة للتحليل، ولاسيَّما أنَّ علم اللسانيات يتعامل مع اللغة الطبيعية باعتبارها نسيجاً للنصوص الأدبية، فالنص هو ممارسة علاماتية تتجاوز الفصل القطعي بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي، فالنص يعيد توزيع نظام اللسان بالكشف عن العلاقة القائمة بين الكلمات

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م، ص 60.

[2] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص 36 .

التواصلية، مشيراً إلى بياناتٍ مباشرةٍ تربطها بأنماطٍ مختلفةٍ من الملفوظات السابقة والمتزامنة معها، والنص نتيجةً لذلك هو عبارةٌ عن عمليةٍ إنتاجيةٍ [1].

وفي النص الأدبي نجد مجموعة من السمات التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار، أو الاستبعاد، وباتباع طرق مختلفة في التوزيع ليشكِّل بها النص، من حيث إن المتغيرات الأسلوبية هي مادة غفل متاحة من جهة الإمكان العقلي على الأقل أمام جميع المنشئين ليعمل فيها كل منهم بما أوتي من قدرة على التصرف في قائمة الأبدال المتاحة؛ إذن فعملية الاختيار هي مكون أساسي من مكونات عملية التشكيل الأسلوبي، وهي في جوهرها اختيار شكل تعبيري واحد من بين مجموعة أبدال متاحة، ويكون الاختيار في أبسط حالاته بين بديلين، أما في الحالات المعقدة فيكون الاختيار بين عدد كبير من الأبدال.

فعلم الأسلوب هو في خاتمة الأمر بيانٌ لأداء التعبير عبر الفكر من خلال اللغة، ومع ما في هذا من اتِّساع الفجوة بين الفكر واللغة، فعلم الأسلوب يساعد على ملء الفجوة بين الدراسات اللغوية والأدبية في مجال التعليم والبحث معاً، وبفضله يمكن الوصول إلى الوحدة الجوهرية الشاملة التي يهدف إليها النقل المتكامل في تغطيته لمختلف مستويات العمل الأدبي بنيويًّاً ليصل من ذلك إلى تحديد أثره الجمالي الأخير [2].

وفي الإمكان أن نحدِّد الأبعاد الآتية لأيّ أداءٍ لغويّ:

1. موضوع الحديث؛ أي الشيء الذي نتحدَّث عنه، وهو ما أطلق عليه "شارلز مورس" " *Charles W. Morris*" "تعبير البعد السيمانطيقي": "*Sematic dimension*".
2. الأطراف بمعنى المتكلم والمخاطب: "*speaker and addresse*".
3. العملية الكلامية بمعنى اللغة التي ترسل بها الرسالة.
4. الصياغة الشعرية؛ وهي اللغة التي نصوغ بها الرسالة.
5. الرسالة والمقصود بها الشكل، أو الصيغة التي نقدم موضوع الحديث، أو المضمون، وهي بذلك ترتيب المادة الكلامية.

إنَّ كلَّ الأبعاد الخمسة المذكورة آنفاً تدخل في اللغة الشعرية مثلما تدخل أيضاً في الكلام العادي، إلاَّ أنَّ هذه الأبعاد في اللغة الشعرية تخضع لنظامٍ مغايرٍ، بل إنَّ بعض هذه الأبعاد تقوم بأداء وظيفةٍ مختلفةٍ في مغزاها عمَّا نتوقعه في لغة النثر، ولعله من اللافت للنظر أنَّ كلاً من هذه الأبعاد الخمسة قد وُجِد من ينادي له بأنَّه يحوي في داخله الخواص الجوهرية للشعر.

ونشير إلى أنَّ الأهداف العامة في البحث الأسلوبي تقوم على مبادئ علم اللغة التطبيقي، فالدراسة الأسلوبية تجعل من البيانات اللغوية مرتكزاً لها، وميزات الأساليب الأدبية المختلفة عن بعضها البعض، تستدعي استيعاب العلاقة بين

[1] ينظر: محمد إسماعيل بصل، نحو نظريةٍ لسانيةٍ مسرحيةٍ، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996 م، ص 39، 40.

[2] ينظر: صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص 158، 159.

اللغة والأداء الفني، بغية تبيين حدود التأثيرات اللغوية في إسهامات الناقد الأدبي، فعلم اللغة التطبيقي يتيح رسم ملمحٍ شاملٍ في حيّز الدراسة الأدبية.

دور المتلقّي في علم الأسلوب:

لا شكَّ أنَّ هناك دوراً كبيراً للمتلقي في علم الأسلوب، وعلى صعيد الدراسة الأدبية في ضوء علم الأسلوب لا نكتفي بالتفكيك اللغوي للنص، لأننا ندرك أن الأدب في مجاله الرحب أوسع من أن نحصره في أساسه اللغوي الصرف، ذلك أنَّه لا يتحدَّد بالكلمة التي تشكِّل مادته الأولية بل في (الجملة المفيدة)، ومن هذا المفهوم نضع أيدينا على مفهوم البنائية الصغرى؛ ونقصد من ذلك تواشج العناصر الأساسية للنص الأدبية كالكلمة، والعبارة، والجملة، والإيحاءات المدرجة في النص كعلامات الاستفهام والتعجب وغيرها، وهذا يفضي إلى ما نصطلح عليه بالبنائية الكبرى، والتي تتعلَّق بشكلٍ، أو بآخر بالسياق الثقافي، والاجتماعي، والديني للأمة التي انبعث منها النص الأدبي، لذلك فعلم الأسلوب يتوجه إلى الكشف عن هذه القيمة التأثيرية (من ناحيةٍ جمالية نفسية عاطفية)؛ أي الكشف عن جمالية البنائية الصغرى والبنائية الكبرى، لذلك كنَّا نرى أنَّه من أهم صفات الأسلوب الأدبي عمومًا، والشعري على وجه الخصوص أنه يتميز بنوع من العدول عما هو مألوف في اللغة، مما يكسر النسق الثابت والنظام الرتيب، وذلك عن طريق استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها الكامنة، فالأسلوبيون ينظرون إلى اللغة في مستويين [1]:

1. الأول: النمط التعبيري المتعارف عليه الذي يؤدي الوظيفة الإخبارية للكلام، وهذا المستوى هو ما يطلق عليه البلاغيون "أصل الكلام".
2. الثاني: النمط الإبداعي الذي يقوم على تجاوز المستوى الأول، والعدول عنه إلى التعبير الفني، وإلى هذا المستوى تتجه عناية البلاغيين والأسلوبيين.

ومن الملحوظات المبكرة في التراث العربي حول هذا المفهوم ما ذهب إليه بعض النقاد [2] من أن "الجاحظ" قد أشار في كتابه "البيان والتبيين" إلى مستويي اللغة المستوى العادي في الاستعمال، والمستوى الفني في الاستعمال الخاص، ويقترن المستوى الأول بطبقة العامة وغرضه إفهام الحاجة، أما المستوى الثاني فغرضه البيان البليغ، ويتميز هذا المستوى بمبدأ اختيار اللفظ وينفرد بالتجويد، والتماس الألفاظ، وتخيرها [3].

---

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م، ص 198.

[2] عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1976 م، ص 158.

[3] ينظر: توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، 1984 م، ص 84، وينظر: خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، في نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 27 / 38، وينظر: محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م، ص 51 / 56.

فعلم الأسلوب مجموعة ألوان يصطبغ بها الخطاب ليصل عن طريقها إلى إقناع القارئ، وإمتاعه، وشد انتباهه، وإثارة خياله [1]، وعليه فإن الأسلوب هو سلطان العبارة إذ تجتذبنا، والأسلوب يمكن أن يكون له معنى أوسع فيشمل الفن الأدبي الذي يتخذه الأديب وسيلة للإقناع، أو التأثير ، ومهما تعددت تعريفات الأسلوب باعتبار المخاطَب إلا أنها تلتقي في أمرٍ مشترك، ألا وهو أثر الأسلوب على المتلقّي، فقد يكون هذا الأثر إمتاعًا، أو إقناعًا، أو شد انتباه، أو إثارة خيال، أو أي تأثيرٍ على المتلقّي أيًّا كان نوع هذا التأثير، وعلى هذا فإنَّ الأسلوب باعتبار المخاطَب "المتلقِّي" فالأسلوب هو سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي – أيًّا كان نوع هذا الأثر – .

وحينما نتكلّم عن مفهوم الأسلوب باعتبار المتلقّي، فإنه من المستحسن أن نشير إلى جهود "ريفاتير" " ***Michel Riffaterre***" الذي راعى "جانب التلقي في الاتصال الأدبي، فحدد الأسلوب معتمداً على أثر الكلام في المخاطَب، وأدخل القارئ في النظرية الأسلوبية، وجعل المتلقي "امتدادًا مشاركًا في التحليل الأسلوبي"، ويذهب بعضهم – مثل ريفاتير – إلى أن تحليل الأسلوب متركز في الصلات بين النص، وردّ فعل القارئ، فالقارئ قد يعدّ "عنصرًا من النظرية الأسلوبية، أو وسيلة مساعدة في التحليل الأسلوبي، أو هما معًا "لقد تميّزت نظرات "ريفاتير" الأسلوبية بإعطاء المتلقّي بعدًا ذا أهميةٍ كبيرة، في النظرية الأسلوبية عمومًا، وفي التحليل الأسلوبي على وجه الخصوص [2].

فالأسلوب هو مجموع الظواهر اللغوية المختارة الموظّفة المشكِّلة عدولاً، وما يتصل بذلك كله من إيحاءات، ودلالات، ممتزجًا كل ذلك بشبكة العلاقات داخل النص، وخارجه، وقد سار مؤلفو البلاغةِ العامة في الاتجاه ذاتِه، حينما يحددون الأسلوب بكونه "ردود فعْلِ القارئ في استجابته لمنبّهاتِ النص" [3]، فالمتلقي موجودٌ في الخطاب بالقوّة؛ مما يجعل المخاطِب يُضمّن خطابَه عناصرَ لغويةً من شأنها التأثيرُ فيه.

ويبيّن "المسدّي" أهميةَ المتلقي، ودوره في إيجاد الخطاب بقوله: "إن الملفوظ يظل موجودا بالقوّة سواء أفرزته الذات المنشئةُ له، أم دفنته في بواطن اللاملفوظ، ولا يُخرجه إلى حيّز الفعلِ إلا متلقيه" [4]، وإذا كانت اللغةُ تحتلّ تلك المكانةَ في الدراسات الأسلوبيّة، فأمَا من حدود تقف عندها تلك الدراسات في دراسة لغة النص ؟، إنها تدرس كل ما يتعلّق بلغة النص من أصواتٍ، وصيغٍ، وتراكيبَ، وكلمات، فتستفيد من علم الأصوات، والصرف، والدلالة، والتراكيب؛ في الكشف عن سمات الأسلوب، وذلك لا يعني أن علم الأسلوب قد أصبح عِلما يحوي كل تلك العلوم بل إنه يستفيد من تلك العلوم اللغوية في تحليل النص الأدبي.

---

[1] ينظر: بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 79.

[2] ينظر: ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ترجمة: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1993 م، ص 60.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 76.

[4] نفسه، ص 83.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. ابن الأنباري، الإغراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سوريا، 1957 م.
2. ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق أحمد عبد الباسط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2017 م.
3. ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق: عطية عامر، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998 م.
4. إيهاب الملاح، شغف القراءة، دار الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2019 م.
5. بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
6. التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
7. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، 1984 م.
8. حسن المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 01، 2012 م.
9. أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك، المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.
10. ابن خلدون، المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 2002 م.
11. خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، في نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م.
12. رجاء عيد، تحليل الأسلوب والمنهج العلمي لدراسة الأدب، مجلة التربية، قطر، العدد 103، ديسمبر، 1992 م.
13. ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ترجمة: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1993 م.
14. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1981 م.
15. السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1987 م.
16. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1998 م.
17. طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1985 م.
18. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 03، 1982 م.
19. عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1976 م.

20.الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م.
21.كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 م.
22.محمد إسماعيل بصل، نحو نظريةٍ لسانيةٍ مسرحيةٍ، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996 م.
23.محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م.
24.محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م.
25.محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1973 م.

المحاضرة السادسة

نظريات الأسلوبية.

توطئة:

إن الناظر في تراث التفكير الإنساني والعربي يدرك بيسر أن رواده قد كانوا ينزلون التقاء الانسان باللغة في لحظة التحديد ذاتها؛ إذ أن الحد المميز للإنسان لا يتخصص إلا بدخول عنصر اللغة فيه، ففي مستوى التعريف المنطقي للإنسان تمثل الظاهرة اللغوية المحور الفقري الذي تتولد عنه مجموعة الفوارق التمييزية على الصعيد الوجودي، والفلسفي عامة، ولا يكاد يخلو تعريف الانسان، سواء على نهج الفلاسفة والمتكلمين، أو على طريقة الأدباء، واللغويين من قصر سمة التمييز الإنساني على ظاهرة الكلام فهو "الانسان الناطق"، فيكون النطق "الفصل الذاتي" ضمن عناصر تركيب الحد المنطقي، وهذا ما قد استوجب اعتبار "النفس الناطقة هي الانسان من حيث الحقيقة" [1] على حد عبارة "أبو الفتح الشهرستاني".

فالعلاقة التي تربط الانسان باللغة هي علاقة بالطبع والاقتضاء لا بالعرض والاتفاق، ومعنى ذلك أن الانسان في كينونته الجوهرية موجود متكلم، فتركيبه الطبيعي مقتض للبعد اللغوي بالضرورة، فهذه الأهمية التي تحتلها اللغة في حياة الانسان جعل من دراستها مركز الجاذبية في كل البحوث الإنسانية اطلاقا، فالذي حدث في علوم اللغة ليس "موضة" كالتي تعرفها بعض مناهج النقد في الأدب، ومدارس التحليل في الفلسفة، فعلم الأسلوب أصبح اليوم من أهم حقول البحوث الإنسانية ولا أدل على ذلك تلك النظريات الاسلوبية التي اهتمت بهذا العلم.

في مفهوم النظرية:

تمثل "النظرية العلمية" أهمية بالغة في البحث العلمي بصفة عامة، وتتحدد على أساسها "هوية" أي علم من العلوم، فالنظرية "*Théorie*" هي التي تحدد موضوع العلم، وتنظم عملياته، وأدواره، واتجاهاته، وبذلك تختلف النظرية عن "المنهج العلمي" الذي يعتبر أساساً واحداً لكل العلوم الطبيعية والإنسانية مع اختلاف الإجراءات، والأدوات باختلاف الظاهرة محل الدراسة، فعلى سبيل المثال تعد "الملاحظة" خطوة أساسية في كل بحث علمي، طبيعي، أو إنساني، ولكن تختلف أدوات الملاحظة، ففي "الكيمياء" يستعين الباحث بـ "المجهر"، وفي علم الاجتماع يستخدم "دليل، أو كراسة الملاحظة" وهكذا.

فالنظريّة تُعرفُ لغةً: بأنّها مصطلح مشتق من الكلمة الثلاثيّة نَظَرَ، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما، أمّا اصطلاحاً: فتُعرف بقواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً [2]، وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهمُ في بناءِ فكر جديد، فهي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانيّة، ومنطقيّة، من أجل استنتاجِ مجموعة من الخلُاصات، والنتائج التي تساهمُ في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظريّة.

---

[1] أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1968 م، ج 01، ص 182.

[2] ينظر: عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019 م، ص 09.

وعليه فالنظرية طائفة من الآراء التي تحاول تفسير الوقائع العلمية، أو الظنية، أو البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشخص والموضوع، أو السبب والمسبب [1]، وتعني النظرية في الدراسات الإنسانية التصورات، أو الفروض التي توضح الظواهر الاجتماعية والإعلامية، والتي تأثرت بالتجارب، والأحداث، والمذاهب الفكرية، والبحوث العلمية التطبيقية، والنظرية عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتعريفات، والافتراضات التي تعطينا نظرة منظمة لظاهرة ما عن طريق تحديد العلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بتلك الظاهرة، بهدف تفسير تلك الظاهرة، والتنبؤ بها مستقبلاً.

والنظرية لها عدد من المعاني المختلفة باختلاف الفرع التي تستخدم به هذه الكلمة، بشكل عام، تكون النظرية نوعا من التفسير لشرح كيفية حدوث ظاهرة طبيعية، بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة، وعدم وجود نزاع في حدوثها، تأتي الآن النظرية لتشرح آلية حدوث هذه الظواهر، وتكون بشكل عام عرضة للصواب والخطأ، لكن التماسك المنطقي والرياضي للنظرية ثم شرحها لأكبر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعم النظرية، ويعطيها تأكيدا أكثر فأكثر، فالنظرية تنطلق من مسلمات، أو مبادئ متفق عليها، وتكون أساسا لبناء النظرية، وما يترتب عليها من نتائج.

هناك فرق شاسع بين الاستعمال العلمي لكلمة نظرية والاستعمال العام لها، بشكل عام يقصد بكلمة نظرية، رأي، أو فرضية، في هذا المجال لا يتوجب أن تكون النظرية مبنية على حقائق، أما في المجال العلمي تشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة، أو ظواهر معينة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية ويمكن نقدها، ينتج من ذلك أنه في المجال العلمي "النظرية" و"الحقيقة" ليسا شيئين متضادين مثلاً: الحقيقة هي أن الأجسام تسقط إلى مركز الكرة الأرضية، والنظرية التي تشرح سبب هذا السقوط هي الجاذبية.

ويتفق كثير من العلماء، والدارسين على أن النظرية تمثل "نسقاً فكرياً متسقاً حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة" [2]، وتعرف بأنها "تفسير لظاهرة معينة من خلال نسق استنباطي" [3]، ويتضمن النسق إطاراً تصورياً ومجموعة مفاهيم وقضايا نظرية توضح العلاقة بين الوقائع وتنظمها بشكل له معنى، إضافة إلى أنها ذات بعد تجريبي يستند الى الواقع ومعطياته قابل للاختبار، كما أنها تنبؤية تساعد على تفهم مستقبل الظواهر، وإن كان من خلال التعميم، كما تعرف بأنها "عبارة عن مجموعة مترابطة من المفاهيم، والتعريفات، والقضايا التي تكون رؤية منظمة للظواهر عن طريق تحديدها للعلاقات بين المتغيرات بهدف تفسيرها والتنبؤ بها" [4].

---

[1] عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016 م، ص 05.

[2] نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980 م، ص 99.

[3] إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، ط 01، 2012 م، ص 36.

[4] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م، ص 16.

ويستلزم بناء النظرية وفق التعريفات السابقة توفر المقومات الآتية:

1. وجود إطار تصوري، أو مجموعة من المفاهيم تتناول مفهوم النظرية، وتنقسم إلى مفاهيم وصفية، وأخرى علمية.
2. أن تحتوي النظرية على مجموعة من القضايا تبين كل قضية علاقة معينة بين مجموعة من المتغيرات.
3. أن ترتب القضايا التي تتناولها النظرية في نسق استنباطي يبدأ بالمقدمات، وينتهي بالتوصل إلى النتائج، وأن تكون القضايا ذات اتساق منطقي، بمعنى يمكن استنتاج كل قضية من القضية التي تسبقها.
4. أن تفسر النظرية الوقائع التي تشتمل عليها، وتصبح النظرية مؤكدة وقوية كلما فسرت وقائع أكثر.

النظرية النفسية في علم الأسلوب:

تعني النظرية النفسية في "علم الأسلوب" بمضمون الرسالة، ونسيجها اللغوي مع مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي، الذي هو نتيجة لانجاز الإنسان، والكلام، والفن، وهذا الاتجاه تجاوز- في أغلب الأحيان – البحث في أوجه التراكيب، ووظيفتها في نظام اللغة إلى العلل، والأسباب المتعلقة بالخطاب الأدبي [1]، وتسمى أحيانا هذه النظرية بـ "أسلوبية الكاتب"، و"الأسلوبية التكوينية"، و"أسلوبية الفرد"؛ وهي "جسر بين دراسة اللغة، ودراسة الأدب، وهي "الأسلوبية المثالية" [2]، وهو اتجاه مثل ردود فعل اتجاه أسلوبية التعبير، وتهتم بالقضايا القيمة التي يطرحها أسلوب الكاتب الخاص به وهي اتجاه يتجاوز البحث في أوجه التراكيب، ووظيفتها في نظام اللغة إلى العلل الأسباب المتعلقة بالنقد الأدبي [3].

من بين النقاد الذين حاولوا أن يقيموا صلة بين نفسية الكاتب وأسلوبه، النّاقد، والفيلسوف الألماني "ليو سبيتزر" "*Leo spitzer*"، الذي حوّل الدراسة النّقدية للنّصوص إلى نظرة صوفية تتقرب من الذات الإلهية في علاقتها بالكون [4]، أو بالنظام الشمسي، وعلاقته بالكواكب، والنّجوم، ويتحدد فكر "ليو سبيتزر" في الأساس بأن روح المؤلف منبثقة في أجزائه، لهذا يقول "حسن ناظم" "إن أسلوبية سبيتزر تبحث عن روح المؤلف في لغته، ومن هنا اتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو نفسي، وما هو لساني" [5]، ويرى البعض أن منهج "سبيتزر" "منهج أسلوبي لا مجازفة في شيء أن ننعته بتيار الانطباعية، فكل قواعده العملية منها، والنظرية قد اغرقت في ذاتية التحليل، وقالت بنسبية التعليل، وكفرت بعلمانية البحث الأسلوبي" [6]، ويقول "ليو سبيتزر": "إن الانحراف الفردي عن نهج قياسي، لا بد وأن يكشف عن تحول في نفسية

---

[1] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج 01، ص 67.

[2] أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 01، جانفي، 1984 م، ص 65.

[3] ينظر: مسعود بودوخة وآخرون، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2017 م، ص 25.

[4] يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 112، 113 .

[5] حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م، ص 34.

[6] عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 153.

العصر، تحول يشعر به الكاتب و أراد أن يترجمه إلى شكل لغوي ، ولا بد وأن يكون هذا الشكل جديدا، فمثلا يمكن تحديد الخطوة التاريخية نفسيا، ولغويا على السواء، ومن المسلم به أن تحديد لغوي يكون أسهل بالنسبة للكتاب المعاصرين لأننا نعرف أساسهم اللغوي أكثر مما نعرف أساس الكتاب المتقدمين" [1].

واستعانت جل دراسات، ونظريات "سبيتزر" للأسلوب بعلم الدلالة التاريخية فهو يتتبع التطور التاريخي للكلمة، ليستقي منها معلومات تسهم في إثارة بعض البؤر المظلمة في النص لأن الكلمة عنده في السياق قد تأخذ دلالة معينة في النص، وقد تتعدد دلالتها بحسب السياق والقدرة التأويلية للمتلقي [2].

ويمكن تلخيص أسس "النظرية النفسية" في خمس نقاط [3]:

1. وجوب انطلاق الدراسة الأسلوبية من النص ذاته.
2. معالجة النص تكشف عن شخصية مؤلفه.
3. ضرورة التعاطف مع النص للدخول إلى عالمه.
4. إقامة التحليل الأسلوبي على تحليل أحد ملامح اللغة في النص الأدبي.
5. السمة الأسلوبية المميزة تكون عبارة عن تفريغ أسلوبي فردي، وطريقة خاصة في الكلام تترام في الكلام العادي.

إن هذه الأسس الخمسة تكشف عن منهجية "سبيتزر" من الناحية التطبيقية، فقد كان "سبيتزر" ممارسا أكثر منه منظرا، وهو بذلك عالم أسلوبية في الصميم وحاول "هنري موريه" "*henry Murray*" اكتشاف ما أسماه "رؤية" المؤلف الخاصة للعالم من خلال أسلوبه، واكتشاف هذه الرؤية يقوم على أنه هناك خمس تيارات كبرى ذات تعبيرات مختلفة تتحرك داخل "الأنا العميقة" هي: القوة، والارتفاع، والرغبة، والحكم، والتلاحم، وهي الأنماط التي تشكل نظام الذات الداخلية [4].

كما نجد أيضا أن "سبيتزر" أول من قام بوضع خطة بين علم اللغة والأدب على أساس أن أعظم وثيقة كاشفة عن روح شعب من الشعوب هي أدبه، ونظرا لأن الأدب ليس سوى لغته كما كتبها أكبر كتابه، لأنه يوسعنا أن نعلق أمالا كبيرا على فهم روح الأمة في لغة أعمالها الأدبية الفذة [5]؛ إذن فنظرية "سبيتزر" حصرها في النص الأدبي والأسلوب مرتبط بالإبداع عنده، ونقلت بذلك من اللغة إلى الكلام الأدبي، حيث يهدف إلى الوصول إلى نفسية المبدع، وميوله، ونوازعه، وهذا نابع من تأثيره بالأبحاث السيكولوجية، التي تسعى إلى التعمق في نفسية الكاتب، وتفردها بالتجربة الأدبية.

النظرية الإحصائية:

---

[1] محمد شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1985 م، ص 35.

[2] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، ج 01، ص 73.

[3] ينظر: ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ترجمة: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1993 م، ص 68، 69.

[4] ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 36.

[5] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 1993 م، ص 57.

عندما حاول "علم الأسلوب" الاقتراب من الموضوعية لتحقيق مشروعيته العلمية، تولدت نظريات جديدة للدراسة، ولعل من أهمها النظرية والمنهج الإحصائي؛ والذي تعنى بالكم، وإحصاء الظواهر في النص انطلاقا من مسلمات؛ إذ تحاول هذه النظرية الوصول إلى تحديد الملمح الأسلوبي للنص، من خلال حصر الصيغ، والمفردات التي تميز مستوى لغوي عن آخر، وهي تقوم على إبعاد الحدس لصالح القيم العددية، ومن ذلك فالبؤرة التي تركن إليها هي عدّ، وإحصاء العناصر اللغوية في النص متجنبة الذاتية، وتحليها بالموضوعية [1]، ومما لاشك فيه "أن المنهج الاحصائي أصبح صاحب اليد الطولى في مجال الأسلوبيات باعتباره نموذجا للدقة العلمية التي لا تترك مجالا لذاتية الناقد، أو الباحث كي تنفذ إلى العمل الأدبي" [2]، فالباحث الأسلوبي يرجو دائما الوصول إلى الموضوعية الكاملة التي تسمح له بمواجهة أي نص إبداعي دون خوف من إسقاط ذاتيته عليه، أو إلقاء أحكام مسبقة، أو بعدية بالحسن، والقبح إنه يريد تحليل النص بذاته ولذاته لا لغاية نفسية، أو إيديولوجية تتحكم في الناقد والنقد معا، لذلك كان "البعد الاحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها" [3].

و"للمنهج الاحصائي" الفضل في القدرة على التمييز بين السمات اللغوية، وبين السمات التي ترد في النص وروداً عشوائيا، لكن الاتجاه الإحصائي وحده لا يكفي فهو محض تكتمل وظيفته، ودلالته بالنفاذ إلى تفسيره، وتحليله إلى ما ورائه؛ بمعنى إذا تفرد فإنه لا يعطي الجانب الأدبي حقه، فإنه لا يستطيع وصف الطابع الخاص، والتفرد في العمل الأدبي، وإنّ ما يحسن هذا الاتجاه إذا كان مكملا للمناهج والنظريات الأسلوبية الأخرى [4].

وقدم "كوهن" "*Jean Cohen*" توسيعًا للقاء الأسلوبية بالإحصاء فيقول: "لكون الأسلوبية هي علم الإنزياحات اللغوية والإحصاء، علم الإنزياحات عامة فمن الجائز تطبيق نتائج الإحصاء على الأسلوبية لتصبح الواقعة الشعرية قابلة للقياس إذ يبرز كمتوسط تردد الإنزياحات التي تقدمها اللغة الشعرية بالنظر إلى النثر" [5]، وعمل التحليل الإحصائي يهدف إلى "تمييز السمات اللغوية، وذلك بإظهار معدلات تكرارها، ونسب هذا التكرار، ولهذه الطريقة في التحليل أهمية خاصة في تشخيص الاستخدام اللغوي عند المبدع" [6]، وأورد "نور الدين السد" تمييزا بين "ما يتضمنه النص من انحراف متفرد في الاستعمال الشطط الذي لا متعة فيه، وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جدير بأن يعد خاصة أسلوبية هامة بل

---

[1] ينظر: فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003 م، ص 19.

[2] مسعود بودوخة وآخرون، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، ص 39.

[3] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، ص 260.

[4] ينظر: أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م، ص 29.

[5] جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمري ومحمد الوالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م، ص 16.

[6] سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 2002 م، ص 48، 49.

لابد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق" [1]، وتميز السمات اللغوية البارزة، أو الانحراف الأسلوبي ينطلقان أساسا من عملية الإنتاج الإبداعي التي تقوم على الاختيار، والتأليف، والانحراف.

وعلى الرغم مما قام به الاتجاه الإحصائي، إلا أنه لقي من النقد والتجريح ما لم يلقه غيره، لأنّ الاعتماد على الإحصاء يحيل اللغة الأدبية إلى شيء بلا ذائقة، كما أن المبالغة فيه تقتل الدراسة الأدبية خاصة وأنّ المنهج الإحصائي يعتمد على جداول صماء، مما يجعل النص الأدبي جامدا لا حيوية فيه.

نظرية الأفعال والصفات:

وأعم نظريات الأسلوبية الإحصائية "نظرية بوزيمان" نسبة إلى العالم الألماني "بوزيمان" "*A.Busemann*" الذي كان أول من اقترحها، وطبقها على نصوص من الأدب الألماني في دراسة نشرت له عام 1925 م، وتكون هذه المعادلة بقسمة التعابير الدالة على الحدث على التعابير المرتبطة بالوصف، فإذا زادت القيمة كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي [2]، وترى هذه النظرية كذلك أنّ "تمييز النص الأدبي بوساطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير أولهما – التعبير بالحدث، وثانيهما مظهر التعبير بالوصف، ويعنى "بوزيمان" بأولهما: الكلمات التي تعبر عن حدث، أو فعل، وبالثاني الكلمات التي تعبر عن وصفه مميزة لشيء ما أي تصف هذا الشيء وصفا كميا أو كيفيا" [3]، ونستطيع أن نكتشف مميزات نص من غيره انطلاقا من نسبة الكلمات المعبرة عن حدث، والكلمات المعبرة عن وصف، وذلك "بحساب هذه النسبة حيث نحصي عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع وعدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الثاني، ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد، وتنقص حسب عدد كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، وتستخدم هذه القيمة دالاً على أدبية الأسلوب" [4].

وقد تعرضت هذه المعادلة إلى النقد من طرف بعض النقاد لافتقارها إلى المسوغات الكافية لشرعية تطبيق تلك المعادلة على النصوص الأدبية العربية، وذلك أن "بوزيمان" انطلق من اللغة الألمانية "حيث تعرض إلى نصوصها المكتوبة، وتحليلها وفق المستويات النحوية، والمعجمية، والصرفية ومن البديهي أن اللغات تختلف في جميع هذه المستويات، وأن هذا الاختلاف هو المصدر الذي يمنع تعميم الفرضيات على اللغات جميعا" [5]، وقد قام "سعد مصلوح" بدراسة قيمة حول الدراسة الإحصائية للأسلوب، وتناول فيها المفهوم، والإجراء، والوظيفة، واشتغل هذه البحث على أهم طرق الإحصاء المستخدمة في الوصف، والتحليل الإحصائي، وأكثرها شيوعًا.

خطوات الإحصاء الأسلوبي:

---

[1] ينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، ج 01، ص 105.

[2] ينظر: سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، ص 73، 47.

[3] حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، ص 51.

[4] سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، ص 28.

[5] نفسه، ص 52.

تقوم العملية الإحصائية للأسلوب على الخطوات التالية:

أ- التشخيص الأسلوبي: ويأتي بعد التشكيل الأسلوبي أي تشكيل النص الإبداعي وهو نشاط تحليلي يقوم به الباحث هدفه الكشف عن الهوية الأسلوبية للنص من خلال الكشف عن المؤشرات الأسلوبية التي" هي العناصر اللغوية المشروطة بسياق النصوص، أما العناصر الأخرى التي لا تقوم بدور المؤشرات فهي محايدة، ولا دلالة لها" [1].

وهذه المؤشرات الأسلوبية هي عملية اختيار واعية، أو غير واعية لعناصر لغوية معينة، وتوظيفها عن قصد لإحداث تأثير خاص هو التأثير الأسلوبي، والكشف عن مدى هذا التوظيف، وإبعاده يقتضي من الباحث استخدام قياس دقيقة.

ب- تحديد المتغير الأسلوبي: وهي مجموعة السمات اللغوية التي تعمل فيها المنشئ بالاختيار، أو الاستبعاد، وبالتكثيف، أو الخلخلة، وبإتباع طرق مختلفة في التوزيع ليشكل بها النص، وحينئذ تصبح المتغيرات الأسلوبية مميزة" [2]، وتنقسم إلى متغيرات شكلية، وصوتية، وصرفية، وتركيبية، ودلالية، والمتغيرات ما فوق الجملة.

ج- قياس كثافة المتغير الأسلوبي: ومثاله قياس كثافة نوع من أنواع الجمل (الاسمي/الفعلي/البسيط /المركب /المعقد/ الإنشائي/الخبري) يقسمه عدد الجمل المراد قياسها على المجموع الكلي لعدد الجمل المكونة للنص.

د- قياس البنية بين متغيرين أسلوبيين: وذلك بقسمة تكرارات أحدهما على تكرارات الآخر، كقياس بنية الأفعال إلى الصفات مثلا.

هـ-قياس النزعة المركزية للمتغيرات: وبها نميز منشأ، أو مبدعا من خلال استخدام ما ويعني ذلك نزعة مركزية عالية إلى استعمال نوع معين في النص (كلمات – جمل...).

و- قياس تشتت بيانات المغيرات: ويتم بين النصوص المتشابهة إذ يتم التفريق بينها بهذا المعيار أي قياس درجة انتشار البيانات الرقمية داخل النصوص المحللة إحصائيا وهذا سيكشف عن اختلافات لا تظهر في الظاهر بل تظهرها عملية الإحصاء.

ز-قياس التوزيع الاحتمالي للمتغيرات: يقصد به قياس تكرارات متغير أسلوبي ما في أجزاء النص الواحد أو بين نصوص لمبدع واحد أو مبدعين مختلفين

ح- قياس معامل الارتباط بين المتغيرات: تختلف المتغيرات الأسلوبية في النص، ولكن هناك روابط بينها كاختلاف الجمل طولا، وقصرا، وما تحمله من بساطة، وتركيب، وهذا القياس يتم عبر تحديد الارتباط بين الجمل، وما فيها من بساطة، أو تركيب.

الأسلوبية الإحصائية في النقد العربي المعاصر:

من الدارسين العرب الذين اعتمدوا الإحصاء الكمي منهجا نقديا "محمد العمري" في كتابه "تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية" الذي يقول: "يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من عوامل البروز، والظهور فالمواد التي تتكاثف بشكل غير

[1] نفسه، ص 28.

[2] نفسه، ص 51.

عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها نفسها" [1]، كما قام "إبراهيم أنيس" بإحصاء أصوات عشرات من صفحات القرآن ثم حصر نسبة شيوع الأصوات كما أحصى بحور الشعر التي استعملها كثير من شعراء العرب، ويخرج بنتائج مقنعة في كتابه الأصوات اللغوية [2].

ومن المؤيدين لهذا المنهج "عبد المالك مرتاض" الذي يقول: "أجل إنّ المنهج الإحصائي لا يخلو من مغالطة منهجية حين يعمد إلى جملة من الألفاظ التي يصطنعها كاتب من الكتاب مثلا مجردة عن سياقها الدلالي، كان يجيء إلى الظلام، أو الموت فيحصيها عددا في نص ما، ثم يبني على ضوء العدد الذي يتوصل إليه حكما نقديا، وإن لنعلم إن اللغة ليست ألفاظا جوفاء، ولا طائرة في الهواء عبثا، ولا شاردة في الفضاء سدا...، وإنما هي سياق، وتراكيب، وانزياح وتوتر" [3]، ولكنه يؤيد هذا المنهج الذي يعده ضروريا في جملة من المواقف للكشف أسلوبيا عن لغة المؤلف؛ أي معجمه الفني واستنصاص هذا المعجم، كما يعد الإحصاء في نظره جديرا بالكشف عن درجة القدرة اللغوية للكاتب الذي ندارس أدبه.

ويؤيد هذا المنهج أيضا "جون كوهين" في كتابه "بنية اللغة الشعرية"؛ إذ يقول: "ففي مفهوم الانزياح يتأكد لقاء هام بين الأسلوبية والإحصاء، ولكون الأسلوبية هي علم الانزياحات اللغوية والإحصاء علم الانزياحات العامة فمن الجائز تطبيق نتائج الإحصاء على الأسلوبية لتصبح الواقعة الشعرية وقتها قابلة للقياس" [4]؛ إذ يمكن اعتمادا على القياس الكمي بتحديد شاعرية نص ما بالنظر إلى النصوص الأخرى، وتعتمد هذه الدراسة الأسلوبية عنده على خطوتين هامتين: أحداهما تبين خصائص الظاهرة، والثانية قياسها.

ولكن "ينبغي قبل أن نحصي أن نعلم ما نحصي، نحن نعتقد أن المشكلة الحقيقية للأسلوب ذات طابع كيفي، وليس كميا ، والتأكد من أننا لم نخطئ، وأننا حقيقة أمام منهج خاص بين مؤلف ما، ومؤلفات أخرى، وبين هذا النوع، وأنواع أخرى".

وحتى وإن كان النقد الموجه للأسلوبية الاحصائية نقداً لاذعاً، فإنها تبقى أسهل طريق لمن يتحرى الدقة العلمية، ويتحاشى الذاتية في النقد، فيجب أن يستخدم هذا المنهج كوسيلة للإثبات، والاستدلال.

وخلاصة القول ليس هناك اتجاهات متخالفة في علم الأسلوب؛ ذلك أنّ أيّ اتجاه من الاتجاهات الأسلوبية لا يكفي وحده لدراسة الأسلوب، فلا يمكن التحدث عن الاتجاه التعبيري، والاتجاه البنيوي، وأسلوبية الانزياح، والأسلوبية الإحصائية، بمعزل عن بعضهم البعض، بل لابد من اندماجهم، وتكاملهم في اتجاه واحد فجميع هذه العناصر الأسلوبية حاضرة في النص، وكلها لها القدرة على معرفة الخصائص النوعية للصناعة الأدبية.

---

[1] محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري في البنية الصوتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، ص 24.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات العربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ص 238، 239.

[3] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م، ص 27.

[4] جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ص 16.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، ط 01، 2012 م.
2. إبراهيم أنيس، الأصوات العربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر.
3. أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 01، جانفي، 1984 م.
4. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
5. أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
6. جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمري ومحمد الوالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م.
7. حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 2002 م.
8. ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ترجمة: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1993 م.
9. سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 2002 م.
10. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط01، 1993 م.
11. عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016 م.
12. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م.
13. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م.
14. عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019 م.
15. أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1968 م.
16. فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2003 م.

17.محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري في البنية الصوتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، ص 24.
18.محمد شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1985 م.
19.مسعود بودوخة وآخرون، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2017 م.
20.موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م.
21.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
22.نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980 م.
23.يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م.

المحاضرة السابعة

المدارس المؤسسة لعلم الأسلوب

.1

توطئة:

حضي النص الأدبي باهتمام وعناية الدارسين، والمحللين، فمارسوا عليه عدة قراءات منها السياقية سابقا، والنسقية حديثا والقراءة الأسلوبية من القراءات النسقية التي تهتم بالجانب اللغوي من النص، وفي المعيار اللساني تعني الأسلوبية التعبيرية صورة من صور الانزياح، والعدول عن معيار الدقة والصواب في اللغة، فهي بحث في ما يتجلى في النصوص الأدبية من انتهاكات متعمدة للمعايير النحوية والدلالية، والاستعانة بقواعد إضافية واختيارات من جهة، واستخدامها في تحسين الأداء التعبيري من جهة أخرى.

ويُعد تتبع الاستعارة – على سبيل المثال – ضربا من الإجراء على هذا المستوى، وقد لوحظ أن الاستعارة تقوم على ضرب من التوازي بين المستعار له والمستعار، وقد توقف عند هذا كثيرون، ومن هؤلاء "جان كوهين" " *Jean Cohen*" في بنية اللغة الشعرية "*structure de langage poétique*"، و"يوري لوتمان" "*Youri Lotman* " في "التحليل البنيوي للغة الشعر" "*la structure du texte artistique*"، و"مكاروفسكي" "*Jan Mukařovský*"، غير أن الفضل في شيوع هذا اللون من الإجراء يعود "لشارل بالي" "*Charles Bally*" وتلاميذه الذين توسعوا توسعا أكبر في دراسة التعبير الأدبي، على أساس أن التعبير الأدبي وسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها المرسل لاجتذاب اهتمام القارئ، والتأثير فيه، أو عليه، وقد تحول مفهوم التعبير فيما بعد إلى حدث فني، إلى جمالية، فالكاتب لا يفصح عن إحساسه وشعوره إلا إذا أتيحت له أدوات دلالية ملائمة وتعبيرية رائقة، وما على الأسلوبي إلا أن يبحث في هذه الأدوات، وأن يعمل على دراستها، وتصنيفها، بغية وضع النص الأدبي في موضعه المناسب.

المدرسة التعبيرية عند "شارل بالي"

كما ذكرنا أن مؤسس الأسلوبية هو "شارل بالي"، وعُرف منهجه فيها بالأسلوبية التعبيرية، أو الوصفية، وإليه تنسب ريادة الأسلوبية وبالتحديد "علم الأسلوب التعبيري"، وله مؤلفات في هذا المجال بدأت منذ سنة 1902 م حيث أصدر كتابه الأول" بحث في علم الأسلوب الفرنسي" "*Traité de stylistique française* "، ثم توالت دراساته المطولة حول هذا العلم سواء على مستوى التنظير أو التطبيق، ومن أهم هذه المصنفات "الوجيز في الأسلوبية" " *Précie de stylistique*" عام 1905 م، و"الأسلوبية الفرنسية" "*La stylistique française* " عام 1909 م، و"اللغة والحياة" " *La langage et la vie* " عام 1932 م، و"اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية" " *Linguistique generale et linguistique française* " عام 1932 م، وقد أحدثت هذه الدراسات تأثيرا واسعا في كثير من المدارس الأسلوبية التي جاءت بعده، وعلى نحو خاص تلك التي تأثرت بالنزعة الوصفية في منهجه.

"فشارل بالي" يرى أن الأسلوبية هي "علم يدرس العناصر التعبيرية للغة المنظمة من وجهة نظر محتواها التأثيري"[1]؛ فالأسلوبية من هذا المنطلق تبحث عن أسلوبين أحدهما لا يعنيه إلا إيصال الأفكار للمتلقي بدقة، والآخر يشد إلى التأثير على المتلقي، ولم يركز "بالي" كثيراً على النوع الثاني (الخطاب الأدبي)؛ إذ يرى أنه شأن يخص الفرد المنتج، ولذا

[1] صلاح فضل، علم الاسلوب مبادئه وإجرائته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 98.

كانت الأسلوبية التعبيرية "لبالي" تتجاهل تحليل النص الأدبي، لأن أسلوبيته أسلوبية لغوية جاءت لتكمل ما صنعه أستاذه "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، فأسلوبية "بالي" تدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية؛ أي: أنها تدرس تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا، أي: أنها تدرس الكيفية المتبعة في اللغة للتعبير عما في النفس، يقول "شارل بالي": "إن علم الأسلوب هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي" [1]، ولعل "بالي" في ذلك تأثر نوعاً ما بالمدرسة النفسية التي ترى في كل حدث لغوي تعبير عن جانب نفسي لمنتجه.

"فبالي" يبحث عن الآثار الوجدانية في اللغة، مما دفعه إلى وضع بعض التصنيفات للغة "مستويات خطاب حسب طبيعة الحدث اللغوي نفسه" "كلغة الرعاع"، و"لغة الفلاحين"، و"لغة النخبة"، و"لغة الأطباء"، و"اللغة الأدبية"؛ "ومن هنا كان الأسلوب عند "بالي" هو تتبع السمات والخصائص داخل اللغة اليومية، ثم استكشاف الجوانب العاطفية، والتأثيرية، والانفعالية التي تميز أداء عن أداء" [2]، ومن شخص إلى شخص، ومن بيئة إلى أخرى.

إذن الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" تتناول مستويات التعبير اللغوي حسب المنتج من جهة والمقام من جهة أخرى، مع تضمين الأدوات اللغوية المستخدمة في كل طريقة تعبير ، وقد استبعد "بالي" النص الأدبي من أسلوبيته، لأنه يمثل لغة تخص شخصا بعينه، وهو الشاعر الذي تفنن بطريقة انفرادية في تفجير طاقات اللغة في نصه، فأسلوبية "بالي" تبحث في لغة جميع الناس بما تحمله تلك اللغة من أفكار خالصة، وما تحمله من عواطف ومشاعر، فهي تدرس "وقائع التعبير اللغوي من ناحية مضامينها الوجدانية؛ أي: أنها تدرس تعبير الوقائع عن الحساسية المعبر عنها لغويا، كما تدرس فعل الوقائع على الحساسية" [3]، ومن هنا كان العمل الأدبي عنده لا يعدو أن (يكون ركيزة، أو وعاء، أو حجة تتيح تحليل، وقائع اللغة العاطفية)، وليس هدفاً للتحليل الأسلوبي.

لقد اعتمد "شارل بالي" في تشكيل أسلوبيته التعبيرية على أرضية معرفية يمكن استجلاء معالمها العامة بالنقاط الآتية:

1. اعتماده على المنجزات الكبيرة التي حققتها اللسانيات السوسيرية في دراسة اللغة.
2. اعتماده على مبدأ "دي سوسير" في تفريقه بين اللغة والكلام.
3. اعتماده على النظرة اللسانية الحديثة في توجهاتها المنهجية نحو إضفاء صفة العلمية على دراسة الظواهر اللغوية بأشكالها كافة، حيث حاول "بالي" استثمار هذه النظرة وأن يضفي على أسلوبيته صفة العلمية بكل ما تتطلبه من التزامات [4]، وهو بذلك قد فارق النقاد والبلاغيين القدماء في طريقة تعاملهم مع الأنماط التعبيرية اللغوية والأدبية على حد سواء، فهو لم يقصد بأسلوبيته دراسة الأساليب الأدبية لأن هذه الأخيرة تعبر عن قيم جمالية

---

[1] صلاح فضل، علم الاسلوب مبادئه وإجرائته، ص 98.

[2] رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991 م، ص 31.

[3] عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م، ص 147.

[4] غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1958 م، ص 04.

فردية متميزة، وإنما المقصود لدى "بالي" دراسة الآليات، والمظاهر، أو الآثار التعبيرية في كل لغة، دراسة موضوعية علمية شمولية [1].

4. اعتماده على منجزات علم اللغة في مجال دراسة الخطاب التداولي بشقيه المنطوق والمكتوب، إلا أنه ركز على اللغة المنطوقة أكثر من غيرها، لاعتبارات تعبيرية تتصل بالجانب الاجتماعي الوجداني للذات المتكلمة.

إذن مفهوم الأسلوبية التعبيرية عند "بالي" تتمثل في تفريقه بين نوعين من الخطاب (الحدث اللغوي)، الأول ذاك الحدث النفعي الذي لا هدف من إنتاجه سوى الإبلاغ (أي توصيل معلومات محددة للمتلقي، وهذا الخطاب يلتزم بالقواعد والقوانين اللغوية كلها أشد الالتزام، وهو محور أسلوبيته التعبيرية، والآخر هو نفس الخطاب النفعي (الحدث اللغوي) مع تضمينه قوة التأثير على المتلقي، ولم يكن هذا النوع من الحدث اللغوي الذي تهتم به الأسلوبية التعبيرية؛ إذ يرى "بالي" أن هذا أمر يخص المنتج لما عنده من طاقات تعبيرية استطاع بها تطويع الأداة اللغوية للتعبير عن إحساسه.

ومن أهم النقاط البارزة في الممارسة النقدية لهذه المدرسة ما يلي:

1. الأسلوبية عندهم سمات وخصائص داخل لغة تعبر عن جوانب عاطفية وانفعالية.
2. تتم عملية رصد هذه السمات وفق مستويات لغوية منتظمة "صوت، معجم، دلالة" بالإضافة إلى ظواهر الصورة، والمجاز.
3. تقصي الكثافة الشعورية العاطفية التي يشحن بها الكاتب نصه في استعمالاته النوعية.
4. عملية الكشف والتوصيف لكل خصوصية لغوية لتحقيق جانب المتعة الجمالية، والدقة الموضوعية.

ومن بعد "بالي" تطور مفهوم الأسلوبية التعبيرية، وأصبح يعنى بالنوع الثاني من الخطاب وهو الخطاب التأثيري (الأدبي)، الأمر الذي أدى إلى نقل الأسلوبية من ميدان اللغويات إلى ميدان النقد الأدبي، وقد قام تلاميذ "بالي" في مرحلة لاحقة بتطوير هذا الاتجاه عن طريق التوسع في دراسة التعبير الأدبي، فبحثوا في الأدوات الكفيلة التي يحتاجها الأديب للإفصاح والتعبير عن إحساسه الخاص، وما على الأسلوبي إلا البحث عن هذه الأدوات، وهنا تأتي مهمة الأسلوبي التي تتمثل في بحثه واستقصائه لتلك الأدوات التي استخدمها الكاتب للتعبير عن أحاسيسه وانفعالاته، تلك الأدوات التي نقلت الخطاب النفعي وحولته إلى خطاب تأثيري.

تطبيقات الأسلوبية التعبيرية

اتخذ "شارل بالي" من اللغة الفرنسية ميدانا لتطبيق أسلوبيته التعبيرية، وقد تضمنت هذه التطبيقات بعض الإجراءات المهمة قبل مباشرة عملية التحليل الأسلوبي، وقد أوضح "جورج مولينيه" "*George Molinié*" هذه الإجراءات حيال قطعة من الخطاب موضوع الدرس وبالشكل الآتي:

1. تحديد الواقعة الأسلوبية من مجموع الخطاب المتعين دراسته.
2. العزل المادي للقسم أو المقطع الكلامي الذي يحدث ضمنه شيء ما.
3. تحديد الواقعة اللغوية "وسيلة التعبير".

[1] شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، الكويت، 1986 م، ص 09.

4. تفكيك هذه الوسيلة اللغوية، وحصر الجانب الوجداني فيها.
5. بيان دور الذي تلعبه التعبيرات الوجدانية داخل المقطع المحدد.
6. ترجمة هذه التعابير الوجدانية أو مقارنتها بمستويات تعبيرية أخرى خارج العمل المدروس، والاحتكام إلى المقارنة والترجمة يمثل عند "بالي" أهم الإجراء يبرز الملامح الأسلوبية في لغة من اللغات، فالخاصية اللغوية قد لا تعني المتحدث الذي يستخدمها كل يوم بطرقة عفوية، ولكنها تدهش الملاحظ الذي يقارنها بغيرها من اللغات خاصة إذا كان هذا الملاحظ أجنبيا، وعلى هذا فعملية المقارنة والترجمة تتيح فرصة قياس الفارق الأسلوبي بين لغتين، أو مستويين تعبيرين من لغة واحدة.
7. تحديد الأثر الحاصل الذي يتركه تعبير ما، سواء أكان طبيعيا مباشرا، أو إيحائيا غير مباشر، مع إمكانية الجمع بينها وبين تغير نغمي معبر يهدف إلى تلوين تعبير المرسل بالنسبة إلى من يتلقى الخطاب [1].

المستويات اللسانية عند "شارل بالي"

لقد كانت أسلوبية "شارل بالي" التعبيرية تتيح فرصة استثمار كافة المستويات اللغوية الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والأسلوبية الدلالية في الواقعة اللغوية المحددة، بغية الوصل إلى ملمح أسلوبي معين لتلك الواقعة، وسنكتفي بالإشارة في هذا الدرس لهذه المستويات وطريقة معالجتها، مسترشدين بما ذكره "بيار جيرو" [2] *Pierre Garou* مع الإشارة إلى ما يوازيها في الدرس العربي بحسب ما يذكره الكتاب العرب.

المستوى الصوتي

تتشكل المادة الصوتية لدى "بالي" من تضافر الطبيعة الفيزيائية للأصوات والطبيعة الوظائفية لها، وتتعلق الأولى بالصوت اللغوي من حيث مخرجه وصفاته، وتأثيره في غيره من الأصوات أو تأثره بها، أما الثانية فترتبط بالأحداث الصوتية من حيث وظائفها ومعانيها، ومادامت اللغة المنطوقة عماد الأسلوبية التعبيرية فإن الجانب السمعي للأصوات يعد أهم خاصية لغوية يمكن من خلالها ملاحظة التغيرات التعبيرية من فئة اجتماعية إلى أخرى، ولهذا كان التركيز في الأسلوبية التعبيرية على "كل ما يحدث إحساسات عقلية سمعية، وهي الأصوات وما يتألف منها، وتعاقب الرنات المختلفة للحركات، والإيقاع، والشدة، والرخاوة، وطول الأصوات، والتكرار، وتجانس الأصوات المتحركة والساكنة، والسكنات" [3]، ويصنف "بيار جيرو" الصوتيات التعبيرية إلى ثلاث صوتيات هي [4]:

---

[1] ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 م، ص 57.

[2] بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 59 / 61.

[3] مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م، ص 32.

[4] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 59 /61.

1 – **الصوتيات المفهومة:** وهي تدرس الصوائت باعتبارها عناصر لغوية موضوعية وقاعدية، أي: الاستعمال النموذجي للأصوات، وبوسع المتحدث أياً كانت صفته الاجتماعية استعمالها، لما فيها من قيمة إيصالية مستقلة عن أي تلون نطقي غير نموذجي.

2 – **الصوتيات الندائية:** وهي تدرس المتغيرات الصوتية التي تهدف إلى إحداث أثر في السامع، أي: الاستعمال المقصود للأصوات، لغرض استقطاب نوع من الإثارة لدى المتلقي.

3 – **الصوتيات التعبيرية:** وهي تدرس المتغيرات الناتجة عن المزاج وعن السلوك العفوي للمتكلم، أي: الاستعمال العفوي، أو غير الشعوري للأصوات، الذي يكشف عن الأصول الاجتماعية للمتحدث، أو عن ميوله النفسية، ويشكل العنصران الأخيران موضوع الأسلوبية الصوتية، والتي تهدف إلى حصر الأسلوبية التعبيرية في عناصر صوتية "كالنبر، والتنغيم، والمد، والتكرار ...الخ ، وبمقدار ما يكون للغة حرية التصرف ببعض هذه العناصر الصوتية تستطيع هذه اللغة تسخير تلك العناصر لغايات أسلوبية، وهكذا فإن في حوزة اللغة نسقاً كاملا مَّن المتغيرات الأسلوبية الصوتية التي يمكن التمييز بينهما.

أما اللغة العربية فإنها غنية بهذه الأنساق، ولعلماء اللغة والقراءات القرآنية دراسات واسعة في هذا المجال، كشفت عنها دراسات المحدثين العرب، ومن أمثلة ذلك مستويات التنغيم الصوتي، والإيقاع، ونبرة الملفوظ، والقيم الانفعالية للأصوات، والسياق أو الموقف ...الخ [1].

وفي العصر الحديث درست الأبحاث التطبيقية التشكيل الصوتي لبعض اللهجات المحكية المحلية، ولنا أن نقارن بين ظاهرة النبر في الفرنسية ومثيلتها العربية، إذا يذكر "بيار جيرو" أن نبر التكثيف (التضعيف) في الفرنسية ليس له قيمة وظيفية، أي لا يغير معنى الكلمة إذا ما انتقل من مقطع إلى آخر داخل هذه الكلمة، ويعبر "جول ماروزو" ***Jules Marouzeau*** عن هذا النوع من النبر بالنبر الإيحائي [2]، أما اللغة العربية فقد عرفت "النبر وعبرت عنه بمسميات مختلفة، الهمز، العلو، الرفع، مطل الحركات، الارتكاز، الإشباع، المد، التوتر، التضعيف، وكلها تفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعاً للسياق، وبروز القيم الاستبدالية في النص اللغوي" [3]، إذن النبر العربي يباين النبر الفرنسي من حيث أن الأول محكوم بقوانين صوتية مختلفة تبعا لتعدد وظائفه وأنواعه [4]، وهذا ما لا يتوفر للثاني، ومعنى هذا أن اللغة العربية بتراثها المكتوب وحاضرها المنطوق تزخر بالأنساق الصوتية التي تعود تارة إلى تباين الجغرافيا اللغوية، وإلى مظاهر التطور تارة أخرى، وتعدد الطبقات اللغوية تارة ثالثة، وإلى غير ذلك وهو كثير.

---

[1] ينظر: عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي المعاصر، الإبلاغية فرع من الالسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، العدد: 08، 1979 م، ص 20.

[2] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 60.

[3] عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، عمان الأردن، ط 01، 1998 م، ص 113.

[4] نفسه، ص 117.

المستوى الصرفي

يؤكد "بيار جيرو" أن المحصول الأسلوبي للبنى الصرفية ضعيف عموماً في "اللغة الفرنسية"، أما عنصر التكوين أو الاشتقاق الصرفي فهو أضعف بكثير من ذلك، ولم يتبقى لها إلا الاشتقاق الدلالي، أي: التطور أو الانتقال الدلالي للصيغة نفسها، مما ترتب على ذلك إن حدث انفصال تام بين دلالة الصيغة ودلالة جذرها الأصلي؛ إذ لم تعد الصيغ الصرفية تمت بصلة لجذورها اللغوية، كما أن بعض صيغ التصغير فيها لم تعد كذلك لأنها أزالت صرفها الإعرابي وبسطت تماماً تصريف الأفعال، حتى أنها تتردد في تشكيل الكلمات الجديدة، مفضلة أن تهب ما تملكه من صيغ قديمة معاني جديدة، وظل نظام التصغير، والتفخيم الصرفي فيها يبنى على اعتبارات وجدانية، كما أن هذه اللغة سجلت نفوراً ملحوظاً من اللواحق، وعدته من قبيل الإعاقة النطقية، مفضلة التجريد الصيغي، والتنكير، والصيغ الدالة على عموم الجنس، والعدد، والجمع ...الخ، وكل ذلك يعد في نظر الأسلوبية التعبيرية من مصادر الأثر المستحب في الأسلوب، القائم على فهم وجداني لمختلف الألفاظ [1].

وبعكس هذا الضعف الصرفي الاشتقاقي في اللغة الفرنسية وعدم القدرة على توليد صيغ جديدة لمعان مستحدثة، فإن المحصول الأسلوبي لصياغة الأبنية الصرفية في اللغة العربية، له آفاق رحبة دلالياً، وصوتياً، وتركيبيا، وتشكل تلك الصيغ جزءا أساسيا في بنية الخطاب الشعري العربي، وتحتل مكاناً مرموقاً في مكونات التحليل الأسلوبي وعناصره.

حتى ذهب الباحثون في علم اللغة والصرف إلى أن "اللغة العربية محظوظة جداً بوجود هذه الأبنية الصرفية، لأنها تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، في حين تشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أن تحدد الكلمات" [2]، ومعنى ذلك أن لكل صيغة صرفية استقلاليتها ومعناها الوظيفي فضلا عن معناها المعجمي، كما أن بعض الصيغ العربية تعيش حالة من الازدواجية السياقية؛ إذ قد يتعدد المعنى الوظيفي للصيغة الواحدة دون أن تفقد معناها الأصلي وذلك تبعاً للسياق الموضوعة من أجله.

وبالعكس قد تتعدد الصيغ للدلالة على المعنى الواحد ولكن يبقى لكل صيغة دلالتها الخاصة، وإن اشتركت مع غيرها من الصيغ في الدلالة العامة [3]، وتشكل السوابق واللواحق في اللغة العربية قيماً أسلوبية مهمة على صعيد دلالة الصيغة المفردة، فالجذر (كتب) يمكننا أن نصوغ منه أبنية صرفية مختلفة بواسطة إضافته إلى أعداد مختلفة من هذه السوابق أو اللواحق لنحصل على معاني مختلفة : الكاتب، الكتاب ، مكتوب، كتبنا، كتبوا...الخ [4]، دون أن يكون هناك عارض عضلي، أو ما يسمى بالفرنسية العائق النطقي، والجانب الصرفي في العربية يعنى بدراسة أحوال الكلمة من حيث إفرادها،

---

[1] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 60 ، 61.

[2] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979 م، ص 176.

[3] ينظر: عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001 م، ص 57 / 62.

[4] ينظر: آمنة بن مالك، مجلة الآداب، طرق التعبير عن المعاني النحوية والصرفية، جامعة قسنطينة، العدد: 30، 1996 م، ص 29.

وتثنيتها، وجمعها، وتعريفها، وتنكيرها، وتذكيرها، وتأنيثها، وأحوال الفعل في دلالته الزمنية، والجنس، والعدد، والهيئة، والشخص ... إلخ، وقد أفاض الباحثون العرب قديماً وحديثاً في شرح هذه الأبواب الصرفية .

المستوى التركيبي

تشكل دراسة التراكيب فصلاً هاماً من فصول الأسلوبية التعبيرية [1]، ونتيجة لهذا الاهتمام المتزايد قد وسمت عند بعض الدارسين بسميات مثل: "الأسلوبية التركيبية"، و"علم تراكيب الجمل"، و"أسلوبية التراكيب الكبرى" ... إلخ "[2]"، وتشمل هذه الدراسة جميع الأبواب "كالفاعلية"، و"المفعولية"، و"الحالية"، وجميع متعلقات الجملة "الأزمنة، أدوات التجريد، والزيادة ...الخ " [3]، وينظر الاتجاه التعبيري لهذه التراكيب النحوية من زاويتين [4]: **الأولى**: تهتم بالواقع النظمي الداخلي، أي: جميع العلاقات التي تربط المفردات داخل الجملة، أما **الثانية**: فميدانها ما فوق النظام الداخلي الجملي "علاقة الجمل ببعضها ثم علاقة الجميع بالواقع اللغوي بأكمله"، وقد أورد "جورج مولينيه" " *Georges molinié*" في "أسلوبيته" [5] الواقع النظمي، والواقع ما فوق النظمي للجمل:

أولا: الواقع النظمي: هناك نوعان من التركيب التعبيري النظمي؛ **النوع الأول**: يتشكل من المجموعة (فاعل- فعل) غير الموسومة أسلوبياً، ويتم الوسم بالاستعانة بمفهومي(القلب والفصل)، والفصل يعني إما إدخال عنصر دخيل بين الفاعل والفعل، أو بتكرار الفاعل مرتين، أما الوسم بالقلب فهو يتصل بجماليات التعبير ولكنه يخضع لقيود مفرادتية – نحوية دقيقة مثل: نوعية الأدوات المتصدرة للجمل، ونوعية الكلمات التي تحملها الجمل ... الخ، وفي كل حالة يجب ملاحظة حدوث الحالات الوسمية المضادة التي تنقل التعبير من حالة إلى حالة أخرى مغايرة سواء على مستوى الأزمنة النحوية (ماضي، مضارع، أمر، مستقبل)، أو نوعية المقاطع من حيث الطول والقصر مثلا [6]، وهذا ما يسمى بلعبة الصيغ النحوية.

أما النوع الثاني: فهو يتشكل من المجموعة (اسم – صفة)، وينظر التحليل الأسلوبي إلى تقديم الصفة أو تأخيرها بالنسبة إلى الاسم، فيما عدا بعض الحالات التي تتوجب فيها القاعدة تقديم الصفة، وتتم عملية التوزيع بالنسبة للتقديم والتأخير وفقاً للقواعد الآتية:

1 - الميل إلى التسلسل التدريجي في تأخير الصفة.

---

[1] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 62.

[2] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م، ص 35.

[3] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 62.

[4] ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 203.

[5] نفسه، ص 203 وما بعدها.

[6] مجوعة باحثين، اتجاهات البحث الاسلوبي، ص 149.

2 – الميل إلى وحدة النبر في التركيب النحوي الذي يدعو إلى تقديم الصفة، وذلك فيما إذا كان النبر النهائي على المقطع الأخير من الاسم، وبذلك يصبح هذا النبر هو عماد التنظيم الجملي، وكحد مميز للمجموعة التعبيرية، وهذه القاعدة تقف بالضد مع القاعدة التي سبقتها.

3 – الميل إلى التقسيم النغمي للجمل بحيث تتابع الجمل نغمياً من الأضعف إلى الأقوى مهما كانت طبيعة المفردة المشكلة للجملة الواحدة (كالصفات المعطوفة على بعضها ولكنها تحمل بين طياتها نوعية واحدة)، والوسم الأسلوبي يعمل عكس هذا الميل النغمي، أي: يتوقع وسماً أسلوبيا مضاداً لهذا الترتيب النغمي للجمل المتتابعة.

وخلاصة الرؤية الأسلوبية من هذه الزاوية، أن المحصول الأسلوبي لا يمكن له أن يبرز إلا مّن خلال مفهوم التضاد الجملي (للماضي المستمر، ولصيغة الاحتمال، والحاضر التاريخي، وصيغة المصدر ...الخ) بالنسبة لقواعدية اللغة الفرنسية، فضلاً عن التضاد النغمي النحوي [1].

ثانيا: الواقع ما فوق النظمي: وهو يتعلق بشكل الجمل ونوعيتها، ثم علاقتها بالتعبير، أو بالخطاب بأكمله، مثل: الجمل الفعلية أو غير الفعلية، والإخبارية أو غير الإخبارية، والتأكيد، أو السلبية، والبسيطة، أو المعقدة، والمعطوفة، أو المتعلقة ... الخ.

وهذه الزاوية تعتمد كلياً على الحركة الثلاثية لنظام سير الجمل، وتتصل الأولى بالواقع النغمي للجملة من حيث الطول والقصر، وهو يختلف عن التقسيم السابق الذي يخضع لمنطق القوة والضعف، فإذا كان التغير النغمي الأول في الجملة أقصر من التغير النغمي الثاني، أو كان مساوياً له أو أطول منه، فإننا نحصل على نغمة جملية صاعدة غير أسلوبية إجمالاً، أو نغمة محايدة مقصودة، أو هابطة ذات وسم مسبق.

وتبقى اللعبة الأسلوبية تابعة لعنصر المفاجئة الذي يكسر هذا الترتيب النغمي وهو الوسم المضاد [2]، وتتصل الثانية بالكتل النحوية التي تتمفصل حول تقابل ثنائي مزدوج (الجملة الخطية، والجملة المتوازية)، و(الجملة الموصولة، والجملة المقطعية)، **والأولى** تتمركز حول قضية التضعيف؛ إذ الجمل الخطية لا تقدم أي تضعيف، أو توليد للمراكز الوظيفية، أما المتوازية فيمكن لها أن تقدم عدداً من التضعيفات من مراتب نحوية مختلفة [3]، **والثانية** فإن الجمل الموصولة فيها سواء أكانت خطية أو متوازية، تقدم تتابعاً متجاوراً من العلاقات البسيطة التي تنتظم تدريجياً على طول المجموعات النحوية.

في حين أن الجمل المقطعية تلجأ إلى عنصري التجزئة والنقل، حيث يتم تجزئة العناصر الجملية، أو تكريرها ثم النقل من واقع ترتيبي غير أسلوبي إلى آخر يتصف بالسمة الأسلوبية، وتتصل الحركة الثالثة بالإيقاع التركيبي النحوي، ويعتمد هذا الإيقاع على جملة متكررة من النبر في أماكن متجانسة ومتقاربة من الواقع التعبيري، ومتوازنة مع التقاليد العروضية، والتماثل الصوتي لنظام التعبير المدروس، ومهما يكن من أمر فان دراسة محور الجمل النحوية وفقاً لهذه المعايير

[1] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 62، 63.

[2] مجوعة باحثين، اتجاهات البحث الاسلوبي، ص 148.

[3] غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ص 48.

الآنفة الذكر يشكل صعوبة كبيرة بالنسبة للمحلل الأسلوبي، ولكنها في الوقت ذاته تعد أكثر اعتماداً في بيان الملمح الأسلوبي لمختلف التعابير، كما أنها من أهم مميزات التعبير وأشدها حساسية وقوة، خاصة إذا ما تم الخروج عن الموقعية النحوية أو الاحتمالية الزمنية (التضاد المفاجئ)، فإنه يكسب التعبير أنساقاً بنائية تثري القول بالمثيرات الأسلوبية [1].

ويشكل النظام النحوي ومتعلقاته في اللغة العربية موضوع الأسلوبية النحوية، ذلك النظام الذي يتميز بإمكاناته الواسعة لمختلف المعاني التعبيرية، ابتداء من معاني الأبواب المفردة وانتهاء بأصغر قرينة نحوية فيه، وقد ذكر أغلب الدارسين المحدثين تلك المعاني التي يقدمها النحو العربي بناء على ما جاء في مصنفات النحاة الأوائل، والتي تمثلت بالأشكال الآتية [2]:

1. مجموعة المعاني النحوية العامة وهي : الخبر، والإنشاء، والإثبات، والنفي، والتأكيد، والأمر، والنهي، والاستفهام، والتقسيم، والشرط، والتعجب ... الخ.
2. مجموعة المعاني النحوية الخاصة، كالفعالية، والمفعولية، والحالية ... الخ
3. مجموعة العلاقات النحوية المعنوية، والتي تربط المعاني الخاصة مع بعضها لبيان المراد منها أثناء تركيبها كعلاقة الإسناد، والتخصيص والنسبة، والتبعية.
4. كما يقدم النحو للأسلوبية مجموعة من القيم الخلافية النحوية، أو المقابلات بين أفراد كل عنصر من العناصر السابقة، وهذه القيم تشكل للأسلوبية رافدا مهما من روافد التحليل الأسلوبي، كالمقابلة بين الخبر، والإنشاء، والشرط الإمكاني قبال الشرط الامتناعي، والمدح في مقابل الذم، والمتقدم رتبة في مقابل المتأخر، والاسم المرفوع في مقابل المنصوب، والمتعدي في مقابل اللازم وهلم جرا.

وإذا كانت التحليلات النحوية الأسلوبية قد أفادت في عملها من النظرة اللسانية الحديثة متمثلة بآراء عالم اللغة "دي سوسير" *Ferdinand de Saussure* وتلامذته وبالأخص "نعوم تشومسكي" *Noam Chomsky* صاحب النظرية التوليدية والتحويلية، فإن عالم اللغة العربي "عبد القاهر الجرجاني" ومن تبعه، قد سبقوا تلك النظرة الحديثة بعقود عديدة خلت، وتمثل ذلك بنظرية النظم التي أتى بها "الجرجاني"، والقائمة على أساس توليدي وتحويلي في توخي معاني النحو العربي، وقد تحدث الكثير من الدارسين العرب عن أوجه الشبه بين سوسير و"تشومسكي" وبين "الجرجاني" في مسائل نحوية كثيرة [3]، وتكفي الإشارة إلى مظاهر القرائن النحوية عند "الجرجاني" وغيره التي يحتفل بها اليوم علم اللغة الحديث، وخاصة ظاهرة التعليق النحوي [4].

---

[1] مجوعة باحثين، اتجاهات البحث الاسلوبي، ص 148.

[2] ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1978 م، ص 36.

[3] ينظر: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 01، 1995م، ص 74، 75.

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 188.

المستوى الدلالي المعجمي

تعتبر المفردات اللغوية في جانبها الذاتي (تاريخية المفردة)، وجانبها الإيحائي (القيمة الدلالية)، هي المصدر الأساس في الدراسية الأسلوبية [1]، حتى ليمكن القول، أن هذه الأداة اللسانية تشكل القاعدة الرئيسة بالنسبة لأسلوبية "بالي" التعبيرية [2]، ويتفاوت المنظور الأسلوبي لوجهي المفردة، فقد يكون البحث في تاريخ تشكل الكلمات أمراً مجدياً، وضرورياً في بعض أنواع النصوص كالبحث في شكل الكلمات (البسيطة، المشتقة، نوع الاشتقاق، الفئة المفرداتية...)، أو في قدم التعبير، أو استحداث المعنى وكذلك مدى تطابق المفردات، أو عدم تطابقها لهذا الوسط التعبيري أو ذاك [3]، ولكن الوجه الدلالي هو الأوفر حظاً في عالم الأسلوبيات عموماً؛ إذ يتم فيه بناء شبكة منظمة وتراتبية من مجموع معاني كلمات النص، وبالتالي تحديد جميع المتغيرات الأسلوبية في سياق النص الإخباري [4].

وقد تناول "بالي" في أسلوبيته كلا الوجهين بالبحث والتقصي، فقد نظر إلى تغير المعنى الذي يصيب صور الكلمات، أو إشكالها عبر العصور، وتتدخل في هذا المضمار عوامل عديدة منها النفسية، والاجتماعية، والمنطقية، والاستعارية ... الخ.

وتتعلق بأسلوبية تغير المعنى أيضاً قضية المحظورات والتوريات: مثل توريات الخرافة، والظرافة، واللياقة الشائعة في عصر من العصور، وفي مجتمع من المجتمعات، كلغة المتحذلقين مثلاً [5]، أما على المستوى الدلالي فقد نظر إليه من جهة الآثار الطبيعة للكلمات، والآثار، والاستدعائية، والأولى ترتبط بنوعية الأصوات، وببنية الكلمات، فهناك حزمة صوتية معللة، أي: تكون العلاقة بينها وبين ما تشير إليه من معنى علاقة طبيعية، وبعضها لا يعطي تلك العلاقة وإنما هي اعتباطية، وبعبارة أخرى أن دراسة الآثار الطبيعية للكلمات تقع تحت ما يسمى بدراسة الدال والمدلول، كما يساهم شكل الكلمة قصيراً كان أم طويلاً في إعطائها قيمة أسلوبية، وذلك حسب تناغمها مع معانيها.

وكذلك يصدق هذا القول على بنية الكلمة الصرفية من حيث مناسبة المعنى أو عدمه [6]، وكذلك تشكل الآثار الاستدعائية للمفردات ميداناً رفيعاً للدلالة الأسلوبية، وترتبط هذه الآثار بالنبرة الصوتية الفارقة، والطبقات الاجتماعية، والفئات المهنية ... الخ، فقد تتطور القيم الاستدعائية للمفردات بحيث تفقد قيمتها الاستدعائية الماضية في بعض الأحيان، ولكن في الأغلب الأعم تبقى الحالات الماضية للغة ماثلة في الأذهان تعبر عن قيم استدعائية معينة، تساعد في عملية التحليل الأسلوبي [7].

---

[1] جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 191.

[2] بيار جيرو، الأسلوبية، ص 64.

[3] جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 111.

[4] جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 112.

[5] ينظر: بيار جيرو، الأسلوبية، ص 65.

[6] ينظر: بيار جيرو، الأسلوبية، ص 64.

[7] نفسه، ص 65.

وتتميز اللغة العربية بالثراء المفرداتي بما "منحها التاريخ العربي المجيد من مفردات، وهي قابلة لزيادة هذه الثروة بما وهبتها طبيعتها العبقرية في الصياغة من إمكان الاشتقاق، والارتجال، والتعريب، وتغليب الصيغ" [1]، وقد خضعت المفردة العربية لنوعين من الدراسة، **تمثلت الأولى** بالدراسة المعجمية ويقع ضمن هذا النوع عمليات الاشتقاق، والنحت، والتعريب، والدخيل، والافتراض، والاقتباس ...الخ، وهو كل ما يخص وضعية بنية الكلمة، ودور المبنى في تغيير المعنى، على أن معنى المفردة اللغوية معجمياً متعدد الوجوه والاحتمالات، إلا إذ دخلت في سياق تعبيري معين، فيمكن عندئذ تحديد معناها الدقيق [2].

والمعجمات العربية متعددة المناهج في عرضها للمفردات اللغوية وفي عمقها من حيث الاستقصاء والتقصي لكل أشكال المفردة الواحدة وتوسعاتها من حيث المعنى ويمكن للدارس أن يلاحظ نوعين من المعجمات في اللغة العربية، **ويعنى الأول** بالمفردات التي تندرج في موضوع واحد وتسمى بالمعجمات المفهومية، أو معجمات المعاني مثل معجم (الخيل، والمطر، واللبن ... وغيرها).

وميزة هذه المعجمات أن المفردات فيها لا تقوم على أساس الروابط الاشتقاقية إنما على أساس الحقول الموضوعاتية، مع قابلية هذه المفردات إلى التغير والتطور، **أما الثاني** فيعنى بالمفردات اللغوية التي ترتبط فيما بينها بالرابط الاشتقاقي، ولذلك سميت بالمعاجم الاشتقاقية، وهذا النوع أقدر على استيعاب جميع المفردات ضمن روابط علائقية هي أشبه بالنظام الرياضي المتكامل [3]، أما **الدراسة الثانية** فقد تمثلت بالدراسة الدلالية لمعاني المفردات اللغوية ويقع ضمن هذا النوع قضية اللفظ، والمعنى أو (الدال، المدلول)، والتطور الدلالي المفرداتي [4].

وقد حظيت قضية الدال والمدلول باهتمام اللغويين والمناطقة العرب ممثلة "بالشريف الجرجاني" الذي يقول: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر" [5]، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"، و"الغزالي" و"القرطاجني" اللذين اصطلحا على صياغة المربع الدلالي للألفاظ ومدلولاتها في سلم الوجود والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"، و"الغزالي" و"القرطاجني" اللذين اصطلحا على صياغة المربع الدلالي للألفاظ ومدلولاتها في سلم الوجود، وهي: "الوجود العياني"، و"الوجود الذهني"، و"الوجود اللفظي"، و"الوجود الكتابي"، وهذا يعني أن "الكتابة دالة على اللفظ، واللفظ دال على المعنى الذي في النفس، والذي في النفس هو مثال الموجود في الأعيان، وقد تبعهم بالبحث والدراسة لهذه القضية الكثير من علماء العربية الإجلاء، مفرعين، وشارحين، ومستنبطين، حتى أصبحت قضية "الدال والمدلول" من بديهيات الدارسة اللغوية التي تجاوزت مستوى المفردة لتطال معاني الصيغ الصرفية، "كاسم الفاعل"، و"اسم المفعول"، و"الصفة المشبهة"، و"معاني الزيادة"، حتى وصلت في نهاية المطاف إلى المؤسسة اللغوية الأكبر وهي (النظم أو

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 329.

[2] نفسه، ص 323.

[3] ينظر: محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي، المستويات الدراسة الألسنية، دمشق، سوريا، العدد 249، 1992 م، ص 18.

[4] نفسه، ص 18.

[5] الشريف الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 2003 م، ص 78.

السياق) عند "عبد القاهر الجرجاني"، في دورة متكاملة من الائتلافات اللغوية بدء بالعلاقات الصوتية، ثم الصرفية، فالنحوية، حتى المحيط اللغوي بأجمعه، وهم بذلك قد سبقوا العالم الغربي في طرح هذه القضية بمئات السنين.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. آمنة بن مالك، مجلة الآداب، طرق التعبير عن المعاني النحوية والصرفية، جامعة قسنطينة، العدد: 30، 1996 م.
2. بيار جيرو، الأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
3. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1978 م.
4. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979 م.
5. جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 م.
6. رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، الإسكندرية، مصر، 1991 م.
7. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 2003 م.
8. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، دار الفكر العربي، الكويت، 1986 م.
9. صلاح فضل، علم الاسلوب مبادئه وإجرائته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
10. عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001 م.
11. عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.
12. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، عمان الأردن، ط 01، 1998 م.
13. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م.
14. عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي المعاصر، الإبلاغية فرع من الالسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، العدد: 08، 1979 م.
15. غراهام هاف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار أفاق عربية، بغداد، العراق، 1958 م.
16. مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
17. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 01، 1995م.
18. محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي، المستويات الدراسة الألسنية، دمشق، سوريا، العدد 249، 1992 م.

المحاضرة الثامنة

المدارس المؤسسة لعلم الأسلوب .2

توطئة:

إن البحث في قضية اللغة مهما كان منهجه ومرماه، يحيلنا مباشرة على مشكل علاقة الانسان بالظاهرة اللغوية في أصل اتصاله بها ومن ثم في مدى انحصاره فيها، ولعل التراث اللغوي الإنساني والعربي منه، في منطوقه ومضمونه، قد زخر بتساؤلات مبدئية تمحورت حول ديمومة لقاء الانسان باللغة منذ المبتدأ، والتفكير في هذا المشغل المجرد قد كان في تنوعه وطرافته على قدر ما كان يلابسه من مضايقات التناقض الحتمي في محاولة المفكرين النظر في علاقة الانسان باللغة من حيث كانوا يفكرون في اللغة وباللغة في ذات الوقت، فالقضية إذن تنحصر في موقف منهجي حاول فيه الناظرون تأمل هذا الاشكال ببعد فكري افترضوه، والتزموه حيال اللغة التي استحالت مادة للفكر وموضوعا له.

المدرسة البنيوية:

مصطلح البنيوية:

يعترف "جان بياجيه" "*Jean Piaget* "، في مطلع كتابه "البنيوية" "*le structuralisme* " بأنه من الصعب، تمييز "البنيوية"، لأنها تتخذ أشكالا متعددة لتقدم قاسما مشتركا موحدا، فضلا على أنها "تتجدد باستمرار" [1]، وأن البنيويين في نظر الآخرين هم جماعة يؤلف بينها البحث عن علاقات كلية كامنة، تستمد روافدها من ألسنية "دي سوسير" "*Ferdinand de Saussure*"، وأنثروبولوجية "كلود ليفي ستروس" "*Claude Lévi-Strauss*"، ونفسانية "جان بياجيه" "*Jean Piaget*"، و"جاك لاكان" "*Jacques Lacan*"، وحفريات "ميشال فوكو" "*Michel Foucault*" التاريخية والمعرفية، وأدبيات "رولان بارت" "*Barthes Roland*"،...وغيرها، فالبنيوية منهج فكري وأداة للتحليل، تقوم على فكرة الكلية أو المجموع المنتظم، اهتمت بجميع نواحي المعرفة الإنسانية، وإن كانت قد اشتهرت في مجال علم اللغة والنقد الأدبي، ويمكن تصنيفها ضمن مناهج النقد المادي الملحدة.

اشتق لفظ "البنيوية" من "البنية" فكل ظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية، تشكل بنية، ولدراسة هذه البنية يجب علينا أن نحللها -أو نفككها- إلى عناصرها المؤلفة منها، بدون أن ننظر إلى أية عوامل خارجية عنها.

وورد في قاموس "غريماس وكورتاس" السيميائي أن "البنيوية في معناها الأمريكي في تشير إلى إنجازات مدرسة بلومفيلد "*Leonard Bloomfield* " مثلما تشير المعنى الأوربي إلى نتائج الجهود النظرية لأعمال مدرستي "براغ" [2] " *Ecole linguistique de Prague*"، و"كوبنهاغن" " *École linguistique de Copenhague* " المتكئة على "المبادئ السوسيرية" [3].

---

[1] أديث كرزويل، عصر البنيوية "من ليفي شتراوس إلى فوكو"، ترجمة جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م، ص 246.

[2] ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996 م، ص 53.

[3] التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث "مناهجها في البحث"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م، ص 04.

وإذا كان "مصطلح البنيوية" *Structuralisme* في ذاته ، أولا وأساسا، هو العنوان الجامع الذي أبدعه العالم اللغوي الكبير "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*" عام 1929 م لوصف الأعمال النظرية "لحلقة براغ اللغوية"، فمعنى ذلك أن البنيوية لم تكن إلا تتويجا لجهود ألسنية سابقة، تأتي على رأسها جهود المدرسة السوسيرية (التي قد تسمى أحيانا "حلقة جنيف")، بزعامة العالم اللغوي السويسري "دي سوسير" مؤسس اللسانيات الحديثة عبر محاضراته الشهيرة التي كانت عصارة ثلاثة فصول دراسية بجامعة جنيف خلال الفترة الممتدة بين 1906 م و 1911 م، ثم نشرت عام 1916 م؛ بعد وفاته بثلاث سنوات، برعاية تلميذيه : "ألبير سيشهاي" "*A. Sechehaye*"، و"شارل بالي" " *Ch. Ballly*" تحت عنوان "دروس في اللسانيات العامة" "*Cours de Linguistique Générale*".

لقد هجر "دي سوسير" الدراسات اللغوية التاريخية، في شكلها المعروف بـــ "النحو المقارن" الذي انشغل بدراسته وتدريسه ردحا من الزمن، وراح يضطلع بالدراسات الوصفية المنكفئة على النسق اللغوي الآني، التي كان من آلائها أن اغتنى الدرس اللغوي الحديث بثنائيات جديدة من طراز "اللغة والكلام"، و"الدال والمدلول"، و"الآنية والزمانية"، و"الوصفية والتاريخية" وغيرها من الرؤى الألسنية التي شكلت المهد الفكري للمنهج البنيوي الذي ترعرع بعد ذلك في أحضان الفكر الشكلاني؛ حيث تقر أكثر الدراسات تخصصا في هذا الشأن أن البنيوية هي "النتيجة النهائية للتنظير الشكلاني" [1]، وتستقيم هذه الفكرة أكثر إذا أكدنا أن الشكلانية الروسية قد تأثرت بالنظرية السوسيرية عن طريق "جاكبسون"، بوساطة أعمال "سيرجي كارشفسكي"" *Sergei Karchevsky*" الذي كان تلميذا لدي "سوسير" [2].

التأسيس وأبرز الشخصيات:

كانت البنيوية في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي، وتعتبر الأسماء الآتية هم مؤسسو البنيوية في الحقول المذكورة:

- **ففي مجال اللغة** برز "فريدنان دي سوسير" *Ferdinand de Saussure* الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية الذي قال ببنيوية النظام اللغوي المتزامن، حيث أن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية *Diachronie*، أن تاريخ الكلمة مثلاً لا يعرض معناها الحالي، ويمكن في وجود أصل "النظام" أو "البنية"، بالإضافة إلى وجود التاريخ، ومجموعة المعاني التي تؤلف نظاماً يرتكز على قاعدة من التمييزات والمقابلات؛ إذ إن هذه المعاني تتعلق ببعضها، كما تؤلف نظاماً متزامناً حيث أن هذه العلاقات مترابطة.

- **وفي مجال علم الاجتماع** برز: "كلود ليفي شتراوس" *Claude Lévi-Strauss* و"لوي التوسير" "*Louis Althusser*" الذين قالا: إن جميع الأبحاث المتعلقة بالمجتمع، مهما اختلفت، تؤدي إلى بنيويات؛ وذلك أن المجموعات الاجتماعية تفرض نفسها من حيث أنها مجموع وهي منضبطة ذاتياً، وذلك للضوابط المفروضة من قبل الجماعة.

- **وفي مجال علم النفس** برز كل من "ميشال فوكو" "*Michel Foucault*" ، و"جاك لاكان" "*Jacques Lacan*

[1] فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط 01، 2000 م، ص 66.

[2] ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ص 97.

اللذين وقفا ضد الاتجاه الفردي في مجال "الإحساس والإدراك"، وإن كانت نظرية الصيغة "أو الجشتلت أو التعلم بالاستبصار" التي ولدت سنة 1912 م تعد الشكل المعبر للبنيوية النفسية.

الأفكار والمعتقدات :

إن دراسة أي ظاهرة، أو تحليلها من الوجهة البنيوية، يعني أن يباشر الدارس، أو المحلل وضعها بحيثياتها، وتفاصيلها، وعناصرها بشكل موضوعي، من غير تدخل فكره، أو عقيدته الخاصة في هذا، أو تدخل عوامل خارجية (مثل: حياة الكاتب، أو التاريخ) في بنيان النص، وكما يقول البنيويون: "نقطة الارتكاز هي الوثيقة لا الجوانب، ولا الإطار وأيضاً: البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها" [1]، وكل ظاهرة – تبعاً للنظرية البنيوية – يمكن أن تشكل بنية بحد ذاتها؛ فالأحرف الصوتية بنية، والضمائر بنية، واستعمال الأفعال بنية.. وهكذا.

تتلاقى المواقف البنيوية عند مبادئ عامة مشتركة لدى المفكرين الغربيين، وفي شتى التطبيقات العملية التي قاموا بها، وهي تكاد تندرج في المحصلات التالية [2]:

1. السعي لحل معضلة التنوع والتشتت بالتوصل إلى ثوابت في كل مؤسسة بشرية.
2. القول بأن فكرة الكلية أو المجموع المنتظم هي أساس البنيوية، والمردُّ التي تؤول إليه في نتيجتها الأخيرة.
3. لئن سارت البنيوية في خط متصاعد منذ نشوئها، وبذل العلماء جهداً كبيراً لاعتمادها أسلوباً في قضايا اللغة، والعلوم الإنسانية والفنون، فإنهم ما اطمأنوا إلى أنهم توصلوا، من خلالها، إلى المنهج الصحيح المؤدي إلى حقائق ثابتة.
4. في مجال النقد الأدبي، فإن النقد البنيوي له اتجاه خاص في دراسة الأثر الأدبي يتخلص: في أن الانفعال والأحكام الوجدانية عاجزة تماماً عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، لذا يجب أن تفحصه في ذاته، من أجل مضمونه، وسياقه، وترابطه العضوي، فهذا أمرٌ ضروري لا بد منه لاكتشاف ما فيه من ملامح فنية مستقلة في وجودها عن كل ما يحيط بها من عوامل خارجية.
5. إن البنيوية لم تلتزم حدودها، وآنست في نفسها القدرة على حل جميع المعضلات وتحليل كل الظواهر، حسب منهجها، وكان يخيل إلى البنيويين أن النص لا يحتاج إلا إلى تحليل بنيوي كي تنفتح للناقد كل أبنية معانيه المبهمة، أو المتوارية خلف نقاب السطح، في حين أن التحليل البنيوي ليس إلا تحليلاً لمستوى واحد من مستويات تحليل أي بنية رمزية، نصيّة كانت أم غير نصيّة، والأسس الفكرية، والعقائدية التي قامت عليها، كلها تعد علوماً مساعدة في تحليل البنية، أو الظاهرة، إنسانية كانت أم أدبية.
6. لم تهتم البنيوية بالأسس العَقَديَّة والفكرية لأي ظاهرة إنسانية، أو أخلاقية، أو اجتماعية، ومن هنا يمكن تصنيفها مع المناهج المادية الإلحادية، مثل مناهج الوضعية في البحث، وإن كانت هي بذاتها ليست عقيدة، وإنما منهج وطريقة في البحث.

---

[1] ينظر: أديث كرزويل، عصر البنيوية "من ليفي شتراوس إلى فوكو"، ص 289.

[2] ينظر: فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ط 01، 2009 م، ج 02، ص 378.

الجذور الفكرية والعقائدية:

تعد الفلسفة الوضعية لدى "أوغست كونت" *Auguste Comte*، التي لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية – التي تقوم على الوقائع التجريبية – الأساس الفكري، والعقدي عند البنيوية، فهي تؤمن بالظاهرة –كبنية – منعزلة عن أسبابها وعللها، وعما يحيط بها، وتسعى لتحليلها وتفكيكها إلى عناصرها الأولية، وذلك لفهمها وإدراكها، ومن هنا كانت أحكامها شكلية كما يقول منتقدوها، ولذا فإن البنيوية تقوم على فلسفة غير مقبولة من وجهة نظر تصورنا الفكري والعقدي [1].

أماكن الانتشار:

البنيوية منهج مستورد من الغرب، وتعد أوروبا وأمريكا أماكن انتشارها، وأرضها الأصلية، وهي تنتشر ببطء في باقي بلاد العالم، ومنها البلاد العربية.

"البنيوية" "*Structuralisme*" المصطلح الغربي وفوضى الترجمات العربية :

قاربت ترجمة العربية لمصطلح "البنيوية" حوالي عشرين ترجمة، لعل من أهمها:

- **البِنيوية** (بكسر الباء غالبا): وهي أكثر الترجمات تواترا، وأشيعها استعمالا، ومن الصعب أن نحصر الأسماء النقدية واللغوية العربية التي آثرت "البنيوية"، وأن نوثق مواطن استعمالاتها الكثيرة، ولعل أهم من استعمل هذا المصطلح: "عبد الكريم حسن"، و"عبد الله الغذامي"، و"سامي سويدان"، و"كمال أبو ديب"، و"شايف عكاشة"، و"عبد العزيز حمودة"، و"عبد الملك مرتاض" (في مرحلة سابقة!)، و"جابر عصفور"، ...
- **البُنيوية (بضم الباء)**: ونجدها لدى "محمد التونجي" [2].
- **البِناوية**: لدى "الراجي التهامي الهاشمي".
- **البنيانية**: التي قد يكون "ريمون طحان" [3] من أقدم مستعمليها، ثم استعملها من بعده "ميشال زكريا"، و"ميشال عاصي" و"إميل بديع يعقوب" [4]، و"بسام بركة" [5]، و"جورج طرابيشي" [6]، و"محمد معتصم" [7].

---

[1] ينظر: فوزية لعيوس غازي الجبري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2011 م، ص 42.

[2] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1999 م، ج 01، ص 195.

[3] استخدمها ريمون طحان استخدامها في كتابته: الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م، ص 12.

[4] عاصي ميشال وإميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م، ج 01، ص 334.

[5] بسام بركة، معجم اللسانية، منشورات جروس – برس، بيروت، لبنان، 1985 م، ص 193.

[6] روجيه غارودي، البنيوية "فلسفة موت الإنسان"، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985 م، ص 13.

[7] جيرار جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000 م، ص 229.

– **البنائية:** وقد جعل منها "صلاح فضل" عنوانا لكتابه المعروف [1]، وأصر عليها منذ طبعته الأولى، ولعل "صلاح فضل" لم يكن أول من استعمل (البنائية)، بل يمكن القول إن زميله "أحمد كمال زكي" قد سبقه إلى ذلك في كتابه (النقد الأدبي الحديث) [2]، بحكم أن الطبعة الأولى من هذا الكتاب (1972) قد سبقت كتاب "نظرية البنائية في النقد الأدبي" "لصلاح فضل" بنحو 06 سنوات.

–**البنيوانية:** وقد استخدمها "علي زيعور" [3] في مجالها السيكولوجي.

– **المذهب البنْي:** وقد استخدمه "جميل صليبا" [4] في معجمه الفلسفي.

– **البِنَوية:** وقد يكون العالم اللغوي الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح" أول مستعمل لهذه (البنوية)، بوعي لغوي كبير، حين كتب سنة 1971 م في مجلته الرائدة (اللسانيات) [5]: "مناهج بنوية" و"وسائل بنوية"، كما استعمل هذا المصطلح كذلك "عدنان بن ذريل" (رغم أنه لم يستقر عليه لاحقا!)، و"رابح بوحوش" [6] الذي اصطنعه متأثرا بصنيع أستاذه "الحاج صالح"، وكذلك "عبد الملك مرتاض" الذي صار من أشد المصرّين على (البِنَوية) بعدما كان يوظف مصطلح (البنيوية)، قبلها، في عدد غير قليل من كتبه، ثم عدل عنها في كتابه (تحليل الخطاب السردي) [7]، عام 1995 م، وفي كل ما ألفه بعد هذه السنة؛ حيث استخدمها في مقالته "مدخل في قراءة الحداثة"، مشفوعة بقوله: "ويمكن أن يقال نحويا: (البنييّة) على مراعاة الأصل، والبنوية على الإعدال" [8]، مشيرا في ذات الموقف إلى أن من يقولون البنيوية "لا يعرفون العربية"!، ثم يكرر هذا الصنيع في (قراءة النص)؛ حيث (البنيوية) لحن لغوي، (البنائية) تحريف معرفي، و(البنيوية) لحن فاحش في النسبة إلى البنية، و(البنائية) وهو تحريف للجانب المعرفي حيث إن الأمر هنا لا ينصرف إلى البناء، وإنما ينصرف إلى البنية [9].

الأسلوبية البنيوية:

يتزعمها "ريفاتير" "*Michel Riffaterre*" وقد انصرفت إلى دراسة عنصر تجاهلته سائر المناهج النقدية الأخرى، وهو عنصر اللغة، إلا أن همها لم يكن البحث عن نمط اللغة التي وردت في النص الأدبي [10]، "وإنما كان همها

---

[1] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م، ص 13.

[2] أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 18 وص: 64.

[3] علي زيعور، مذاهب علم النفس، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 03، ص 169.

[4] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1973 م، ج 01، ص 218.

[5] عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد 1، العدد 2، 1971 م، ص 37، 38.

[6] رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م، ص 152.

[7] عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م، ص 08، 09، 17، 18.

[8] عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة الحداثة، مجلة البيان، الكويت، العدد 317، ديسمبر 1996 م، ص 11.

[9] عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، ص 30.

[10] ينظر: محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م، ص 110.

الكشف عن نمط الإبداع الفني كما تحقق بأدوات لغوية مخصوصة" [1]، كان الإجراء الذي قدمته على المستوى النظري الانطلاق من دراسة الظاهرة الأدبية في النص ذاته وتحليلها من خلال التركيب اللغوي للخطاب وتحديد العلاقات التركيبية للعناصر اللغوية في تتابعها ومماثلتها، وذلك بالإشارة إلى الفروق التي تتولد في سياق الوقائع الأسلوبية ووظائفها في الخطاب الأدبي [2].

وقد قسم "تودوروف" "*Tzvetan Todorov* " هذه العلاقات إلى قسمين علاقات بين عناصر مشتركة الحضور "حضورية"، وعلاقات بين عناصر حاضرة وأخرى غائبة "غيابية"، وتختلف هذه العلاقات إن في طبيعتها أو في وظيفتها "[3]"، فالعلاقات الحضورية – عندهم – "علاقات تجمع بين وحدتين لغويتين متحققتين بالفعل" [4] تكون الصلة بينهما "صلة تآلف تبادلية، أو صلة تنافر، مما يجعل التأليف ممكنا أو غير ممكن" [5]، أما العلاقات الغيابية فتجمع بين "وحدة حاضرة ووحدات غائبة، ولكن ثمة علاقة تقابل تجمع بينهما" [6]، وهي علاقة الاستبدال على المحور العمودي، فنقوم بتغيير "الدال بإحلال بدائل عنه من سلسلة الاختيار لنرى أثر ذلك على توجه الجملة من حيث دلالتها أو من حيث إيقاعها" [7]، ويحدث هذا – الاختيار – عندهم على "أساس من التوازن والتماثل، أو الاختلاف، وأسس من الترادف والتضاد" [8].

ولارتباط عملية الاختيار بالكلمات انصرفت عناية الأسلوبيين البنيويين إلى أبنية الكلمات من حيث صيغها الصرفية، ومعانيها المعجمية، ثم تجاوزوا ذلك إلى الهياكل النحوية والتركيب وصولا إلى الدلالة الجزئية، وانتهاء عند الدلالة الكلية، ومن هنا احتلت "الدلالة، وماهيتها، وأبعادها النفسية، والاجتماعية جزءا كبيرا من اهتمامهم" [9]، وخضع تحليل الدلالة عندهم إلى أربعة مقاييس هي [10]:

---

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج 01، ص 91.

[2] ينظر: معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 01، 2007 م، ص 100.

[3] تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم حشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، 1996 م، ص 25، وينظر: عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للعلوم، القاهرة، مصر، 2001 م، ص 198.

[4] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م، ص 61.

[5] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من التشريحية إلى البنيوية "نظرية وتطبيق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 06، 2006 م، ص 26.

[6] زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 61.

[7] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من التشريحية إلى البنيوية "نظرية وتطبيق"، ص 38.

[8] نفسه، ص 39.

[9] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 01، ص 89.

[10] جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط 04، 1985 م، ص 63 وما بعدها، وينظر: نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 01، ص:89.

1. دلالة معجمية.
2. دلالة صرفية.
3. دلالة نحوية.
4. دلالة سياقية موقعية.

وقد استعان الأسلوبيون البنيويون بنظرية الحقول الدلالية لتفسير البنية الدلالية للصورة الشعرية، لأن "التركيبة اللغوية تجعل للصورة الشعرية دلالة أمامية وخلفية" [1]، أو صريحة وضمنية، أما الدلالة الصريحة –عندهم– فهي "المضمون الإخباري المباشر وهو أمر متحقق في كل قول صحيح لغويا ودلاليا" [2]، والذي يمثل الدلالة الإيحائية للصورة الشعرية، وأما الدلالة الضمنية فهي "دلالة حادثة على اللغة، وليست جوهرية فيها، كما أنها دلالة غير قارة" [3].

وتختلف الدلالتان – عندهم – من حيث المكونات سيما فيما يتعلق بالمكون الأول، الدال، فالدلالة الصريحة – كما يرى "رولان بارت" ***Roland Barthes*** تتكون من ثلاثة عناصر: "الدال، المدلول، الدلالة"، وهي العلاقة الناتجة عن العنصرين السابقين، أما الدلالة الضمنية فتتكون هي الأخرى من ثلاثة عناصر هي: "الدال، المدلول، الدلالة"، غير أن الدال يتسم بطبيعته المعقدة؛ إذ يتكون من العناصر الثلاثة المكونة للدلالة بمعنى آخر أن الدلالة الضمنية –كما يقول "بارت": "نظام دلالي على المستوى الثاني مبني على الدلالة الصريحة" [4]، إضافة إلى هذا تتميز هذه الدلالة بكونها دلالة يكتشفها القارئ كموحيات للنص، كما تعتبر قضية السياق إحدى أهم القضايا التي انشغل بها الأسلوبيون البنيويون، لأن السياق "يلعب دورا هاما في تحديد الوظيفة اللغوية" [5]، وقد قسموه إلى قسمين:

سياق خارجي (سياق الموقف): وهو السياق الذي يهتم بالظروف الحافة التي أنشئ فيها الخطاب "حيث يتم استحضار الملابسات الشخصية، والاجتماعية، واللغوية، والإيديولوجية التي كتب فيها النص، مادام النص ليس سوى تعبير يشكل جزءا من عملية اجتماعية معقدة" [6].

سياق داخلي نصي (أسلوبي): وهذا السياق هو أكثر أهمية من السياق الخارجي، كما أنه أكثر اقترابا من طبيعة الدراسات الأسلوبية ذات الطابع العلمي الموضوعي وبين مفترق هذين السياقين تبرز السمة الأسلوبية "حيث يصبح النص مرجع ذاته؛ إذ يفرز أنماطه الذاتية، وسننه العلامية، والدلالية، فيكون سياقه الداخلي هو المرجع لقيمه الدلالية" [7].

---

[1] عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، ص 279 .

[2] عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من التشريحية إلى البنيوية "نظرية وتطبيق"، ص 132.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] ينظر: جون ستوك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شتراوس إلى دريدا"، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م، ص 101، وينظر: وعبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، ص 128.

[5] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 01، ص 90.

[6] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 218.

[7] عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م، ص 51.

المفاهيم الأساسية للأسلوبية البنيوية

إن أية فعالية معرفية لا بد أن تستند في تشكيلها وتحديد خصائصها والإطار العام لها إلى أسس تعطي هذه الفعالية سماتها العامة، وتعمل على تجذير محتواها، وتعميقه، كما تسهم في تنظيم حركتها وعلاقاتها، و"الأسلوبية البنيوية" باعتبارها منهجاً نقدياً شاملاً، أو لنقل طريقة بحث في مكونات الواقع وكشف علائق هذه المكونات وتفاعلاتها، تطمح لكي تسجل إضافة حقيقية في مضمار المعارف الإنسانية، وهي بذلك، تستند إلى مفاهيم أساسية تحدد طبيعتها، ومنطلقاتها، وترسم حركتها، ومساراتها.

ويمكننا أن نجد ثلاثة مفاهيم أساسية، تشكل في علاقاتها وتفاعلاتها الإطار العام "للأسلوبية البنيوية"، هي: "البنية، النظام، الوظيفة".

أولاً: البنية:

لم تنل أية ظاهرة معرفية من الاهتمام والدراسة قدر ما ناله مفهوم "البنية" *structure* في القرن الحالي، حيث أصبح هذا المفهوم يحتل مكان الصدارة في مختلف الدراسات الإنسانية الحديثة، سواء كانت هذه الدراسات نفسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، أو لغوية، أو رياضية وغيرها، وأصبحنا نجد الباحثين العاملين في إطار هذه المفهومات يتحدثون عن بنية نفسية، وأخرى رياضية، ومنطقية، وثالثة لغوية.. الخ.

مما يشير إلى أن مفهوم البنية لم يعد يقتصر على الدراسات اللغوية، وتشعباتها، وإنما امتد ليشمل مختلف العلوم الإنسانية دون استثناء، وإن كان هذا المفهوم قد انطلق بالمستوى الذي نراه من خلال البحوث الجادة المكثفة، والمعمّقة في علوم اللغة، وتفريعاتها، والتي اغتنت بها مؤخراً، الدراسات الأدبية بمختلف فروعها واتجاهاتها، حتى إننا نرى أيضاً علماء اللغة يتحدثون عن بنى صوتية، وأخرى تركيبية وثالثة دلالية، ولكل من هذه البنى الكلية بنى أخرى فرعية، منها ما يتعلق ببنية المفردة، ومنها ما يتعلق بالبنية الوظيفية.. الخ.

في مفهوم البنية:

يرى عالم النفس السويسري "جان بياجيه" *Jean Piaget* أن البنية "نظام تحويلات له قوانينه من حيث إنه مجموع، وله قوانين تؤمن ضبطه الذاتي" [1]؛ فالبنية هي علاقات العناصر الداخلية في إطارها، ودخولها في نظام هو الذي يحفظ لها استقرارها، ويضمن لها حركتها وتفاعلاتها داخل النظام ذاته، ويتيح لها أن تتوازن وتتعالق مع بنى أخرى تحكمها أنظمة خاصة بها، ويمكننا أن نكتشف طبيعة هذه البنية بنتيجة التحليل الدقيق لموقع العناصر التي تتشكل منها البنية، ولطبيعة العلاقات التي تقيمها حركة هذه العناصر، وبقدر النشاط الفعال الذي تمارسه هذه العناصر بدخولها في علاقات بعضها مع بعض، بقدر ما تمتلئ البنية غنى وحيوية، وهذا ما أشار إليه "بياجيه" عندما قال: "تبدو البنية مجموعة

[1] جان بياجيه، البنيوية، ص 08، وينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م، ص 188.

تحويلات، تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو تستعين بعناصر خارجية" [1].

إن العناصر المشكلة للبنية محكومة دائماً بقوانين صارمة ترسخ نظام هذه العناصر، وتضفي على هذا النظام خصائص كلية، والبنية لا يمكن التعرف إليها إلا من خلال العلاقات التي تحكم عناصرها ذاتها، وليس من خلال هذه العناصر منفصلة، وهذا ما يؤكد ضبط البنية استناداً إلى حركتها الذاتية وإلى تحولاتها، فالتحولات لا توجد أبداً إلا عناصر تنتمي للبنية ذاتها، وتخضع لقوانينها وتحافظ عليها، ولا تعود إلى ما هو خارج حدودها، وبهذا المعنى نجد أن البنية تنغلق على ذاتها، وهذا ما دفع "لالاند" *André Lalande* لكي يقدم في معجمه تعريفاً للبنية يؤدي إلى الفهم المشار إليه، إذ يقول: "إن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكن أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه" [2].

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات بين البنيويين وعلماء اللسانيات حول تصور البنية ومعرفة نظامها وخصائصها، غير أنهم يتفقون حول الخطوط العامة التي تندرج البنية في إطارها، بمكوناتها، وعلاقاتها، حيث نجد عالم اللسانيات "أنطوان مييه" *Antoine Meillet* يعرّف الجملة قائلاً: "يمكن تعريف الجملة على أنها مجموعة أصوات تجمع بينها علاقات قواعدية، وهي مكتفية ذاتياً ولا تتعلق بأية مجموعة أخرى قواعدياً" [3]، فالجملة، هنا، بنية قادرة بعلاقاتها الذاتية أن تستمر، وتتواصل، وتتفاعل بطريقة تحفظ لها فعاليتها، وإن كان "مييه" ينبه إلى الشكل المادي للجملة بكونها مجموعة أصوات، والتي تعني في الأصل مجموعة ألفاظ، أو مجموعة حروف، تشكّل الكلمات التي تشكل بنية الجملة ذاتها.

وقد تبع، فيما بعد "بلومفيلد" *Leonard Bloomfield* خطى أستاذه "مييه" وأعطى تعريفاً للجملة يتقاطع مع تعريف هذا الأخير حيث يقول: "إن كل جملة هي تركيب لغوي مستقل لا يحتويه تركيب لغوي أكبر بموجب علاقة قواعدية معنية" [4]، فالجملة مكوّن البنية الأساس، واستقلاليتها يؤكد قدرتها على الثبات والتواصل داخل أطرها الخاصة، وداخل قوانينها الخاصة أيضاً.

ثم نجد زعيم حلقة كوبنهاجن الألسنية "هيلمسليف" *Louis Hjelmslev* يشير إلى أن "البنية كيان خاص ذات ارتباطات داخلية" [5]، وهذا ينفي عنها أيضاً أية علاقة مع عناصر خارجية لا تنتمي إليها، أو لا تنضوي في نظامها، وهذا ما دفع "هييلمسليف" للقول باستقلالية البنية، وهذه الاستقلالية تؤكد على أن عملية تحليلها يجب أن تتم من خلال

---

[1] جان بياجيه، البنيوية، ص 08.

[2] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط 02، 2001 م، ج 03، ص 105.

[3] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، ط 03، ص 44، 45.

[4] نفسه، ص 45.

[5] البنيوية، جان بياجيه، ص 67.

علاقات عناصرها دون أية اهتمامات خارج هذا الإطار، وهذا ما يدفعنا إلى الحديث عن خصائص البنية التي تسمح لها بالاحتفاظ بقدراتها الذاتية داخل نظامها الداخلي المحكم [1].

خصائص البنية:

إن البنية تميزها خصائص ثلاث: الكلية، التحولات، الضبط الذاتي (التحكم الذاتي) [2].

1-الكليَّة: وتعني أن البنية تتكون من عناصر داخلية، تقوم بينها علاقات، وتحكمها قوانين تميزها عن غيرها، والعلاقات التي تقوم بين عناصر البنية لترسخ، في النهاية، مفهوم البنية، لا تنتهي عند حد معين، وإنما هي تتواصل بشكل مستمر لتكوين مزيد من البنيات التي لا تنضاف إلى البنية الأساسية بشكل تراكمي، وإنما تتمفصل معها في علاقات تنبثق، في الأصل، من مقدرة البنية الهائلة على التحول إلى بنى أخرى متعلقة معها، وفقاً لقوانينها الذاتية، ودون أن تفقد أياً من خصائصها، مع الإشارة إلى أن البنية تتكامل بحركة عناصرها وتحولاتها، وأن أي قطع لحركة هذه العناصر هو قطع لحركة البنية ذاتها وخلخلة لنظامها.

2-التحولات: وتعني حركة البنية المستمرة، أو حركة عناصرها، ونفي مظاهر السكون عنها، وذلك لكي تلبي الرغبة بما يتفق وإنتاج عدد لا نهائي من البنى (الجمل) انسجاماً مع الحاجات الاتصالية للتعبير، ولو لم تكن البنية قادرة على ذلك، لفقدت اللغة حيويتها وانكفأت على ذاتها ثم تحجرت، دون أن تكون قادرة على التعبير عن أية فعالية إنسانية متنامية، وتعد النظرية التوليدية والتحويلية في علم اللغة، والتي أسس لها "نعوم شومسكي" *Noam Chomsky* أفضل ما يعبر عن خاصية التحولات.

3-الضبط الذاتي (التحكم الذاتي): تشير هذه الخاصية إلى قدرة البنية على التماسك الداخلي من جهة ثم العمل على ضبط هذا التماسك من جهة ثانية، الأمر الذي يؤدي بالبنية إلى نوع من الانغلاق الذي يُظهر استقلالية هذه البنية، دون أن تعني هذه الاستقلالية تجريد البنية من قدرتها على الدخول في علاقة مع بنية أخرى، ودون أن يكون هناك إلغاء لأي منهما، وإنما يتم هذا الدخول بشكل يضمن لكلتا البنيتين المتعالقتين حضوراً أكبر وثراء أشد، لأن أياً من البنيتين لا تلحق بالأخرى بشكل تراكمي، وإنما يتحدان في إطار النظام الجديد الذي يتعالقان من خلاله.

إن خواص البنية التي تم ذكرها، هي خواص دائمة ومشتركة لأية بنية من البنى، وتعد بمثابة القانون العام الذي يحكم عمل مختلف البنى مهما كانت طبيعتها، ويمكن أن نشير هنا إلى أن العالم الاجتماعي البنيوي "كلود ليفي ستروس" *Claude Lévi-Strauss* كان قد رأى أن النماذج المصوغة من العلاقات الاجتماعية والتي تستحق أن يطلق عليها تسمية بنية، يجب أن تلبي حصراً شروطاً محددة، منها: اتصاف البنية بطابع النظام، لكونها تتشكل من عناصر يستتبع تغير أحدها تغير العناصر الأخرى، وأن مجموعة التحولات التي يشكل كل منها نموذجاً معيناً يجب أن تشكل مجموعة من النماذج، مع النظر إلى أن تغيير أي عنصر من عناصر النموذج يجب ألا يمر دون إثارة ردود فعل على هذا التغيير.

---

[1] ينظر: زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، ص 33 وما بعدها.

[2] ينظر: جان بياجيه، البنيوية، ص 08 وما بعدها.

أما الشرط الأخير فيتعلق ببناء النموذج ذاته، بحيث يتوجب بناؤه بطريقة يتمكن عمله من تسويغ جميع الوقائع الملاحظة [1]، وهذا ينسجم مع خواص البنية، وطبيعة حركتها، وعلاقاتها، وقوانينها، من حيث اتصاف البنية بالكلية، والتحول، والضبط الذاتي.

ثانياً: النظام:

يأتي مفهوم "النظام" *systeme* ملازماً لمفهوم البنية باعتبارها "نظام تحولات"، ولكي نفهم ماهية "البنية"، ونعي خصائصها، ونكتشف قوانينها، يجب علينا أن نفهم النظام ذاته، وذلك باعتباره الإطار الذي تنتظم من خلاله علاقات عناصر البنية، فإذا كان للبنية قوانين خاصة تنتظم لديها العناصر الداخلة في تكوينها، وبالتالي، تحافظ البنية من خلالها على ذاتها، فإن هذه الفعالية الذاتية التي تترابط بها عناصر البنية هي النظام ذاته، والذي يقوم بمهمة الحفاظ على تماسك البنية، ويؤكد العلاقات والتحولات الداخلة في إطارها.

فالنظام، إذن، يتشكل من العلاقات القائمة بين عناصر البنية، دون أن يعني ذلك تغير هذا النظام بتغير العناصر المتعالقة داخله، فالمعروف مثلاً، أنه إذا حدث تغيير ما في أي عنصر من عناصر البنية، فإن مثل هذا التغيير سوف يشمل عناصر البنية كلها بسبب أن أياً من هذه العناصر لا يتمثل داخل البنية على هيئة ساكنة، وإنما يمارس فيها فاعلية قوية بالعلاقة التي ينشئها مع غيره من العناصر الأخرى الداخلة معه في تركيب البنية، بما يحافظ على البنية ذاتها، وحتى في حالة توالد بنيات جديدة من بنية رئيسية، فإن عناصر البنية الجديدة لا تشكل خرقاً لقوانين البنية الأساسية، بقدر ما تشكل إضافات جديدة تنتمي إلى عناصر البنية ذاتها، وتدخل في علاقاتها، وتخضع لقوانين تشاكل قوانينها، وفي هذا الإطار يشير "دي سوسير" إلى أن التبدلات التي يمكن أن تطرأ على البنية لا تؤثر على نظامها بل تؤثر على بعض عناصرها التي سرعان ما تندرج في إطار نظامها الخاص [2].

وربما مرت فترة التبس فيها مفهوم "البنية مع مفهوم النظام"، وقد كان "دي سوسير" أطلق على هذا التنظيم الدقيق الذي يلازم اللغة، اسم "النظام" في الوقت الذي أطلق عليه بعض تلاميذه اسم "البنية"، وقد يعود هذا الاختلاف الدقيق في التسمية إلى طريقة البرهان على هذا الطابع اللغوي المنظم، فهم ينطلقون من فكرة أن معرفة العناصر اللغوية المتعالقة ليست شيئاً معطى، أي ليست شيئاً تم استقدامه من خارج البنية، وقد يعود السبب في ذلك، كما يقول "دي سوسير": "إلى أنه في تحديد وحدة ما في إطار بنية ما فإننا نفترض دائماً وجود علاقة بين هذه الوحدة والوحدات الأخرى، إن هذه الوحدة تأخذ مكانها ضمن تنظيم كلي" [3]، وهذا هو ما عناه أتباع "دي سوسير" بالنظام أو البنية

---

[1] عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير "من البنوية إلى التشريحية"، ص 31، 32.

[2] كلود ليفي شتراوس، الانتروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977 م، ص 328.

[3] فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيجد النصر، دار النعمان للثقافة، جونية، لبنان، 1984 م، ص 109.

باعتبار أن العناصر اللغوية لا قيمة لها ولا واقع لها بشكل مستقل عن علاقاتها بالمجموع، فالبنية لا يمكن أن تنفصل عما تبنيه.

وقد أشار "بياجيه" إلى مثل هذا الفهم، ولفت إلى أن النظام، بحد ذاته، إنما يعني البنية، بخصائصها وعلاقاتها، عندما قال: "فبمقدار ما نتذكر أن البنية هي قبل كل شيء، مجموعة تحويلات، فإننا ننفي، بنفس الوقت، انفصالها عن العمليات الفيزيائية، والبيولوجية الموجودة في باطن الموضوع، وعن العمليات التي تمارسها الذات، والتي لا تمثل منها البنيوية إلا قانوناً للتركيب، أو شكلاً للتوازن، وبالفعل فمن خصائص العمليات أن تتنسق وتتنظم في أنظمة بعكس أية أفعال أخرى، وفي هذه الحال تصبح هذه الأنظمة، بفعل بنائها، بنيات بكل ما للكلمة من معنى وليس كما قيل إن البنيات سابقة الوجود على الأفعال والبناءات التي تحددها مسبقاً" [1]، وتصبح قوانين البنية هي ذاتها قوانين "النظام/ البنية"، النسيج الذي يبني البنية ويشكل بنيتها القواعدية فتحولات البنية مستمرة، وهي تقوم دائماً بتوليد عناصر جديدة تثري البنية، لذلك فهي تحتاج إلى توازن جديد باستمرار، ومن هنا فإن العناصر الجديدة المتولدة عن البنية لا تخرج في علاقاتها عن نظام هذه البنية وإنما تخضع له وتسهم في المحافظة على قوانينه.

إن "الأسلوبية البنيوية" باعتبارها منهجاً في البحث، وطريقة في الكشف عن علاقات النص وقوانينه، والنص الأدبي تحديداً بكونه نظاماً متكاملاً يتشكل من اللغة، والبنيوية تعني "نظام الأنظمة" [2] على حد تعبير "جاكبسون" *Roman Jakobson* فإن ذلك يسمح لنا أن نشير إلى أن البحث عن وجود نظام داخلي يعد من أهم الركائز التي انبنت عليها الدراسات البنيوية المعاصرة، "والنظام في النص لا يكمن في ترتيب عناصره، وإنما يكمن في شبكة من العلاقات تنشأ بين الكلمات، ومتى كانت هذه العلاقات متكاثرة مكثفة كان النص أوغل في الأدبية" [3]، وقد أشار بعض الدارسين إلى وجود أكثر من نظام لهذه اللغة دون أن يعني ذلك خروج أي من هذه الأنظمة على القوانين العامة التي تحكم هذه الأنظمة المتكاملة جميعها.

وكما تدخل البنية في علاقة مع بنية أخرى فتغتني كلتا البنيتين بمثل هذه العلاقة، كذلك فإن نظاماً ما قد يصير أحياناً جزءاً من نظام آخر أوسع منه، دون أن يُلغى أيضاً أي من النظامين، وإنما يصبح النظام الثاني امتداداً للأول وتوسعاً له، وهكذا نجد أمامنا نظامين يتداخل الواحد منهما بالآخر ويتشابك، غير أنهما في الأصل منفصلان بعضهما عن بعض، ويمكن تمييز كل واحد منهما عن الآخر [4].

وكان "تشومسكي" قد حدد طبيعة التحليل اللغوي بأن "ميّز بين نظامين من القواعد في نحو أية لغة كانت: فمن جهة هناك نظام الأساس الذي يولد التراكيب العميقة، ومن جهة أخرى، النظام التحويلي الذي يجعلها تتحول إلى

---

[1] جان بياجيه، البنيوية، ص 117.

[2] أمينة غصن، بنيوية جاكبسون، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد المزدوج 19/18، مارس، 1982 م، ص 108.

[3] حسين الواد، قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، دار سراس للنشر، تونس، 1985 م، ص 45.

[4] رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط 02، 1987 م، ص 135.

تراكيب سطحية" [1]، وقد أشار "تشومسكي" إلى أن قواعد التركيب هي قواعد اللغة ذاتها التي تشتمل على إمكانية صياغة جمل لا حصر لها.

إن الكلام عن النظام هنا، يدفعنا إلى ضرورة معرفة طبيعته، هل هو نظام تزامني، أو أنه نظام زمني بمعنى آخر، هل ننظر إلى اللغة باعتبارها نظاماً متزامناً، ينبغي أن يتم من خلاله دراسة عناصرها في فترة زمنية محددة ؟، وكما كان قد أشار "دي سوسير" عندما رأى أن اللغة نظام يجب أن تعرّف كل أجزائه حسب حقيقتها التزامنية، دون النظر إلى تطور اللغة، أو إلى التبدلات التي تطرأ عليها عبر مسيرتها التاريخية، فمما لا شك فيه أن علاقات البنية تشكل نظاماً متزامناً، غير أن هذا النظام ليس ثابتاً بالمفهوم الجوهري، وإنما هو مهيأ لابتكار بنى جديدة يتسع لها هذا النظام، فيصبح، أمامنا، في هذه الحال، مجموعة أنظمة نظام أساسي يتخذ شكلاً ثابتاً تتوازن فيه عناصر البنية التي تحكمها علاقة تزامن، وأنظمة أخرى تتفرع عن النظام الأول، لتقوم بتكوين بنية أو بنى جديدة تغني البنية الأساسية الأولى.

وهذه هي تحولات النظام التي هي تحولات للبنية، لأن اللغة، بحد ذاتها، غير ثابتة، وإنما هي خاضعة دوماً للتطور وفقاً لمتطلبات التواصل، وما النظام التزامني الذي نشير إليه، إلا عملية قطع لتطور اللغة يتم استحداثه من أجل ضبط عملية وصف اللغة وآلية عملها وفهمها، ضمن مرحلة معينة، وداخل علاقات محددة وإطار محدد، وفي هذه الحال، يمكن القول، إنه لا توجد تزامنية دون زمنية، طالما أنه لا يوجد سكون أو ركود في اللغة، فالزمنية هي عملية تتابع للتزامنية، والتزامنية هي نقطة وقوف على مسار الزمنية، وما التحول إلا حالة زمنية من بنية تزامنية إلى بنية تزامنية أخرى، تتم وفقاً لقواعد وقوانين محددة.

ولعل "دي سوسير" كان أول القائلين بضرورة التأكيد على طبيعة النظام اللغوي، محاولاً وصفه والكشف عن مكوناته بالاعتماد على مفاهيم هذا النظام، ولا سيما مفهوم "العلامة" ***signe*** التي تشكل العنصر الرئيسي في البنية اللغوية، والعلامة "لا تربط شيئاً باسم بل تصوراً بصورة سمعية، وهذه الأخيرة ليست الصوت المادي، الذي هو شيء فيزيائي صرف، بل هي الدافع النفسي لهذا الصوت، أو التمثيل الذي تهبنا إياه شهادة حواسنا" [2].

وقد دعا "دي سوسير" هذين المظهرين "الدال" ***signifiant*** و"المدلول" ***signifié*** ولا وجود لأحدهما دون الآخر، ويشكلان الركيزة الأساسية في النظام، ومن هنا اعتبرت اللغة بأنها: "نظام من العلاقات التي تعبر عن أفكار معينة"، على حد تعبير "دي سوسير" نفسه، نظام علامات مترابط ومنضبط، تعرف فيه العلامة باختلافها وتعارضها مع غيرها من العلامات داخل النظام اللغوي.

ثالثاً: الوظيفة:

إن البنية نظام تحولات، والتحولات علاقات لعناصر البنية، أي دخول عنصر في البنية مع عنصر آخر في علاقة متبادلة، أو دخول جملة مع جملة، أو نص مع نص، هذه العلاقة هي ما يمكن أن نطلق عليه تسمية "الوظيفة"

---

[1] ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند "جاك لاكان"، مجلة الفكر العربي المعاصر، ترجمة فاطمة طبال بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد 23، جانفي، 1983 م، ص 68.

[2] فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 88.

Fonction؛ فالوظيفة، إذن، هي التي تحدد طبيعة العلاقة بين مكونات البنية، وفاعلية هذه المكونات بالنظر إلى نشاطها الذي يمارسه كل عنصر منها داخل المجموعة التي ينتمي إليها، وليس هناك أية قيمة يمكن لأي عنصر أن يمتلكها بشكل منعزل، وإنما يكتسب مثل هذه القيمة بالعلاقة التي يشكلها مع عنصر آخر، أو مع عناصر أخرى، فيكون الكشف عن هذه العلاقات التي تتواصل من خلالها عناصر البنية هو كشف عن وظائف البنية ذاتها.

إذن، فالتحليل الوظيفي يعمل على ربط النظام اللغوي بالوظائف التي يمكن لهذا النظام أن يؤديها من خلال التراكيب المختلفة التي تشكل بنية هذا النظام وأساسه، مع النظر إلى أن كل تركيب أو بناء لغوي يمكن أن يؤدي وظيفة مختلفة [1]، ومن هنا، لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن ننظر إلى الوظيفة بمعزل عن النظام الذي تندرج في علاقاته، فالنظام هو تنظيم لعلاقات البنية وضبطها، وليس هذا التنظيم سوى علاقات قواعدية محكمة للعناصر المتشكلة والمتفاعلة فيه، والتي هي وظائف ذاتها، نتمكن بالكشف عنها من معرفة طرق الاستخدام اللغوي وغاياته.

وقد اهتم "الأسلوبيون البنيويون" و"علماء اللسانيات" بمفهوم "الوظيفة"، لا بل نال هذا المفهوم اهتماماً أكثر من غيره، نظراً لأهميته، من كونه يعنى بالقيمة الاتصالية للغة، وما يمكن أن تشتمل عليه من مستويات نتعرف من خلالها، على مختلف الوظائف التي تضطلع بها علاقات هذه اللغة داخل أنظمتها المختلفة.

وقد نرى عالم اللسانيات الفرنسي "أندريه مارتينيه" *André Martinet* يؤكد على "علم اللغة الوظيفي"، بقوله عن هذا العلم، إنه: "ليس فصلاً من علم اللغة، بل هو علم اللغة كله، وأن وظيفة وحدة، أو بنية هي التي تسمح بالوصول إلى التفسير الكامل للواقعة اللغوية" [2]، وهذا يشير إلى أهمية الجانب الوظيفي في تحليل اللغة وفهمها، وتفسير الوقائع المرتبطة بها، لأن مثل هذا الجانب يمتلك القدرة على كشف المعاني التي يهدف النظام اللغوي إلى توصيلها، الأمر الذي يؤكد ارتباط الوظيفة بالمعنى، وأن كل وظيفة محددة مهما كان نوعها تؤدي معنى محدداً في سلسلة الوظائف أو المعاني التي ترتبط بالبنية اللغوية.

وقد وعى عالم اللسانيات الأمريكي "إدوارد سابير" *Edward Sapir* مسألة التفاعل بين مفهومين أساسيين من مفاهيم اللغة، هما "مفهوم الشكل ومفهوم الوظيفة"، وتنبه إلى استحالة قيام علاقة وحيدة الاتجاه بين الوظيفة والشكل "فنظام الأشكال شيء، واستعمال هذا النظام (لتحديد الوظائف) شيء آخر... إن الوظيفة (أن يكون لدينا شيء نقوله) تسبق الشكل (قول هذا الشيء بطريقة ما)" [3]، وهنا ربط "سابير" القول بالمقصدية التي تعمل على تشكيل العملية اللغوية بما ينسجم مع هذه المقصدية وأهدافها الإبلاغية، وبما يسمح للمرسل بتوصيل ما يرغب فيه للآخر، وعلى الرغم من أن "سابير" كان قد رأى أنه من الممكن دراسة الشكل اللغوي باعتباره نظاماً تركيبياً من أنظمة اللغة، دون أن يعني ذلك دراسة الوظائف المتصلة به، فإن مفهوم (الوظيفة) ظل حاضراً لديه، يفرض عليه مرتكزاته بشدة عند كل دراسة

---

[1] فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 88.

[2] يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 20، العدد 03، ديسمبر، 1989 م، ص 72.

[3] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 169.

له للأشكال اللغوية واستخداماتها المختلفة، مع العلم أن أي شكل لغوي سيؤدي وظيفة مغايرة للوظيفة التي يمكن أن يؤديها شكل لغوي آخر، كما يمكن للشكل نفسه أن يحتوي مجموعة وظائف تكشف عنها عناصر هذا الشكل وعلاقاته بالاستناد إلى البنية القواعدية لهذا الشكل، وقد يعود بعض هذه الوظائف إلى وظيفة مركزية يكون منوطاً بها هدف مركزي، يتولى الإفصاح عن هذه الوظيفة، إذ نرى مثلاً، داخل شكل لغوي معين: وظيفة للصوت يكشف عنها علم الأصوات، ووظيفة للحرف، أو للمقطع يكشف عنها علم التشكيل الصوتي، ووظيفة للصيغة واشتقاقاتها وتصريفها يكشف عنها الصرف [1].... وهكذا.

وهناك من يقول بوظيفتين للصوت: واحدة تسهم في تحديد الدلالة، والثانية تأتي من وجوده داخل إيقاع معين، وفي الحقيقة، فإن كلاً من الوظيفتين تؤكد الوظيفة الدلالية للصوت، وربما لا تقتصر هذه الوظيفة على اتصالها بالأصوات بشكل مباشر، بقدر اتصالها بالطريقة التي تتداخل بها هذه الأصوات، ويبقى المعنى هو المرتكز الذي تسعى إليه مختلف الوظائف التي يتم الكشف عنها في هذا الإطار.

وقد اهتم "هيلمسليف *L. Hjelmsleve*" بتحليل المعنى، وذلك بالكشف عن الوظائف التي تحدده، مشيراً إلى أن دخول الشكل اللغوي في إطار علاقات بنية معينة هو الذي يحدد وظيفته ويعطيه معناه [2].

ولعل "جاكوبسون *R. Jakobson*" كان من أبرز علماء اللسانيات الذين لفتوا الانتباه إلى وظائف اللغة، وأن مفهوم اللغة يجب أن يُدرس بوصفه نظاماً وظيفياً، وأن الكشف عن هذا النظام إنما يتم من خلال وظيفة العناصر الداخلة فيه، وقد رأى أن هناك ست وظائف للاتصال كان قد صنَّفها على الشكل التالي [3]:

1-**الوظيفة التعبيرية** (*La fonction expressive*):

أو الوظيفة الانفعالية (*Emotive*) تركز على المرسل إذ تعبّر، بصفة مباشرة عن موقف المتكلم حيال ما يتحدث عنه، وتنزع إلى تقديم انطباع عن انفعال معيّن صادق أو كاذب، يتجلى باعتماد آليتين: الأولى دلالية صرفة كصيغة التعجب، والاستغاثة، والندبة.... الخ، حين يكون الخطاب مكتوباً.

أما في الخطاب المنطوق فتعتمد على النبر، والتفخيم، والترقيق، والجهر، والهمس، وارتفاع الصوت، وانحداره.

تهيمن هذه الوظيفة من الناحية الأسلوبية عندما يحتلّ الكاتب أو الناظم المكانة المركزية في النصّ ويسعى إلى التعبير عن أفكاره ومشاعره كما في أدب السيرة، أو في الشعر الغزلي فيسيطر ضمير المتكلم، وأدوات تركيبية خاصة يتصدرها التعجب.

2- **الوظيفة الافهامية** (*La fonction cognitive*):

أو التأثيرية *impressive* ويحمل المصطلح الثاني دلالة عاطفية في حين أن الأول ينطلق من وجهة نظر عقلية، تهيمن في الأدب الملتزم والروايات العاطفية؛ إذ تكثر مخاطبة الآخر، ومحاولة التأثير عليه، وإقناعه، أو إثارته.

---

[1] نفسه، ص 88.

[2] تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص 121، 122.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 157 / 160.

3- **الوظيفة الانتباهية** (*la fonction phatique*):

توظّف لإثارة انتباه المخاطب أو التأكد من استمرار جهوزيته للاستقبال، مثل: "قل، أتسمعني ؟" أو "إستمع إليّ !" ومن الجانب الآخر من الخطّ "هِمْ هِمْ" أو "إم إم" أو "أي أي"؛ إذ تنسحب العملية التواصلية قليلاً من دائرة الرسالة للتأكّد من ممرّها، لذا اشترك الباثّ والمستقبل في صنع هذه الوظيفة.

4- **الوظيفة المرجعية** (*la fonction référentielle*):

أو المعرفيّة (*cognitive*) أو الإيحائية (*démotive*) حين تتجه الرسالة إلى السياق وتركّز عليه، فدور اللغة أن تحيلنا على أشياء وموجودات نتحدث عنها بالرمز إليها؛ إذ اللغة رموز معبّرة عن أشياء.

5- **وظيفة ما وراء اللغة** (*La fonction métalinguistique*):

تستعمل حين يشعر المتخاطبان بالحاجة إلى التأكد من الاستعمال الصحيح للسنن (الشيفرة) الذي يوظفان رموزه في التخاطب فيكون الخطاب مركّزاً عليه لأنه يشغل وظيفة ميتالسانية "أو وظيفة شرح" أو ميتالغوية فيتساءل المستمع: إنني لا أفهمك، ما الذي تريد قوله؟ أو: ما تقول؟ ويسبق المتكلم مثل هذه الأسئلة فيسأل: **"**أتفهم ما أريد قوله؟**"** أو يقول: أريد أن أقول، أو: أقصد ... أي الكلام عن الكلام (لا الكلام عن الأشياء).

6-**الوظيفة الشعرية** (*Fonction poetique*) :

الوظيفة التي تركّز على الرسالة [1]، وتفرض هيمنتها على فنّ الشعر باعتباره رسالة لفظية وعملاً إبداعياً تتدخل فيه ذاتية المبدع لتنسج أبنيتها داخل نظام لساني معين، وتظهر في الرسائل اللغوية الأخرى وغير اللغوية كما في الفنون (الرسم، الموسيقى، المسرح...).

يتضح مما سبق:

أن الأسلوبية البنيوية منهج فكري نقدي مادي ملحد غامض، يذهب إلى أن كل ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكل بنية، لا يمكن دراستها إلا بعد تحليلها إلى عناصرها المؤلفة منها، ويتم ذلك دون تدخل فكر المحلل، أو عقيدته الخاصة، ونقطة الارتكاز في هذا المنهج هي الوثيقة، فالبنية، لا الإطار، هي محل الدراسة، والبنية تكفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها، وفي مجال النقد الأدبي، فإن الانفعال أو الأحكام الوجدانية عاجزة عن تحقيق ما تنجزه دراسة العناصر الأساسية المكونة لهذا الأثر، ولذا يجب فحصه في ذاته من أجل مضمونه، وسياقه، وترابطه العضوي، والبنيوية، بهذه المثابة، تجد أساسها في الفلسفة الوضعية لدى "أوغست كونت" "*Auguste Comte*"، وهي فلسفة لا تؤمن إلا بالظواهر الحسية، ومن هنا كانت خطورتها.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

[1] جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص 132، 133.

2. أديث كرزويل، عصر البنيوية "من ليفي شتراوس إلى فوكو"، ترجمة جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م.
3. أمينة غصن، بنيوية جاكبسون، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد المزدوج 19/18، مارس، 1982 م.
4. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط 02، 2001 م.
5. بسام بركة، معجم اللسانية، منشورات جروس – برس، بيروت، لبنان، 1985 م.
6. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
7. التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث "مناهجها في البحث"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م.
8. تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم حشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا.
9. جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط 04، 1985 م.
10. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1973 م.
11. جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، ط 03.
12. جون ستوك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شتراوس إلى دريدا"، ترجمة محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م.
13. جيرار جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000 م.
14. حسين الواد، قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، دار سراس للنشر، تونس، 1985 م.
15. ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996 م.
16. رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م.
17. روجيه غارودي، البنيوية "فلسفة موت الإنسان"، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985م.
18. رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط 02، 1987م.
19. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م.
20. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م.
21. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.

22.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م.
23.صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 03، 1983 م.
24.عاصي ميشال وإميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م.
25.عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد 1، العدد 2، 1971 م.
26.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
27.عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.
28.عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من التشريحية إلى البنيوية "نظرية وتطبيق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 06، 2006 م.
29.عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م.
30.عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
31.عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة الحداثة، مجلة البيان، الكويت، العدد 317، ديسمبر 1996 م.
32.عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للعلوم، القاهرة، مصر، 2001م.
33.علي زيعور، مذاهب علم النفس، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 03.
34.فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة يوسف غازي ومجيجد النصر، دار النعمان للثقافة، جونية، لبنان، 1984 م.
35.فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط 01، 2000 م.
36.فوزية لعيوس غازي الجبري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2011 م.
37.فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ط 01، 2009 م.
38.كلود ليفي شتراوس، الانتروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977 م.
39.ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند "جاك لاكان"، مجلة الفكر العربي المعاصر، ترجمة فاطمة طبال بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد 23، جانفي، 1983 م.
40.محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1999 م.
41.محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م.

42.معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 01، 2007 م.

43.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

44.يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 20، العدد 03، ديسمبر، 1989 م.

المحاضرة التاسعة

الأسلوب وعلم النص.

توطئة:

ما انفكت الظاهرة اللغوية تبسط أمام الفكر البشري صنفين من القضايا "أحدهما نوعي والآخر مبدئي عام، فأما الصنف الأول فيتمثل في عناصر اللغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوناته الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، وأما الصنف الثاني من القضايا فيتصل بالمشاكل المبدئية التي يواجهها الناظر في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية مطلقة"، فمن خلال قراءتنا لبعض كتب المحدثين المختصة في مجال تحليل الخطاب يتبين لنا أن هناك نوعا من الترادف بين النص "*texte*"، والخطاب "*discours*" ، والتلفظ "*prononciation*"، والقول أو الكلام "*parole*".

فمن البديهي أن النص وحدة لغوية طبيعية توظف باستمرار في عملية التواصل، غير أنه لم يشكل محور الدراسة اللسانية إلا في الستينات، حينما اقترح "كينيث بايك" *Kenneth Lee Pike*، عمله في تحليل الخطاب، ويمكن عد هاته الدراسة تتويجا للإرهاصات الأولى التي تجلت عند "زيلينغ هاريس" *Zelling Sabbetai Harris*، بعد ذلك انطلقت مساهمات مختلفة تنتمي إلى حقول معرفية متعددة كاللسانيات، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والاثنوغرافيا "علم الإنسان الوصفي" وغيرها، فتعددت وجهات النظر وتعددت تبعا لذلك المفاهيم المرتبطة بالخطاب، وتداخلت مع تلك المرتبطة بالنص، والكلام، والتلفظ.

فاللغة كما أسلفنا تعد نشاطا تواصلي يقوم على استعمال العلامة اللغوية لإنجاز أفعال تواصلية، لأن وظيفتها الأساسية هي التواصل بإجماع العلماء والباحثين، ومن ثم حظيت باهتمام كبير منذ عقود طويلة، ظهرت خلالها مدارس عديدة، ومن أحدثها المدرسة النصية (النصانية)، هذه المدرسة الحديثة قد أحدثت نقلة عملاقة تتجلى في تجاوز المدرسة النصية في تحليلاتها اللغوية النظم المعهودة التي ألفتها المدارس اللغوية السالفة.

وقد انكب اهتمام تلك المدارس على الجملة بوصفها أعلى وحدة لغوية محورية انطلاقا من أن الجملة وحدة نظرية نظامية إطارها اللغة، تنطلق من كفاءة لغوية، وتمثل هذه المدارس اتجاها في اللسانيات هو: لسانيات الجملة، وقد تجاوزت المدرسة النصية الحديثة ذلك لتصل إلى وحدة كبرى هي النص، والنص هو وحدة إجرائية استعمالية إطارها الكلام، تنطلق من إنجاز لغوي، أو كفاءة تواصلية.

وقد أصبح هذا العلم حقيقة راسخة على يد الأمريكي " روبرت دي بوجراند" "*Robert De Beaugrande*" في ثمانينات القرن الماضي، وبخاصة بعد أن وضع سبعة معايير: السبك، والحبك، والقصدية، والتقبلية، والإعلامية، والمقامية، والتناص، والتي يجب أن تتوفر في النص ليكون نصا، وهكذا أصبحت المدرسة النصية تمثل اتجاها جديدا في الدراسات اللسانية والأسلوبية، أصبح يسمى "بلسانيات النص" أو "اللسانيات النصية" "*Texttual linguistics*" أو "نحو النص" "*Text grammar*"، أو "علم النص" "*Textology*"، أو "علم اللغة النصي" " *Text linguistics*"... إلى غير ذلك.

في مفهوم النص:

يعد مفهوم النص من أكثر المفاهيم تداولا في الساحة اللغوية، والنقدية، والثقافية، وذلك لما له من أبعاد فكرية، وإيديولوجية، وتربوية هامة، يقول "ابن منظور" في مادة "نصأ": "نصأ الدابة والبعير نصأ، إذا زجرها، ونصأ الشيء رفعه" [1]، وفي عرضه مادة "نصص" قوله "نص الاسناد الرفع، والنص: رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا: رفعه وكل ما أظهره، والنص هو أقصى الشيء وغايته، ومنه نصّ الناقة؛ إي استخراج أقصى سيرها، ونصّ الشيء منتهاه" [2].

أما عند الغربين فإن أصل كلمة النص "*Text*" في الإنجليزية و"*Texte*" في الفرنسية وغيرها من اللغات الأجنبية ترجع إلى الأصل الثلاثي "*textus*"؛ و"تعني النسيج، أو الضفيرة من الشعر، وكل ما له علاقة بإنتاج النسيج" [3]، ومنه تطلق كلمة "*Textil*" على ما له علاقة بإنتاج النسيج بدءًا بمرحلة تحضير المواد وانتهاء بمرحلة النسيج النهائي وبيعه، وقد ترجمت كلمة "*Texte*" و"*Text*" إلى اللغة العربية بكلمة "نص" [4]، والأصل اللاتيني يحيل إلى "النسيج" وهذه المادة توحي بدلالات منها: دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد والقصد [5].

فإذا جمعنا بين المفهومين اللغويين (العربي والغربي) نجدهما لا ينأيان عن بعضهما كثيرا، فإذا أخذنا مصطلح "النص" في العربية ومصطلح "نسيج" في اللغات الأجنبية، وجعلناهما في مقابل المصطلح "*text*"؛ فإن (النص) في التراث العربي يتضمن المعنى الواضح الذي لا يحتاج توضيحا كنص القرآن، هذا من جهة، ولأن "نسيج" يتضمن أيضا في التراث العربي معنى التنظيم، والضم، والرصف، والتألف على طريقة مخصوصة [6]، فيتضح لنا قوة العلاقة بين المفهومين على نحو العموم، دون تدقيق في اللفظين، لأن المعاني العربية شديدة الدقة.

أما تعريف النص اصطلاحا فإنه: "وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية" [7]؛ فالنص وحدة كلية مترابطة الأجزاء من خلال تتابع أغلب الجمل على توافق نظام معين، وتشكل هذه الجمل مع ما تليها من الجمل بنية كبرى، وهو سلسة من المفردات التي تحكمها قيود الربط التي تربط بين جمل النص، فإذا نفت جملة من هذه الجمل يؤدي إلى غموض في المعنى القائم في النص؛ فالنص [8]:

1. بنية كلية متكاملة، تتفاعل أجزاؤه، وتتداخل، ولا يغني جزء منه عن جزء آخر.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 49، ص 4434، مادة "نصأ".

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج 49، ص 4441، مادة "نصص"، وينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م، ج 02، 275، مادة "نصص".

[3] عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م، ص 185.

[4] ينظر: عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2006 م، ص 17.

[5] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 م، ص 20.

[6] ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط 01، 1993 م، ص 06.

[7] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 02، 2009 م، ص 147.

[8] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العالي، بيروت، لبنان، ط 01، 1991 م، ص 13.

2. والنص الواحد تحكمه علاقات لغوية، ودلالية تعمل على تماسكه، وترابط أجزائه، وعلى من يتصدى لتفسير النص، ضرورة الاستعانة بهذه العلاقات بنوعيها اللغوي، والدلالي.
3. النص عبارة عن وحدة دلالية واحدة، ولا بد من الاعتماد على النص وحده في تفسيره دون اعتبار ما هو خارج النص، وهذا الأمر يعد نقطة خلاف بين ما يتبناه "دي بوجراند" "*Robert De Beaugrande*"، و"درسلر" "*Wolfgang Dresser*" في معاييرهما السبعة، وهما أفردا معيارين تختص بمحيط النص، هما "المقامية والتناص".

وللنص فعالية تمكنه من تحقيق هدفه إذا تمتع بخصائص تجعله نصا "فالفعالية هي ترك النص الانطباع قوي لدى المتلقي، وإحداثه شروطا مفضلة لبلوغ هدف ما" [1]، كما للنص جودة تعتمد على استعماله في الاتصال مع بذل أقل قدر ممكن من الجهد من المشاركين.

ويعد النص حدثا يقصد به شخص إلى توجيه المستقبل صوب بناء علاقات متنوعة "لا تقتصر على العلاقات القواعدية، وكذلك إلى التأثير في مواقف بشرية، وذلك خلافا للجملة التي لا تمثل حدثا، وإنما تستعمل لإبراز العلاقات القواعدية بمعزل عن الزمن" [2].

في مفهوم علم النص:

ما من شك في أن الحاجة إلى "علم النص" أصبح ملحا للتطور الذي حصل في الكثير من المفاهيم اللسانية، والنقدية، والأسلوبية الحديثة في التعامل مع الظاهرة الأدبية بشكل خاص في سياق تحليل الخطابات على اختلاف أشكالها، فانبثق علم النص لتجاوز الدراسة اللسانية الجزئية المبنية على وصف مستوى لساني محدود دون التطرق إلى علاقة التضام التي تربطه بسائر المستويات الأخرى، والفاحص لكثير من الدراسات النصية المعاصرة في الغرب يجد أن الكثير منها قد اهتم بتحليل النص عبر إبراز شروط الاتصال اللساني، وأوجه التأثير التي تحققها النصية في المتلقي، وكذا قواعد إنتاج النصوص، وفهمها وتأويلها بمراعاة التفاعل، والترابط بين الأبنية النسقية (النصية) من ناحية والدلالية من ناحية ثانية.

وعلى هذا الأساس اجتذبت النصوص علم النحو بناء على وجود تلك المذاهب باتجاهاتها النصية، حيث أحدث ذلك نقلة من لسانيات الجملة "*linguistique phrastique*" إلى لسانيات النص؛ هذا التيار العلمي الجديد الذي تخطى الحد الكلاسيكي الذي وضعه "بلومفيلد" "*Leonard Bloomfield*" للتحليل اللساني ليجعل من النص مادته الأساسية، ويقوم هذا العلم في تحليله للنصوص على قواعد تركيبية، ودلالية، ومنطقية لتقدم شكلا جديدا من أشكال تحليل بنية النص، وتصور معايير الاتساق، والترابط، والانسجام، والنصية، والمقامية.

---

[1] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 126.

[2] جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، بمراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1997 م، ص 10.

استطاعت اللسانيات الحديثة أن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار نحو الجملة الذي يعد الجملة الوحدة اللغوية الأكبر في التحليل، إلى نمط جدير من التحليل يسمى "نحو النص"، أو "علم لغة النص"، أو "علم النص" الذي يعد كله وحدة التحليل، ولم تتحد المصطلحات، بسبب الخضوع للذوق الترجمي؛ فالنص من المفاهيم الجديدة التي بدأت تستعمل في اللغة العربية، والذي ظن بعض الدارسين أنه مجموعة من الجمل، بل هو وحدة كلية كبرى متكاملة، ميزتها الأساسية تماسكها النحوي، وترابطها الدلالي قصد الإبانة، والإفادة، وقيل أنه استدراك لما فات الدراسات السابقة، لوقوفها في التحليل عند مستوى الجملة، فلا يعني هذا أن الجملة عفى عليها الزمن ولم يعد لها أهمية، وذلك لأن المنهج الجديد نفسه لا يغفل الجملة، بل ينظر إليها من خلال علاقاتها مع الجمل الأخرى المكونة للنص، وإن علم النص لا يزال في هذه المرحلة رهين لبعض قيود نحو الجملة؛ أي لسانيات الجملة؛ إذ ذهب أغلب مؤرخي نحو النص إلى صعوبة نسبة هذا العلم إلى عالم معين، أو حصره في بلد، أو مدرسة، أو اتجاه محدود [1].

وقد شهدت أواخر الستينيات، وبداية السبعينيات، تطورا ملحوظا في ميدان الدرس اللساني الحديث نتج عنه ميلاد فرع معرفي جديد باسم علم النص، وقد ظهرت ارهاصات هذا العلم على يد العالم "هاريس" "*Zellig Harris*" الذي يعد الأب الحقيقي لعلم اللغة التحويلي والتوليدي [2].

أما التوليدي فهو علم يرى في وسع أي لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي ترد بالفعل في اللغة، وأما التحويلي فهو العلم الذي يدرس العلاقات القائمة في مختلف عناصر الجملة؛ فنحو النص أقام بناءه على أنقاض نحو الجملة، في بداية النصف الثاني من القرن الماضي في كتاب "تحليل الخطاب" "لهاريس" الذي حث على ضرورة العلاقات النحوية بين الجمل.

ثم تطورت هذه الإرهاصات في السبعينيات من القرن نفسه على يد العالم الهولندي "فانديك" "*vandaik*" الذي دعا إلى أهمية أن يشمل الوصف النحوي لتلك العلاقات، وما يطرأ عليها من تغيرات في المستوى السطحي فقط فأثبتت قواعد هذا العلم، ورسخت مضامينه على يد العالم الأمريكي "روبرت دي بوجراند" " *robert de beaugrand*" في ثمانينيات القرن الماضي، ولاسيما بعد وضع سبعة معايير "السبك، الحبك، القصدية، تقبلية، الإعلامية، المقامية، التناص" والتي يجب أن تتوافر في النص مجتمعة ليكون نصا [3].

وأشار "زتسيسلاف وأورزنياك" في كتابه " مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص" في الباب الثاني منه، إلى وقائع التواصل، وأنواع النصوص، بادئًا بإيضاح بعض المفاهيم الأساسية، ولاسيما تقسيم "علم النص" على أقسام ثلاثة،

---

[1] عثمان أبو زنيد، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 01، 2010 م، ص 31.

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1998 م، ص 188.

[3] ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 103.

ومجال كل قسم، والوظائف التواصلية للنصوص ومشكلة تصنيف أنواع النصوص، فعادة ما يقسم علم النص بشكل صريح، أو ضمني على ثلاثة مجالات [1]:

1. علم النص النظري "نظرية النص": وهذا هو علم الموضوع العام للنص، علم بناء النص (تشكيل النص).
2. علم النص الوصفي "تحليل النص"، بوصفه علمًا عمليًا لتحليل النصوص وتصنيفها، ويعنى بقضية التصنيف، ما يسمى بعلم أنواع النصوص "تنميط النصوص".
3. علم النص التطبيقي، ويعنى باستعمال النصوص، واستيعابها، وتعليمها، وعدة مشكلات مشابهة.

وعليه يعد "علم النص" منهجا لسانيا يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما، واتساقا، وانسجاما؛ أي: أنه يبحث عن الآليات الشكلية، والدلالية التي تسهم في بناء النص، إضافة إلى أنه تجاوز البحث على مستوى الجملة إلى النص، أو الخطاب، بحجة أن التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية النص، فكان بذلك الانتقال إلى علم النص أمرا متوقعا، واتجاها أكثر تعالقا مع طبيعة الدراسة اللسانية الحديثة.

النصية:

تمثل "النصية" "*Textualité*"، أو "النصانية" قواعد صياغة النص، وقد استنبط "دي بوجراند" و"درسلر" معايير يجب توافرها في كل نص، وإذا كان أحد هذه المعايير غير متحقق في النص فإنه يعد غير اتصالي، وهذه المعايير "السبك، الحبك، القصد، القبول، الاعلام، المقامية، التناص" [2]، وتعتمد النصية على مجموعة من الوسائل التي تؤهلها الى أن تكون نصية، فعلاقات الاتساق القائمة في النص هي التي تكون النصية في النص، إذن النصية اكتمال النص جميع معالمه التي تؤهله إلى أن يكون نصا، إن كل ما يتوفر على خاصية كونه نصا يمكن أن يطلق عليه (النصية)، وهذا ما يميزه عما ليس نصا، ولكي تكون لأي نص نصية يجب أن يعتمد على مجموعة الوسائل اللغوية التي تنتج النص، بحيث تسهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة" [3]؛ إذن يجب التوافق بين النص من جهة، ووسائل المحافظة على معايير النصية من جهة أخرى، على وفق رؤية "دي بوجراند" ليكون ملائما [4].

من نحو الجملة إلى نحو النص:

لم يتفق اللغويون الغربيون وهم في هذا كنظرائهم العرب على تحديد مفهوم موحد للجملة، يقول"روبرت دي بوجراند": "قد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب، منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره، ومن المقلق أن هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض، وتباين صور التعريف حتى وقتنا

[1] زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003 م، ص 41، 42.

[2] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 142.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 13.

[4] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 138.

الحاضر، ومازالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف بصراحة بأنها تعريفات نهائية" [1]، وبعد أن عرض "دي بوجراند" عددا من تعريفات الجملة، عقّب قائلا:"إن اللمحات التضمنية الوظيفية لكل من هذه المعايير تختلف اختلافا تاما فيما بينها، وأن البحث العملي ليوضح أن الناس يختلفون في أحكامهم بالنسبة لما تتكون منه الجملة" [2]، ومع هذا الانقسام في تحديد مفهوم الجملة عند النحاة القدماء والمحدثين، فإن النحو لم يدع صغيرة ولا كبيرة في الجملة إلا وتناولها، وإن قضايا النحو كانت ولاتزال تدور حول دراسة الجملة لبيان مفهومها، وأنواعها، ووظائفها، ومكوناتها، وطرائق الربط بين هذه المكونات، وظلّ هذا النمط من الدراسة النحوية سائدا حتى العصر الحديث.

وشهد النصف الأول من القرن العشرين ظهور منهج جديد في البحث اللغوي هو المنهج البنيوي، ولا شك في أنه قدم انجازات كبيرة، تمثلت في دراسات شاملة ودقيقة لنظم مختلف اللغات، إلا أنه أغرق في الشكلية، وعد اللغة نظاما مغلقا، وتوقف بالبحث اللغوي عند حدود مستوى الجملة بوصفها أكبر وحدة يمكن أن يطالها التحليل النحوي [3].

وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر منهج جديد هو "المنهج التوليدي التحويلي" عندما خرج "تشومسكي" "*Noam Chomsky*" بكتابه "البنى التركيبية" عام 1957 م، وهو لم يتجاوز في دراسته مستوى الجملة أيضا، لأن غاية هذا المنهج هو محاولة تفسير "المهارة"، أو "الكفاية" التي يمتلكها المتكلم ويستطيع عن طريقها ، أن ينتج عددا غير متناه من الجمل التي لم يسبق له أن سمعها من قبل [4]، وهكذا ظلّ البحث اللغوي عاجزا عن أن يتخطى هذه الوحدة من الكلام، حتى جاء "علم النص" ليرصد العلائق المختلفة التي تضم الجمل بعضها إلى بعض، من روابط زمنية ومكانية، وتركيبية، وما يتصل منها بالمضمون خاصة، ولذلك نجد "علم لغة النص" أو "علم نحو النص" ينظر في سلسلة ما دون الجملة، والجملة إن صلحت لكي تكون نصا في الحدود الدنيا التي يتطلبها التواصل الإنساني ثم ما فوق الجملة [5]، وقد كان التفكير في الأدب يقوم على النظر إليه بوصفه جملا، يقول بعض الباحثين الغربيين:إن العمل الأدبي بلا خلاف مؤلف من جمل [6]، ويلحظ أن هذه النظرة التجزيئية للجملة من ناحية استقلالها عن النص، واستقلالها عن

---

[1] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص 88.

[2] نفسه، ص 88.

[3] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص 69.

[4] نفسه، ص 43، 44.

[5] ينظر: إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2010 م، ص 216، 217، وينظر: عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 01، 2007 م، ص 07، 09، 22.

[6] ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 2006 م، ص 09.

السياق من ناحية أخرى، تؤدي إلى قصور في إدراك الجانب الدلالي الذي يهدف منتج النص إيصاله، وإبلاغه إلى المتلقي عبر النص [1].

والحق أن تعبير "علم النص" أو "نحو النص" تعبير جديد أطلق على ميدان من البحث غايته القصوى فهم أوجه الترابط النحوي المتجاوزة للجملة الواحدة إلى سلسلة طويلة، أو قصيرة من الجمل تؤلف نصا محددا، فمن الطبيعي أن ترتبط هذه الجمل بروابط، توفر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي [2]؛ أي أنه نمط من التحليل يمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة، فيسعى لتوضيح علاقة الجملة بالأخرى في إطار وحدة أكبر، قد تكون فقرة أو عددا محدودا من الجمل، أو نصا يخضع لمعايير الخطاب، وهذا لا يعني أن "علم النص" قد تخلى نهائيا عن نحو الجملة، بل "إن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كلّ محاولات التمييز بينهما، إلا أن ذلك لا يعني الإخفاق في وضع تصورات واضحة عن مهام نحو النص، ويرى "فان دايك" أن نحو الجملة يشكل جزءا غير قليل من نحو النص" [3]، فعلم لغة النص هو تيار جديد جعل من النص مادته الأساسية اصطلح عليه في البداية بـ "نحو النص" وهو مصطلح يقابل "لسانيات النص".

وقد حصل نوع من الإجماع على ضرورة التغيير في دراسة النص وفق منهجية لا تغفل الجملة، ولكنها لا تعدها أكبر وحدة للتحليل اللساني، بل تنظر إليها من زاوية علاقتها ببقية الجمل الأخرى المكونة للنص، فضلا عن علاقتها بالسياق الذي أنتجت فيه [4]، فالنحو النصي لا يلغي نحو الجملة بل يفيد منه ثم يتجاوزه.

الأسلوبية النصية ومعايير النص:

يعد "علم النص" هو الخطوة الأخيرة التي خطاها علم اللغة في مساره العملي المنضبط، فبعد أن كانت النصوص بصورتها التامة، أو الكاملة بعيدة عن مرمى الدراسات اللغوية، أصبحت وبفضل "علم النص" –الذي صار في الفكر الغربي علما قائما بذاته– محط الاهتمام [5]، فعلم النص ينطلق من النص، وينظر إليه على أنه وحدة كبرى، ويبحث في كيفية ترابط أجزائه، وبم تترابط، أبالوسائل الشكلية، أم بروابط معنوية ؟، ثم ما سمات النصية ؟، وما مقومات النص التي تفرق بين النص واللانص ؟ [6].

وكما أسلفنا الذكر اللغوي الأمريكي "روبرت دي بوجراند" يعد من أوائل علماء لغة النص الذين حاولوا أن يحددوا معايير النصية، لتأتي شاملة لكل تعريفات النص على اختلافها، وقد ضمنها في كتابه "النص والخطاب والإجراء"

---

[1] ينظر: حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م، ص 13.

[2] ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 118.

[3] نفسه، ص 120.

[4] نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص 140.

[5] ينظر: عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م، مقدمة سليمان العطار.

[6] ينظر: ليندة قياس، لسانيات النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2009 م، ص 09.

"*Text, Discourse and Process*" الذي نشر في عام 1980 م [1]، ثم عاد "روبرت دي بوجراند" مرة أخرى ليقدم هذه المعايير التي يكون بها الكلام نصا، مع زميله "دريسلر" "*Wolfgang Dressler*" في كتابهما "مدخل إلى علم لغة النص" "*Introduction to text Linguistics*" الذي نشر عام 1981 م، ودرج الباحثون على نسبة تلك المعايير إليهما معا [2]، ومنهم "سعد مصلوح"، ولكن بعض الباحثين يرون أن تنسب هذه المعايير ل"دي بوجراند" فقط؛ لأن كتابه"النص والخطاب والإجراء" يسبق كتابه مع "دريسلر"، وهذا هو الحق [3]، أما المعايير السبعة فهي [4]:

1. السبك *Cohesion*
2. الحبك *Coherence*
3. القصدية *Intentionality*
4. التقبلية *Acceptability*
5. الإعلامية *Informativity*
6. المقامية *Situationality*
7. التناص *Intertextuality*

وصنف "روبرت دي بوجراند" هذه المعايير إلى معيارين تبدو لهما صلة وثيقة بالنص، وهما معيارا "السبك والحبك"، واثنان نفسيان ،وهما معيارا "المقامية والتناص"، وترك المعيارين المتصلين بمنتج النص ومتلقيه، وهما "القصدية" و"التقبلية" من دون أن يصنفهما، وترك أيضا "الاعلامية" لتقدير المنتج والمتلقي [5].

واستند "سعد مصلوح" فيما يبدو إلى التصنيف السابق، مع شيء من التحوير، فقد صنف المعايير السبعة إلى [6]:

1. ما يتصل بالنص في ذاته، وهما معيارا "السبك، والحبك".
2. ما يتصل بمستعملي النص، منتجا ومتلقيا، وهما معيارا "القصدية، والتقبلية".
3. ما يتصل بالسياق المحيط بالنص، وهي المعايير الثلاث المتبقية "الاعلامية، والمقامية، والتناص".

---

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 05 وما بعدها.

[2] ينظر: إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999 م، ص 21.

[3] ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 01، 2001 م، ص 75.

[4] إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج دريسلر، ص 11، 12، وينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 105/103.

[5] ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 106.

[6] ينظر: سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 01، 02، جويلية، 1991 م، ص 154.

وهذا التصنيف هو الأفضل لوجاهته، وموضوعيته؛ لأن معياري "السبك، والحبك" يمثلان صلب النص، فالأول منهما يختص بدراسة الروابط اللفظية في ظاهر النص؛ أي سطحه، والثاني يختص بدراسة الروابط المعنوية والدلالية في عالم النص، أي باطن النص، أما معيارا "القصدية والتقبلية"، فتتجلى فيهما العلاقة التواصلية بين منتج النص ومتلقيه، وترتبط المعايير الأخرى بالسياق الذي تولد فيه النص.

ولعل معيار "الإعلامية" يلحق بالمعيارين المتصلين بمنتج النص ومتلقيه، ذلك بأن "دي بوجراند"، قد ترك "الإعلامية" لتقدير منتج النص، ومتلقيه [1]، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يلحظ أن "الإعلامية" لا ترتبط بالسياق الخارجي، بالقدر الذي ترتبط به مع قصد المنتج، وقبول المتلقي؛ لأنها تتضمن معنى الإخبار عن رسالة يتضمنها النص، وكلما تضمن هذا الإخبار معنى "الجدة"، وهذا يحصل في النصوص الأدبية، زادت كفايتها الإعلامية، وهذا ما يجعلها أدخل في التصنيف الذي يختص بمستعملي النص، وتجب الإشارة هنا، إلى أن هذا التصنيف أو غيره إنما هو تصنيف منهجي اقتضته طبيعة التحليل النصي في الدراسات النصية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2010 م.
2. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 01، 2001 م.
3. الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط 01، 1993 م.
4. إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999 م.
5. جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، بمراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1997 م.
6. حسام أحمد فرج، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
7. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1998 م.
8. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998 م.

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص 106.

9. زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003 م.
10. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م.
11. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 01، 02، جويلية، 1991 م.
12. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م.
13. عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 01، 2007 م.
14. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2006 م.
15. عثمان أبو زنيد، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 01، 2010 م.
16. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
17. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مطبعة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
18. ليندة قياس، لسانيات النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2009 م.
19. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 م.
20. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 2006 م.
21. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العالي، بيروت، لبنان، ط 01، 1991 م.
22. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.
23. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 02، 2009 م.

المحاضرة العاشرة

علم الأسلوب واللسانيات.

توطئة:

يتقاطع "علم الأسلوب" مع غيره من الحقول المعرفية التي تتناول الخطاب الأدبي بالتحليل، كالبلاغة، والنقد، واللسانيات، والشعرية، ومع أن "علم الأسلوب" استفاد من هذه الحقول المعرفية وبخاصة اللسانيات، إلا أنه تبوأ مترلة المعرفة المختصة بذاتها أصولا ومنهجا، فـ "علم الأسلوب" نشأ في ظل تطور الدراسات اللسانية الحديثة، فارتبطت ارتباط الجزء بالكل، والأصل بالفرع، ولعل أهم ما يؤكد هذه الصلة الوثقى بينهما هو أن "أهم مستند أصولي يستند إليه في تحديد حقل الأسلوبية يرتكز على ثنائية متكاملة هي من مواضعات التفكير الألسني" [1]، هذه الثنائية هي اللغة والكلام، حيث اتجهت الأسلوبية إلى دراسة الحيز العملي "المحسوس المسمى عبارة، أو خطابا، أو نصا، أو رسالة أو طاقة بالفعل" [2]، إضافة إلى هذا كانت اللسانيات معينا خصبا للأسلوبية في تحديد ماهية الأسلوب، إذ أمدتها بقواعد عامة، وممارسات تجريبية منها الكفاءة، والأداء، الانزياحات الأسلوبية، الدال والمدلول، السنكرونية والدياكرونية في التأطير للنص، والبنية العميقة والبنية السطحية" [3].

ويحتفظ "ستيفن أولمان" "*Stephen Ullmann*" بلون آخر من العلاقة بينهما يعتمد على التوازي لا التداخل، فيقول: "إن على علم الأسلوب أن يتخذ منظورا متميزا ومبادئ مختلفة عن فروع علم اللغة مما يجعل من الصواب اعتباره أخا لها لا جزءا منها" [4]، فلا يعنى بالعناصر اللسانية كما تفعل اللسانيات، وإنما يعنى بالقوة التعبيرية التعبيرية للعناصر اللسانية والمتمثلة في التأثير والإيحاء، من هنا يمكن القول إن حدود الأسلوبية بالنسبة للدراسة اللسانية تكمن في أنها تعتمد المنهج اللساني بوصفه العمود الفقري لدراسة الخطاب دراسة موضوعية.

ما بين اللّسانيات وعلم الأسلوب:

لعل اللّسانيات تتفرد معرفيا ببعض الحقائق التي كانت شائعة التداول، ومن أجلى تلك الحقائق؛ أنّ الإنسان يبحث في اللّغة بواسطتها؛ فالأدب مادته اللّغة، ونقده باللّغة، ولقد كان لهذا التخريج فضل في تعبيد طرق التواصل بين أطراف يجمعهم الانتماء إلى عالم الأدب، والانخراط في حرفة النقد، ويفرق بينهم وقوفهم في مواقع متباينة داخل هذه الحقول، فكان لهذه الموازنة التمثيلية فعل رشيق؛ لأنها كثيرا ما كانت تعين النقاد المحدثين على استدراج إخوانهم إلى التسليم بأنّ اللّغة في قضية الأدب "المرصد الجوهري"، وبأنّ هذا الدوران من اللّغة كمادة في النص الإبداعي، وإلى اللّغة كمادة في الخطاب النقدي، هو الذي يكسب علمهم خصوصية وعندئذ يسهل استجلابهم إلى حضيرة الاهتمام ببنية اللّغة، ومرافقتهم إلى قلعة العلم الذي يدور أمره على كشف أسرار اللّغة [5].

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 34.

[2] نفسه، ص 35.

[3] ينظر: رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص 45.

[4] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، 159.

[5] عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003 م، ص 12، 13.

فمن حقائق المعرفة أنّ اللّغة ترتبط باللسانيات ارتباط الناشئ بعلة نشوئه؛ إذ تفاعل علم اللسان مع مناهج النقد الأدبي الحديث، حتى أخصبه فأرسى معه قواعد "علم الأسلوب"، وهذا الأخير من ضروب الصنف الثاني من العلوم، والتي اكتشفت منهجا مستحدَّثا يتناول به مادةً لم يسبق أن تناولها بذلك المنهج، وهو في ذلك صنو لعلم اللسان، وعلى هذا فلن ينجو "علم الأسلوب" من طفرة الرائجات، وشكلية البدائل، بل لن يستقيم أمرها بين الحداثات إلا إذا انتبه أعلامها إلى حقائق التصنيف المعرفي، ومقوماته في المادة والمنهج، فلم تلتبس حدودها بحدود ما يتاخمها من: بلاغة، وبنوية، وعلم اللسان [1].

ولعل هذا المنهج لم يبدأ من فراغ، ولا يقطع مع غيره إنما يتصل بها اتصالاً نوعيا، ويوظف ما قبله توظيفا خاصا، وهو في هذا وذاك يبدأ أساسا من "اللسانيات الحديثة"، وعلى رأسها "البنيوية" "*Structuralisme*"، والتي أرسى معالمها "دي سوسير" "*Ferdinand De Saussure*"، وهناك مجموعة من الأسس، أو المصادرات التي تمتلك وثوقيتها من علم اللّغة، استنادا إلى توزيع التحليل الأدبي إلى مستويات الدرس اللّغوي؛ فالفونولوجيا (الإيقاع، والمورفولوجيا (التشكيل اللّغوي، والنحو أو التركيب (البناء النصي، والسيميولوجيا، على أن توازي مستويات الدرس في اللّغة، وفي النقد لا يعني تماهيها، فإنه يظل للهدف المختلف في كلّ منها دوره في تميز هذا من ذاك [2].

فكان الظن بعلم الأسلوب أنه علم لن يلبث حتى يحظى بالاستقلالية، وينفصل كليا عن الدراسات اللسانية ذلك أن هذه تعنى أساسا بالجملة والأسلوبية تعنى بالإنتاج الكلي للكلام، وأنّ اللسانيات تعنى بالتنظير إلى اللّغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، وأن "علم الأسلوب" يتجه إلى المحدث فعلاً، كما أنّ اللسانيات تعنى باللّغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها، وأن "علم الأسلوب" يعنى باللّغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر، هذا إلى جملة فروق أخرى.

لكن اللسانيات ما لبثت أن تطورت تطورا سريعا، فانتقلت من دراسة الجملة كمنجز بالإمكان، إلى دراسة العبارة كمنجز بالفعل، كما انتقلت من دائرة التركيب في النحو إلى دائرة التركيب في بناء النص، واتسعت ميادينها، فغطت ما كان يعتبر من خصوصيات غيرها، ولامست العلوم الاجتماعية، والفلسفة، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا، والأدب وغيرها من العلوم [3].

وإذا أريد للوصف اللساني للأسلوب أن يكون فعالاً، ينبغي أن يراعي بأن الأدب وإن كان يقوم على أساس المكونات اللّغوية، فله خصوصية تميزه من الوقائع اللسانية الأخرى، ولذلك فأي تحليل لساني خالص لا يمكن أن ينتهي إلاّ إلى إبراز الجوانب اللسانية وحدها، فإذا كانت نشأة دراسة الأسلوب من اللسانيات في الغالب، ومن منطلقات أخرى أحيانا، فإنه بلا ريب أن "علم الأسلوب" هو دراسة للغة، وأن موضع النقاش الوحيد هو كيفية دراسة اللّغة الأدبية.

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 05/ 07.

[2] ينظر: محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحدثة، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 02، 2002 م، ص 07.

[3] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990 م، ص 11.

وعلاقة اللسانيات بهذه الدراسة–الأدبية– ليست أمرا يسيرا، بالرغم من وجود منطقة مشتركة بينهما وبهذا يكون "علم الأسلوب" المنطقة الفاصلة بينهما [1]، – ذلك أنّ علوم اللّغة اهتمت بما يقال، في حين انصبت بحوث "علم الأسلوب" على كيفية ما يقال– فمن الركائز الأساسية لتحديد ما يتصل بعلم الأسلوب، محاولة حصر المجال الحيوي الذي يدور فيه "علم الأسلوب"، وأهم مبدأ أصولي تستند إليه في تحديد حقله يقوم أساسا على ركيزتين متكاملتين من ركائز التفكير اللّغوي: "ظاهرة اللّغة"، و"ظاهرة الكلام" فقد كان "سوسير" أول من أحكم استغلال هاتين الظاهرتين في دراسته، ثم جاء بعده اللّغويون فحللوهما، وحددوهما بمصطلحات تتلون إلى حد كبير باتجاهاتهم الفكرية.

وقد كان هذا التمييز بين اللّغة كظاهرة لغوية مجردة توجد ضمنا في كل خطاب بشري، ولا توجد أبدا هيكلاً ماديا ملموسا، والكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة مساعدا على تحديد "علم الأسلوب"؛ إذ إنه لا يمكن أن تتصل إلاّ بالكلام، وهو الجسر المادي الملموس الذي يأخذ أشكالاً مختلفة [2].

إنّ هذا التقابل بين اللفظ و اللّغة و الموازي و المتضمن بوجه من الوجوه لذلك التمييز بين السياق و الجدول، والذي نشرته ألسنية "سوسير" يظهر في دروسه تحت تسمية "*Syntagme*"؛ "أي سياق"، إلاّ أنه لم يستعمل "*Paradigme*"؛ "أي جدول"، وقد استعمل بدلاً منهما بنفس المعنى مفهوم الترابط الذهني [3]، وعلى هذا فقد ارتبط الأسلوب ارتباطًا وثيقًا بالدراسات اللّغوية؛ فإذا كانت هذه الأخيرة تركز على "اللّغة" فإنّ الأول –الأسلوب– يركز على طريقة استخدامها وأدائها، لأن المتكلم (الكاتب يستخدم اللّغة استخداما يقوم على الانتقاء والاختيار، وعلى هذا الأساس فإنه يضاف إلى ثنائية "سوسير" "الدال والمدلول" [4]، ثنائية أخرى باعتبار الإشارة اللّغوية في نظر "سوسير" تقوم بدورها في التواصل كونها توجد ضمن مجموعة إشارات ترتبط فيما بينها بواسطة علاقات محددة، تتوزع على محورين أساسيين هما:

1. **المحور النظمي**: الذي تنتظم عليه الوحدات اللّغوية لتؤلف سلسلة معينة من الكلام في مقاطع، كلمات، وجمل.
2. **المحور الاستبدالي**: الذي تنظم عليه العلاقات بين كل إشارة من مجموع الإشارات الموجودة في المرسلة الكلامية، والأخرى التي تنتمي إلى اللّغة نفسها، وهي علاقات تربط في ذهن المتكلم والسامع بين الإشارات التي تنتمي إلى نمط واحد، وتقوم بوظيفة لغوية مشتركة، وبالتالي فهي تستطيع أن تحل إحداهما محل الأخرى في سياق السلسلة الكلامية نفسها دون أن يطرأ خلل على نظامها النحوي.

---

[1] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2005 م، ج 01، ص 17.

[2] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م، ص 204.

[3] دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985 م، ص 306، 361.

[4] موسى ربابعية، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002 م، ص 09.

وبناء على علاقات التمايز والمفارقة على المحور النظمي، وعلاقات التنافر والتضاد على المحور الاستبدالي فإنّ اللسانيين على هذا التمييز يحددون "الخطاب الأدبي" بكونه يتميز بإسقاط مبدأ المساواة الموجود في محور الاستبدال "الذي تقوم عليه عملية الانتقاء"، وعلى محور النظم "الذي تتم فيه عملية التنسيق" [1]، فالربط بين الدرس الأسلوبي واللساني من القضايا المسلم بها، نظرا لما توصل إليه الدرس اللساني من خطوط واضحة، وأسس ثابتة، رغبةً في الإفادة منها، ولهذا جاء السؤال عن الأسلوب، وعن حقيقته وطبيعته، وإمكانياته باعتباره ظاهرة دراسية يمكن تخصيصها بمباحث مستقلة [2].

ومثلما أسلفنا أن علاقة "علم الأسلوب" بعلم اللغة هي علاقة منشأ ومنبت، ويرى بعض الباحثين أن "علم الأسلوب" يتحدد بكونه أحد فروع علم اللغة، إلاّ أنّه يعتمد على وجهة نظر خاصة تميزه عن سائر فروع الدراسات اللغوية، فالأقرب إلى المنطق اعتباره علماً مساوقاً لعلم اللغة لا يعني بعناصر اللغة من حيث هي؛ بل بإمكانياته التعبيرية، وعلى هذا الأساس يكون "العلم الأسلوب" الأقسام نفسها التي "العلم اللغة" [3]، ويرى "برند شبلنر" أن "علم الأسلوب" فرع من فروع علم اللغة النظري، حيث يحتل مكانه بجانب النظرية النحوية فالذي تناظر النظرية الأسلوبية في داخل علم اللغة التطبيقي إنما هو البحث الأسلوبي، ويستنبط هذا المجال العلمي من أجناس النظرية الأسلوبية مناهج بحث النصوص الأدبية نجد أن دراسة الأسلوب لغوياً يكتمل من خلال أجناس في مجال فرعي مناسب للدراسة الأدبية كعلمي الاجتماع، والتاريخ [4] .

وأدى الارتباط التاريخي بين "علم الأسلوب" و"علم اللغة" ببعض مؤرخي النقد إلى أن يقعوا في الخلط فصاروا يعدون أي تناول للأدب يظهر اهتماما واضحاً بمظاهر لغوية كـ "الخيال، البنية الصوتية، النحو" من الدراسة الأسلوبية، لكن الأمور لم تبقى على مثل هذا الخلط فسرعان ما انبرى الدارسون للتفرقة بين مجالي العلمين وتوجيهاتها، فقيل مثلاً: إن علم اللغة هو الذي يدرس ما يقال، في حين أن "علم الأسلوب" هو الذي يدرس كيفية ما يقال، مستخدما الوصف والتحليل في آن واحد [5]، وقيل أيضاً أن اللغة تقتصر على تأمين المادة التي يعتمد إليها المتكلم أو الكاتب ليصفح بها عن فكرته، أما "علم الأسلوب" يرشدنا إلى اختيار ما يجب أخذه من هذه المادة للتوصل إلى نوع معين من التأثير في السامع، أو القارئ، شريطة احترام ما اتفق عليه العلماء من مدلولات لفظية، وقواعد صرفية، ونحوية، وبيانية [6]، إن الأسلوب هو

---

[1] ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م، ص 10/08.

[2] فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ط 01، 2003 م، ص 12.

[3] ستيفن أولمان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، مقال مترجم من كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي لشكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م، ص 96

[4] ينظر: برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م، ص138 وما بعدها.

[5] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 186.

[6] جبور عبد النور، المعجم العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 02، 1984 م، ص20، 21.

ولد من رحم علم اللغة الحديث، فهو مدخل لغوي لفهم النّص، ولعلنا في هذا المقام سنعرض أهم الجهود اللسانية في "علم اللغة الحديث" والتي شكلت الأرضية لبروز "علم الأسلوب" وإفادته من تلك الجهود، وكيف استثمر "علم الأسلوب" مخرجات الجهود اللسانية في دراسته.

بدأ تاريخ علم اللغة الحديث عند "دي سوسير"، وموضوعه كما لخّصه بقوله: "إنّ موضوع علم اللسان الحق الوحيد، إنمّا هو اللسان" [1]، ويعد "دي سوسير" مؤسس "مدرسة جنيف" مؤسساً للسانيات الحديثة، وقد آثار عدداً من القضايا التي كانت لها أثر كبير على مدارس اللسانيات فيما بعد، ومن هذه القضايا:

أولاً: اللغة نظام منسوق، وهي نظام من العلاقات يرتبط بعضها ببعض على نحو تكون فيه كل علاقة مشروطة على جهة التبادل بقيم العلاقات الأخرى.

ثانياً: العلاقة اللغوية ذات طبيعة مركبة، وهي مكونة من اتحاد الدال "الشكل الصوتي الذي يشار به إلى المعنى"، والمدلول "المعنى، أو المفهوم نفسه".

ثالثاً: إنّ البعدين الأساسين للدراسة اللغوية هما:

1. **البعد الأول**: هو الدراسة التزامنية أو الآنية التي تعالج فيها اللغات بوصفها أنظمة اتصال تامة في ذاتها في لحظة معينة من الزمان، وتتجلى في هذه الحالة في هيئة نظام منسوق يعيش في الوعي اللغوي لمجتمع ما.
2. **البعد الثاني**: هو الدراسة التعاقبية أو التاريخية التي تعالج فيها تاريخاً عوامل التغيير التي تخضع لها اللغات في مسيرة الزمن فهي تعني بالظواهر اللغوية غير المختزنة في الوعي اللساني لهؤلاء المتكلمين أنفسهم.

رابعاً: تقوم الإشارة اللغوية بدورها في التواصل لأنها توجد في إطار مجموعة من الإشارات يرتبط بعضها ببعض آخر بواسطة علامات محددة تتوزع على محورين أساسين هما:

1. **المحور النظمي "الأفقي"**: الذي تنظم عليه الوحدات اللغوية لتؤلف سلسلة معينة من الكلام في مقاطع، وكلمات، وجمل.
2. **المحور الاستبدالي "الرأسي"** الذي تنظم عليه العلاقات بين كل إشارة من الإشارات الموجودة في المرحلة الكلامية، والإشارات الأخرى التي تنتمي إلى اللغة نفسها، وهي علاقات تربط في زمن المتكلم والسامع بين الإشارات التي تنتمي نمط واحد، وتقوم بوظيفة لغوية مشتركة، ومن ثم يمكن أن يحل بعضها محل بعضها الآخر في السياق السلسلة الكلامية نفسه، دون أن يطرأ خلل على النظام، مثال ذلك: "يدرس الطالب الدرس" فالإشارات "طالب" و"درس" مثلاً يرتبطان ضمن علاقة نظمية تتميز كل واحدة منها عن الأخرى في السياق الذي تقعان فيه، وهذا التمايز ذو طبيعة صوتية، ونحوية وكذلك ترتبط كلمة "يدرس" مثلاً في هذه الجملة بعلاقات استبدالية بكلمات أخرى مثل: يكتب، يحفظ، ينسى...، والعلاقات بين الإشارة اللغوية الواحدة

[1] دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 295.

والإشارة اللغوية الأخرى علاقات تمايز ومفارقة على المحور النظمي، وعلاقات تنافر وتضاد على المحور الاستبدالي.

خامساً: اللغة: هي ملكة التخاطب التي يملها كل البشر طبقاً لقوانين الوراثة، وهي ظاهرة إنسانية عامة، وهي توجد وجوداً كاملاً في عقل المجموعات اللغوية، أمّا "الكلام" فهو ما نسمعه في الحياة اللسانية من عبارات ينظمها الأفراد، لها وجود مادي، أمَّا "اللسان" فهو نظام اجتماعي تتميز به جماعة لغوية محددة، وهو ما يدور على لسان أصحاب كل لغة، ويستخدم في التفاهم بينهم [1].

إن وجود اللغة لا يحقق إلا بفضل نوع من التعاقد بين أعضاء المجموعة الواحدة، وعليه تتحدد اللغة بكونها ظاهرة اجتماعية تنشئها الإسهامات التي تقدمها الجماعة للغة، فهي ليست سوى جزء جوهري، ومحدد من اللسان، وهي في وقت واحد نتاج اجتماعي لملكة اللسان، وتواضعات ملحة، ولازمة يتبناها الجسم الإنساني لتسهيل ممارسة هذه الملكة لدى الأفراد، وتحدد الإشارة إلى أنَّ "سوسير" قد جعل اللغة كياناً مادياً موضوعياً، وجعل جزئه الواقعي قيماً على جزئه الذهني بجعل الكلام وسيلة فهم اللسان، ولهذا اعتنى عناية فائقة بالكلام "جسد اللغة/ الواقع" أكثر من عناية باللسان "روح اللغة/ الذهني" لأنه أراد أن يوجد اللغة وجوداً في الخارج يمكن أن يتلمسه كما يصفه فاللغة بكونها فكرة في الذهن، أو صورة متخيلة لن يستطيع المنهج العلمي التجريبي، والمنهج الوضعي من بعد أن يتعامل معها، لذلك جعل اللغة ثنائية من اللسان (الذهن)، والكلام الواقع، وركز دراسته في الجزء الواقعي.

أشار "سوسير" إلى الدراسات التاريخية المقارنة، وجعل اهتمامه على اللغة من خلال المنهج الوصفي، وقدّم مجموعة من المفاهيم الجديدة لعلم اللغة، وهذه المفاهيم استغلها اللغويون فيما بعد، واستفادوا منها في "علم الأسلوب" [2]، لقد استفاد "علم الأسلوب" من مفهومي السنكرونية (الآنية) والدياكرونية (التعاقبية) استفادة كبيرة [3]، إن المدلول عن "سوسير" هو المفهوم أو المدرك الذهني، وليس الدال إلا ناقلاً له؛ فالدوال لا تنقل المفاهيم فحسب، وإنما هي ذات وظيفة معقدة؛ إذ يدخل في نطاق تداعي المعاني، والشاحنات العاطفية، والانسجام المتزامن، ولا يمكن أن نعد المدلول هو المفهوم فحسب لأننا لا نستطيع في حقيقة الأمر أن نعزله عما يلتحم به في السياق، وعلى سبيل المثال، فعندما تنادي أم طفلاً باسمه، فقد تناديه حباً، وحناناً، أو ذعراً، أو غضباً، فما المدلول الأساسي في هذه الحالة ؟.

---

[1] نفسه، ص 295.

[2] نفسه، ص 14، 85، 117، 156، وينظر: روبنز، موجز تاريخ على اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد 227، نوفمبر، 1997 م، ص 222 وما بعدها، وينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 م، مقدمة المترجم، ص 08، 09.

[3] ينظر: شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009 م، ص120، ص124 – 125، وينظر: مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، العدد 04/03، أفريل، 1994 م، ص 154 – 155.

ويعتبر كثيرون على أن الوظيفة الأساسية "لعلم لأسلوب" هي سير العلاقة بين مجموع الدال ومجموع المدلول، عن طريق بحث العلاقة بين جميع العناصر الجزئية، ومن ثم يتم الوصول إلى العلاقة الكاملة لدمج كل تلك العلاقات الجزئية، وهذه العناصر الجزئية المنفصلة كثيرة جداً إلى الحد الذي يتعزى معه دراستها دراسة كاملة، ولا مناص حينئذ من الاختيار، وعندها يجب أن يكون الاختيار للعناصر التي تكون أوثق بالموضوع صلة، وأوضح دلالة.

لقد ميز "تشومسكي" "*Noam Chomsky*" بين صنفين من الجمل، الجمل المقبولة، والجمل غير المقبولة هذا من جهة براغماتية، أما من الوجهة النحوية قد ميّز بين الجمل القواعدية، والجمل اللاقواعدية، ويرتبط هذان المفهومان (القابلية والقواعدية) بمفهوم الغموض التركيبي والدلالي، في الوقت نفسه فإن محيل إلى موضوع التعقيد في الجمل الذي يمثل حقلاً مشتركاً بين "علم اللغة التوليدي" و"علم الأسلوب"، التي يعد فيها هذا المصطلح (التعقيد) أحد المفردات التقليدية، من جهة أخرى يمكننا مباشرة أن نربط المصطلحين: القابلية والقواعدية بالمصطلحات الأسلوبية التقليدية في معالجة الأسلوب – موضوع الدرس – ويمكن أن تكون بعض الأمثلة الدالة على الجمل غير المقبولة، أمثلة توضيحية في كتاب تمهيدي في الأسلوب حول كيفية تركيب هذا النوع من الجمل [1].

وخلاصة الأمر أن "علم الأسلوب" قد وجد ضالته في النظرية التحويلية، وما أفرزته من مقومات، واصطلاحات لغوية فوظفت هذه الاصطلاحات والمفاهيم في توضيح الدراسة الأسلوبية، وجعل عملها أكثر دقة ووضوحاً من الناحية المنهجية والمضمونية، وهو ما دفع الألماني "ستيفن أولمان" عام 1969 م –أي في ذروة تقدم النظرية التحويلية– إلى تأكيد أنَّ النظرية الأسلوبية قد استقرت علماً لسانياً نقدياً فيقول: "إنَّ "علم الأسلوب" اليوم هو من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعترى غائيات هذا العلم الوليد، ومناهجه، ومصطلحاته، ومن تردد ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي، واللسانيات معاً" [2] ، ومن الجدير بالذكر أن المنهج الواحد في اللسانيات يتطور ويتغير حتى لا يعود يحمل من معالمه الأولى شيئاً في بعض الأحيان، وأكبر مثال على هذا "تشومسكي" ومدرسته، إنَّ هذا الملحظ يعني الأسلوبي كثيراً فعليه أولاً أن يحدد موقفه من النص، وطبيعة المنهج اللساني الذي يمكن أن يفيد في دراسته ليجلي النص موضوع الدرس، ويكشف عن مداخله، ومخارجه، ويفضي إلى تحديد المعالم التي تميز الخطاب العادي من الخطاب الأدبي، فالدارس الأسلوبي لا يمكن أن يخضع نفسه لكل هذا الخليط من المناهج اللسانية، فضلاً عن استحالة الإلمام بكل هذه المناهج [3].

الدارس الأسلوبي والدارس اللساني:

لكل من الدارس اللساني والأسلوبي حد، وهدف لا يجاوزه، فاللساني يطمح إلى وصف اللغة وصفاً صادقاً بالدرجة الأولى، ثم عقلنة هذا الوصف، والخروج بقواعد تفسر هذا النوع من النشاط الإنساني، واهتمامه باللغة الأدبية لا يتعدى اهتمامه باللغة بشكل كامل وعام، وهو بهذا لا تعنيه التعبيرات الأدبية ولهذا يسمي الكلام العادي إبداعاً.

---

[1] نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، العراق، ص27.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط 01، 1992 م، ص 14.

[3] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 34.

أما الدارس الأسلوبي فغايته مختلفة تماماً إنها تبدأ من حيث ينتهي اللساني فهدفه تحديد لغة الخطاب العادي لإظهار اللغة الأدبية، فهو ينكب على النص ليجلي مكوناته، وصوره، ويضعه في مكانته التي يستحقها من حيث هو تعبير عن النفس الإنسانية، والنص في يد الدارس الأسلوبي مرآة يعمل على تحديد مدى نصاعتها، وتصويرها للنفس البشرية بكل منازعها [1].

إن الأسلوب الأصيل غير مسبوق، ولا ملحوق، ومن هنا يبدأ العبء على كاهل الدارس الأسلوبي، فالنظام الأسلوبي يوصف بأنه غير معياري بل هو محاولة للإفلات من صرامة القاعدة وحدة القوانين اللغوية، والنظام الأسلوبي يقوم على حقيقة جوهرية مهمة وهي "الانزياح" ومن هذه الحقيقة يستمد دراسته، هذا الانزياح الذي لا يعني عالم اللغة كثيراً، ومن الجدير بالذكر أن هذا الانزياح أوسع مما كان مطلق عليه قديماً: الشذوذ النحوي، إنه الإدراك للنظام الجديد للغة النص، والتفرد الذي يحدد مسار النص بعيداً عن الأعراف اللغوية، أو الافتراضية التي يتكلم بها الشخص، أو مجموعة أشخاص كلاماً عادياً، وهو نسبي أيضاً وقابل لأن يتحول انزياحاً ميتاً، وقد يعمد الدارس الأسلوبي إلى استخدام مناهج بعيدة في ظاهرها عن الأدب، والإبداع بل هي أقرب إلى العلوم البحتة كالمنهج الإحصائي [2].

التحليل الأسلوبي والتحليل اللغوي:

يجد الدارس الأسلوبي أن الأسلوبيين أو المنظرين للأسلوبية يتحدثون في مستويات التحليل الأسلوبي، وإذا امعنت النظر في هذه المستويات هي ذات مستويات التحليل اللغوي، وهي تحليل الأصوات، وتحليل التراكيب، وتحليل الألفاظ، وهذه المستويات ذاتها هي التي يتحدث فيها الأسلوبي عندما يحلل، فما الفرق بين العملين وكيف يتم التمييز بينهما [3] ؟.

الواقع أن أغلب الباحثين لا يفرقون بينهما، والذي يحاول التفريق يصل إلى الإغماض والتعمية، والراجح ان التفريق بينهما لا يمكن بحال أن يتم لباحث مهما علت مرتبته، إلا أن ينظر إلى الغاية، أو الهدف من كلا العلمين، فالذي نظر إلى النص على أنه نص لغوي المراد منه معرفة أساليب الكاتب للخروج بقواعد لغوية علمية قابلة للتعميم فهو باحث لغوي، والذي نظر للنص على أنه نص لغوي المراد منه معرفة أساليب الكاتب، وتمايزه عن غيره من الكتاب، وتحديد طريقته الخاصة في المنهج، والمعالجة من خلال التحليل الصوتي، أو الصرفي، أو النحوي، أو الدلالي، فهو محلل أسلوبي، وهنا نسمي الأول عالماً لغوياً باحثاً، محللاً أو اختصار نسميه "لغوياً"، ونسمي الآخر عالماً أسلوبياً باحثاً، محللاً أو نسميه اختصارا "أسلوبياً".

وهنا لابد من الإشارة إلى قضية مهمة وهي أن الأسلوبية تتشابك مع العلوم اللغوية فالدارس الأسلوبي يرتبط بالعلوم اللغوية، تلك العلوم التي نشأت نتيجة تقدم اللسانيات نحو دك أسوار العلوم الإنسانية والطبيعية، وجعلها حقولاً

---

[1] مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م، ص 21.

[2] ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 268.

[3] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 1996 م، ص24 / 27.

معرفية لعلم اللغة الذي يسعى في النهاية لتقديم فهم أفضل للغة الإنسانية، وتأكيداً على ذلك يمكن مناقشة الموضوعات الآتية:

- الأسلوبية وعلم اللغة.
- الأسلوبية وعلم اللغة النفسي.
- الأسلوبية وعلم اللغة الجغرافي.
- الأسلوبية وعلم الأصوات النظمي [1].

ويضاف إلى ذلك الإشارة إلى استخدام الباحثين المناهج اللغوية في التحليل الإحصائي الأسلوبي ومنها:

- المنهج السياقي
- اختبار الاستبعاد
- استرجاع الإمكانات المتاحة في نظام اللغة
- المنهج الإحصائي...إلخ

مستويات التحليل الأسلوبي:

يمكن القول إن "علم الأسلوب" قد أقام تحليلاته على المستويات الآتية:

أ- **المستوى الصوتي**: يرتكز التحليلي الصوتي للأسلوب على:

1. الوقف
2. الوزن
3. النبر والمقطع
4. التنغيم والقافية

ب- **المستوى التركيبي**: وفي هذا المستوى يمكن دراسة الجملة، والفقرة، والنص، ويرتكز على:

1. طول الجملة وقصرها
2. المبتدأ والخبر
3. الفعل والفاعل
4. العلاقة بين الصفة والموصوف
5. الإضافة
6. الصلة
7. التقديم والتأخير
8. العدد
9. الروابط
10. التذكير والتأنيث
11. الزمن
12. الصيغ الفعلية
13. البنية العمقية والسطحية
14. البناء للمعلوم والبناء للمجهول

وبناء على ما سبق

"علم الأسلوب" استفاد من "علم اللسانيات" استفادة كبيرة، هذا العلم الذي أرسى دعائمه العالم "دي سوسير"، والذي أسس "علم اللغة الحديث" حيث يعزى إليه التفريق بين "اللغة والكلام" من خلال معادلته الشهيرة

[1] تودوروف، في أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المريني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1987 م، ص 28 وما بعدها.

"اللسان هو اللغة ناقص الكلام" [1]، حيث أوضح أن اللسان "نتاج اجتماعي لملكة اللغة، فهو مجموعة من الأعراف الضرورية التي يستخدمها المجتمع لمزاولة هذه الملكة عند الأفراد" [2]، لكن الفضل الأكبر ناله تلميذه "شارل بالي" "*Charles Bally*" أحد أعمدة الأسلوبية، آخذا بالمفاهيم اللغوية اللسانية، ومحاولا إتباع نهج جديد ينحرف به عن مسار أستاذه.

لقد أسهمت اللسانيات الوصفية الحديثة التي جاء بها "دي سوسير" في تعميق الدرس الأسلوبي للأدب، ودفعت به إلى التخفف من المعيارية، أو إلغائها تماما وصولا إلى اكتساب صفة العلم، "فإذا كانت لسانيات "دي سوسير" قد أنجبت أسلوبية "بالي"، فإن هذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معاً "شعرية" جاكبسون "*Roman Jakobson*"، و"إنشائية" تودوروف "*Tzvetan Todorov*"، و"أسلوبية" ريفاتير "*Michel Riffaterre*"، ولئن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني من المعارف، فإن الأسلوبية معها قد تبوأت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهج" [3].

فكل من اللسانيات والأسلوبية منطلق لساني محض حتى قيل: "إن علم الأسلوب هو جسر اللسانيات"، وهذا ما يؤكده "ميشال أريفي" "*Arrivé Michel*" بقوله: "علم الأسلوب وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات" [4]، وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم علم الأسلوب؛ يقول "الهادي الجطلاوي": " علم الأسلوب موضوعه النظر في الإنتاج الأدبي، وهو حدث لغوي لساني" [5]، أما عن الفرق بينهما يكمن في اهتمام الدارس اللساني بنحو الجملة، ففي حين يهتم الدارس الأسلوبي بنحو النص؛ فعلم الأسلوب أخذ من اللسانيات الصفة العلمية الوصفية في الدراسة اللغوية، غير أنه درس الخطاب ككل، وما يتركه هذا الخطاب من أثر في نفس المتلقي، في حين نجد أن اللسانيات قد اتجهت إلى دراسة الجملة بالتنظير، واستنباط القواعد التي تستقيم بها، والقوانين التي من خلالها تكتسب طابع العلمية، كما زودت اللسانيات المنهج الأسلوبي بطابع العلمية الوصفية في دراسة النصوص من خلال لغتها، وبذلك جعلت منه منهجاً علمياً وصفياً ينأى عن الدراسة المعيارية الحكمية، التي وقعت فيها البلاغة القديمة مما ولد عقمها وجمودها.

وعلم الأسلوب بوصفه منهجا نقديا يصنفه "جون دوبوا" "*Jean Dubois*" على أنه: "فرع من فروع علم اللسان"، وهذا ما يؤكده "ميشال أريفي" كما أسلفنا بأنّ علم الأسلوب وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات، وهو إثبات لدور اللسانيات في بلورة مفهوم علم الأسلوب.

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللسانيات العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994 م، ص 38.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 51.

[4] نفسه، ص 48.

[5] الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب، ص 27.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994 م.
2. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 1996 م.
1. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م.
2. تودوروف، في أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1987 م.
3. جبور عبد النور، المعجم العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 02، 1984 م.
4. جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 م.
5. جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م.
6. دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985 م.
7. رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
8. روبنز، موجز تاريخ على اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد 227، نوفمبر، 1997 م.
9. ستيفن أولمان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، مقال مترجم من كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي لشكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
10. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009 م.
11. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
12. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
13. عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003 م.
14. فيلي ساندريس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، المطبعة العلمية، دمشق، سوريا، ط 01، 2003 م.
15. مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، العدد 04/03، أفريل، 1994 م.
16. مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
17. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م.

18.محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط 01، 1992 م.
19.محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحدثة، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 02، 2002 م.
20.منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990 م.
21.موسى ربابعية، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002 م.
22.نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، العراق.
23.نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2005 م.
3. الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب.

المحاضرة الحادية عشرة

علم الأسلوب والنقد اللساني.

توطئة:

تباينت الآراء بشأن علاقة "علم الأسلوب" "بالنقد"، ففريق ذهب إلى أن "علم الأسلوب" ليس وريثا للنقد؛ بل هو مغاير له، ومختلف عنه، فهما "متواجدان في خطين متوازيين لا يلتقيان، وليس حتما أن يكون بقاء أحدهما مرتبط بزوال الآخر" [1]، والاختلاف بينهما من منظور هؤلاء اختلاف منهجي، ففي الوقت الذي "يدرس فيه "علم الأسلوب" الأثر الأدبي بمعزل عما يحيط به من ظروف سياسية، أو تاريخية، أو، اجتماعية أو غيرها، لا يغفل النقد في أثناء دراسته للنص تلك الأوضاع المحيطة به" [2].

وذهب فريق إلى أن العلاقة بينهما علاقة احتواء، يكون فيه "علم الأسلوب" محتويا للنقد وشاملا له، ومنطق الاحتواء ماثل في قدرة "علم الأسلوب" على أن يحتل مكان النقد، ويحيط بموضوعه، ويرمم نقائصه، ومن ثم استحال النقد إلى نقد للأسلوب، وصار فرعا من فروع علم الأسلوب، أما الفريق الثالث، فرأى أن النقد يشمل "علم الأسلوب" ويحتويه، فهو "فرع من نشاط النقد الأدبي، فمصبه النقد، وبه قوام وجوده" [3].

وفي عصرنا الحاضر تروج فكرة تداخل "علم الأسلوب" مع النقد الأدبي إلا أن الفرق واضح، فيمكن القول إن "علم الأسلوب" هو جزء من النقد الأدبي الذي لا يهتم بالأسلوب فحسب، بل يهتم بكلية النص الأدبي علاوة على التقويم الجمالي والأدبي، ويذهب رأي آخر إلى أن "علم الأسلوب" سوف يحل محل النقد الأدبي الذي يعتمد أحيانا على الذوقية والمعيارية، فتصبح هو الكل والنقد هو الجزء.

فالعلاقة إذن بين علم الأسلوب والنقد هي علاقة موضوع، أما الاختلاف ففي المنهج، فعلم الأسلوب يحاول أن يدرس ما هو داخل النص على عكس النقد، وهو بالتالي يتجاوز ذاتية النص، وذلك بمنهجه الموضوعي، فعلم الأسلوب يحلل وينتهي عند التحليل بينما النقد يحلل ليفسر ويؤول، فقد لا نعترض معنيين بالنقد على مقاربة النص الأدبي كبنية، وقد نوافق على عزل مؤقت لهذه البنية، ولكن هل يمكننا أن نبقى النص في عزلته ؟، وهل أن النص هو حقا معزول؟ وهل أن استقلالية النص تعني إقامة الحدود بينه وبين ما هو خارج، أو قطعه عن هذا الخارج ؟، هذه التساؤلات قد طرحتها "يمنى العيد" وتجيب عنها بقولها: "إن النص الأدبي على تميزه واستقلاله، يتكون، أو ينهض، وينبني في مجال ثقافي موجود في مجال اجتماعي، وإن ما هو (داخل) في هذا النص الأدبي هو وفي معنى من معانيه (خارج) كما أن ما هو (خارج) هو أيضا، وفي معنى من معانيه (داخل) النص أو النصوص الأدبية التي يمكننا أن ننظر في استقلالها كبنية هي ومن حيث وجودها في المجتمع عنصر في بنية هذا المجتمع، وإذا كان المنهج البنيوي لا يمكنه أن ينظر بحكم عامل العزل إلى هذه الصفة المزدوجة لموضوعه أي في كونه بنية وفي الوقت نفسه عنصرا في البنية فإنه –أي المنهج البنيوي–يتحدد كمنهج

---

[1] محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط 01، 1999 م، ص 204.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 86.

يقتصر على إقامة الجمل بين الداخل والخارج، أو بتعبير جدلي على رؤية الخارج في هذا الداخل" [1].

فمع ظهور البنيوية في القرن العشرين، بتأثير من لسانيات "دي سوسير"، ودعوتها إلى دراسة النص من الداخل، وإقصائها لجميع السياقات الخارجة عن النص، راحت جل المناهج النقدية المعاصرة تحذو حذوها في قراءتها النصوص الأدبية، ونجد علم الأسلوب من المقاربات التي اقتصرت في درسه للنص الأدبي على جانبه "اللغوي"، ومن هنا فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبي، أما ما يتصل بالأثر الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانياً، جمالياً، وموقفاً، أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك" [2]، وبصفة أكثر شمولية، وذلك ما يطّلع به النقد بشتى اتجاهاته.

يعد علم الأسلوب اتجاهاً من اتجاهات النقد الأدبي، إن لم نقل جزءًا منه، وإن كنا نجد أن كل من الباحث الأسلوبي، والناقد الأدبي يقومان بالممارسة لفعل القراءة كل حسب ما توفرت له من رؤية وأدوات إجرائية، حينها لا نجد فرقاً، أو احتواء أحدهما للآخر، مادام كل منها يحاول أن يقارب النص الإبداعي بأدواته الإجرائية، غير أن الناقد الأدبي يصبح أكثر منهجية عندما يستوعب، ويلتزم بأحد المناهج، يستقي منه أدواته، ليقارب النصوص الأدبية؛ فالنقد الأدبي لن يوفق في عمله ما لم يستعن بمنهج نقدي من المناهج النقدية المعروفة، كل بحسب أدواته الإجرائية، وطرائقه، ومقولاته في استنطاق النصوص الأدبية، وفهم العملية الإبداعية من ناص، ونص، ومتلق.

النقد اللساني

لم تنعقد الصلة بين اللسانيات والنقد إلا في مرحلة الستينيات من القرن العشرين؛ ذلك أن رواد علم اللسانيات حاولوا "أن يبعدوه عن كثير من العلوم، وأولها النقد الأدبي الذي رأوا فيه مجالا إنسانيا تقييميا [3]، وبسبب تحريهم للدقة، والموضوعية، والسعي نحو علمنة النصوص كاد الأمر "أن يؤدي إلى قطيعة بين الدرس اللغوي، والدرس النقدي" [4]، إلا أنّ العكس هو الذي حدث، حيث امتد تأثيره إلى شتى الحقول المعرفية وعلى رأسها النقد اللساني، الذي استهلكته دراسة العوامل الخارجة عن النص من خلال المناهج التاريخية، والاجتماعية، والنفسية.

ومكمن التحول المنهجي لدى "دي سوسير" في نظرته إلى اللغة هو أنّ دلالة المعطى اللغوي هي نتاج علاقات نسقية وظيفية داخلية، لذا ليس هناك قيمة ترجى في الإحالة إلى خارج النسق والبنية، ومن أجل توطيد الصلة بين اللسانيات والنقد الأدبي، أثير نقاش مستفيض حول المسألة توّج باحتضان "جامعة أنديانا الأمريكية" "*Université de l'Indiana*" سنة 1960 م ندوة دولية كبرى، شارك فيها صفوة من اللسانيين، والنقاد، وعلماء النفس، والاجتماع

---

[1] يمنى العيد، في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م، ص 38.

[2] رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 33.

[3] عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981 م، ص 115.

[4] نفسه، الصفحة نفسها.

المعروفين على الصعيد العالمي، وفيها ألقى "رومان جاكبسون" "*Roman Jakobson*" محاضرة عنوانها: "اللسانيات والشعرية "، نادى فيها بتوثيق العلاقة بين اللسانيات والأدب، وتمتين الروابط بينهما.

كما توصل إلى هذه الحقيقة عدد من النقاد والباحثين مثل "ألبير هنري" "*Albert Henry*" في كتابه "دراسات في التركيب التعبيري بين الفرنسية القديمة والحديثة" الذي اعتبر أنّ الحدود بين اللسانيات ونقد النصوص الأدبية ملغاة، في حين عدّ "هنري ميشونيك" "*Henri Meschonnic*" أنّ التفريق بين اللسانيات والأدب لا يعدو أن يكون مجرد تمييز اعتباطي، كما دافع "كابانيس" "*Jean Louis Cabanis*" عن العلاقة القوية بينهما من خلال إبراز مظاهر التأثير اللساني "دروس دي سوسير، مبادئ الشكلانيين" في النقد .

لذلك فإن الدراسات الأدبية التي اتكأت على مرجعية لسانية واتخذت من مبادئ اللسانيات سندا نظريا، دفعت نحو ضرورة التعامل مع المعطى الأدبي كبنية مغلقة، مستقلة ذاتيا؛ إذ تختزل بداخلها كل الآليات المتفاعلة في إنتاج معناها، ومن ثمّ وقع التحول الجذري في مجال النقد الأدبي بالانتقال من دراسة السياق إلى دراسة النسق، وتجدر الإشارة إلى أن المناهج النقدية التي انبثقت عن مرجعية لسانية وجهت الاهتمام نحو دراسة الأسلوب، أي ما يقابل الكلام، عكس ما ذهب إليه "دي سوسير" الذي ركز على دراسة اللغة المثالية، والأمر نفسه بالنسبة إلى الإضافات الهامة التي حقّقها "تشومسكي" "*Noam Chomsky*" من خلال دعمه للثنائية "لسان، كلام" بتمييزه بين جانبين مهمين هما "الكفاءة" "*compétence*" و"الإنجاز" "*performance*" هذان المفهومان اللذان مهدا فيما بعد لظهور مصطلحي "البنية العميقة" "*Structure profonde*"، و"البنية السطحية" "*structure de surface*".

وهكذا عاد اللغويون ليستخدموا "أدواتهم اللغوية في تناول النص الأدبي، وهو ما يعرف الآن بعلم الأسلوب" [1]، الذي يعدّ شكلا من أشكال الانحراف عن اللغة؛ أي أنه يمثل الكلام بمفهوم "دي سوسير"، الذي وضح أنه لا يمكن دراسة الكلام، لأنه غير متجانس، اعتمادا –حسب "كاتي وايلز" "*Kitty Wells*"– على النظر إلى اللغة كشكل مثالي كأن يكون لها شكل "خالص" "لسان" "*langue*" الذي يتعكر "يلوّث" عندما يتحول إلى "كلام" "*parole*" [2]؛ ذلك أن الأسلوبيين والشكلانيين مثلا استدلوا على أنّ الأعمال الأدبية لا تحتاج بالضرورة إلى أن يتم اعتبارها "ككلام" "*parole*" لكن كنوع لنظام اللغة "لسان" "*langue*" قائمة بذاتها" [3].

والناظر إلى مجال النقد اللساني يلمس أن التحول في مساره بدأ أراد الشكلانيون والبنيويون بصفة عامة "قلب النظريات التي كانت تحدد العمل الأدبي انطلاقا من مضمونه من صدى الحركة التاريخية، وتفاعلها في الواقع، والإيديولوجيا التي تنتج عنها" [4].

---

[1] نفسه، ص 116.

[2] كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2014 م، ص 207، ص 408.

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] عبد المالك كاجور، النص الأدبي في ضوء بعض الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 11، 1997 م، ص 40.

ولا يمكن إنكار أن البنيوية في حقيقتها، قد أفادت من منجزات الشكلانيين المؤسسة على اللسانيات، ومن شعريات "جاكبسون"، والنقد الأنجلوساكسوني الجديد، فيما يتعلق بكيفية انتظام العمل الأدبي، وليس من الغريب أن تتراحم البنيوية والشعريات وتتجاذب طرائقها، ولذلك نجد مؤرخي النقد يعدّون البنيوية سليلة الشكلانية الروسية، التي هي بدورها ذات نشأة لسانية.

وبهذا التوجه فإن "السوسيو نقد" "*Sociocritique*" [1] "ينفتح على ما أنجزه النقد الشكلي في مجال مقاربة النصوص الأدبية لكن غايته، وقصديته أن يشيد استراتيجية تعيد للنص الشكلاني مضمونه الاجتماعي" [2]، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأنّ "السوسيو نقد" أفاد من جهود الشكلانيين الروس، وهو ما يجعله خطابا يتكئ على مرجعية لسانية، كما أفاد من منجزات "باختين" "*Mikhaïl Bakhtine*" في مجال الدراسات السردية، مما يوفره النص الروائي من تعدد الأصوات، وتهجين، واحتفالية، ومن ثمّ فقد حاول أن "يقيم علاقة بين العالم الروائي، والكرنفال الذي ظهر وسط الثقافة الشعبية للقرون الوسطى، وعصر التنوير" [3].

انطلاقا من الدراسة التي أنجزها حول "رابلي" "*François Rabelais*" مما منح الرواية عناصر متعددة على مستوى السرد المباشر، أو السرد الشفوي، مما يتضمنه من أشكال تعبيرية متنوعة داخل الرواية كالأمثال، والحكم والمأثورت فضلا عن الأشكال السردية المكتوبة على غرار الرسائل، والمذكرات، والاعترافات؛ أي أنّ اللغة الروائية بمفهوم "باختين" ذات تعدد لساني، لأنها تدرج في خطابها كل الأجناس التعبيرية الممكنة وكل اللهجات الاجتماعية "العاميات" فهي لغة منضدة تنضيدا لسانيا، ومهنيا.

وبذلك فالمنهج الأسلوبي وعلى الرغم من الاختلاف حول تعدد انتمائه، فإنه أقرب إلى المرجعية اللسانية، وذلك بكونه ينبثق من اللسانيات، ومما أنتجته من مقولات، أو كما ذهب "سعد مصلوح" بالقول إلى أنّ "الدرس الأسلوبي أيضا ليس مرادفا، وطبقا للنقد، ولكنه شعبة منه" [4]، ومن ثمّ يتأكد أن علم الأسلوب يرتبط بأواصر قربى مع اللسانيات،

---

[1] "السوسيو نقدي" هو نوع من أنواع النقد الأدبي يسعى إلى فهم الأدب، ووضعه في سياقه الاجتماعي الأوسع، ينظم النقد الاجتماعي الاستراتيجيات الأدبية المستخدمة في تمثيل البنى الاجتماعية من خلال منهج اجتماعي، يحلل النقد الاجتماعي تأثير المجتمع على الأدب، ودور الأدب في المجتمع، طور "كينيث بيرك" (منظر أدبي في القرن العشرين) هذا النوع من النقد الأدبي في مقالة «الأدب باعتباره أداة للحياة» التي توضح سمات هذا النوع من النقد وأهميته" ويستوحي النقد الاجتماعي أفكاره من النقد الجديد، إلا أنه يضفي عنصرًا اجتماعيًا كحال النظرية النقدية (مدرسة فرانكفورت)، ويعتبر الفن مظهرًا من مظاهر المجتمع، لا سيما الفنون التي تحتوي على تعبيرات مجازية، وإشارات تنطبق مباشرةً على المجتمع القائم في وقت نشوءها، يرى "كينيث بيرك" أن الأعمال الفنية مثل الأعمال الأدبية هي «إشارات استراتيجية للمواقف» تساعد القارئ على فهم الظروف الاجتماعية المحيطة بالعمل الفني و«التحكم بها إلى درجة ما».

[2] الطاهر روابنية، سوسيولوجيا الأدب وسوسيولوجيا الكتابة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، أفريل، 2001 م، ص 10.

[3] ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، باريس، فرنسا، ط 01، 1981 م، ص 11.

[4] سعد مصلوح، في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 02، 2010 م، ص 232.

وإن كان اتجاهها –فيما بعد– قد انبنى على الشق الثاني من الثنائية التي أهملها "دي سوسير"؛ وهي الكلام باعتباره شكلا من أشكال الانزياح عن الأصل، وبمعنى آخر فإنّ الدراسة الأسلوبية قد فتحت آفاقا أخرى أمام اللسانيات في حد ذاتها؛ ذلك أنها "اللسانيات" كانت تدرس اللغة كنظام، دون مراعاة التنوعات الفردية، ومقامات الخطاب، وأفعال الكلام التي ستفتحها مناهج أخرى على غرار "السيميائية"، و"التداولية"، وستتطور اللسانيات، وتمتد فروعها إلى حقول أخرى، منتقلة من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

كما "أثبتت اللسانيات المعرفية أنها أكثر التخصصات الجديدة المثيرة للجدل التي برزت في التسعينات مع منحها قيمة خاصة لعلم الأسلوب" [1]، وبدوره تطور علم الأسلوب بفعل تطور اللسانيات" فنضج، واكتمل، وصار علما له خصوصياته، وفروعه، ولكنه مع ذلك لم يقو على مغادرة دائرة اللسانيات" [2]، الأمر الذي دفع "منذر عياشي" للاستعانة بتصريحات ثلاثة من أقطاب علم الأسلوب وهم "ميشال أريفي" "*Arrivé Michel*" الذي قال بـ: "أنّ علم الأسلوب وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستوحاة من اللسانيات، و"دولاس" "*Dulas*" الذي قال بأنه يعرف بكونه منهج لساني، بينما وصفه "ريفاتير" "*Michel Riffaterre*" بأنه لسانيات تعني حمل الذهن على فهم معبّر وإدراك مخصوص، كما أنها تجسيد لصلة اللسانيات بالأدب ونقده"، ومن هنا تتضح العلاقة الوثيقة بين اللسانيات وعلم الأسلوب باعتباره أحد المناهج النقدية التي انبثقت عن اللسانيات، فصار بذلك "جزءا لا يتجزأ من الدرس العلمي أو اللساني" [3].

وبهذا تكون اللسانيات قد أمدّت النقد الأدبي بأدوات هامة من أجل الدراسة العلمية والموضوعية للنص الأدبي الذي ظل يخضع لفترة زمنية للأحكام الذوقية، والانطباعية، تحت تأثير المناهج السياقية، والنظرة التاريخية، وبالمقابل أفادت من منجزات المناهج النقدية النسقية التي نتجت عنها.

وعلى العموم فإن تأثير اللسانيات كان واضحا على النقد الأدبي سواء على المستوى المفاهيمي، من خلال الإفادة من النظريات المختلفة، أو على مستوى الجهاز الاصطلاحي؛ إذ زوّدت اللسانيات النقد بترسانة من المصطلحات، أو ساعدت على إيجاد مصطلحات جديدة، أما على المستوى المنهجي فقد نقلته من طور المعيارية، وأحكام القيمة إلى العقلنة، والعلمنة عن طريق القواعد الصارمة التي ميزتها، كما أفادت اللسانيات من النقد الأدبي بالعودة إلى النصوص الأدبية، وتمييز أنواع الخطابات، وانبثاق المناهج، والنظريات، التي أعادت الاعتبار للخطاب الأدبي.

وإذا كانت العلاقة بين اللسانيات والنقد الأدبي في الثقافة الغربية، قد نشأت نشأة طبيعية، داخل النسق المعرفي الواحد، وبفعل جهود النقض والنقد والمراجعة فإن الأمر بالنسبة للثقافة العربية يختلف، باعتبار أن الثقافة العربية المعاصرة هي ثقافة مستقبلة، لم يسهم السياق الثقافي والتاريخي في نشأة اللسانيات، أو المناهج، والنظريات النقدية في البيئة الثقافية العربية، فكلا الحقلين ناجم عن فعل الاستنبات، والاتصال بالثقافة الغربية، لذلك فإن سياق انتقال اللسانيات والنقد الأدبي إلى الثقافة العربية يختلف تماما عن نظيرتها الغربية.

---

[1] كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ص 127.

[2] منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 01، 2002 م، ص 10.

[3] نفسه، ص 34، 35.

ولهذا سنحاول أولا الإشارة إلى جملة من الكتب العربية التي تناولت ظاهرة التفاعل بين اللسانيات والنقد الأدبي، وفي مقدمتها كتاب " أثر اللسانيات في النقد الأدبي" "لتوفيق الزيدي"، وهو من الكتب الأولى التي تناولت هذه العلاقة في منتصف ثمانينيات القرن العشرين، ويذكر من الأسباب التي دفعته للخوض في هذا الموضوع الذي يندرج ضمن نقد النقد حيث تتنزّل هذه الدراسة "في هذا الإطار الساعي إلى ربط النقد بالتيار العلماني عامة، واللساني خاصة" [1]، ويعلل لهذا التوجه بعدة أسباب نذكر منها أنّه:

1. ميدان بكر لم يقدّم عليه أيّ دارس مما جعل البحوث ذات الوجهة اللسانية الأدبية تتقلص، وذلك لغياب مرجع تقييمي جامع للبحوث العربية في هذا الميدان.
2. إنّ المنهج النقدي اللساني طغى على عدة دراسات إلى حدّ أنه أصبح تطرفا فكريا، فلذا وجب تصحيح هذا المسار، وتقييم مردوده [2].

يمكن أن نذكر كذلك كتابي "النقد والحداثة "، و"الأدب وخطاب النقد" "لعبد السلام المسدي"، و"الألسنية والنقد الأدبي" "لموريس أبو ناضر"، ناهيك عن الكتب التأسيسية الأولى التي تناولت موضوع الدرس اللساني قبل توثيق الصلة بينه وبين المناهج النقدية، في مسعاها نحو ترسيخ نقد جديد، وتحرير النقد العربي من المناهج السياقية، على الرغم من أن المعرفة اللغوية تتطور و"نقاد الأدب إن هم انضووا تحت ميثاق التوالج الفكري بين المعرفة اللغوية، والمعرفة النقدية، فقلما يحرصون بنفس الاعتناء، وبنفس الحيرة على متابعة التطور الحاصل داخل المعرفة اللغوية في حد ذاتها" [3]، وقد تمثل هذا الموقف أيضا كلّ من "عبد السلام المسدّي"، و"صلاح فضل"، و"عبد الملك مرتاض"، و"مازن الوعر"، و"أحمد العلوي"، وعلى يد هؤلاء وغيرهم من الرواد عرف النقد قفزة نوعية إذ "أصبح الناقد طرفا رئيسا في إنتاج المعرفة، لأنّه من الموقع الذي يتحرك فيه مشارك في وضع قواعد المعرفة الانسانية المتجددة.

إن للناقد اليوم حقوقا على الآخرين أبعدها وقعا أن يصادقوا على أنه مؤسس منهج، ومنظر علم، ومهندس معمار، وأن يقروا له بأنه مساهم في حوار المعارف الإنسانية بقسط وافر" [4]، واذا كانت وظيفة النقاد بهذه الخطورة بالنظر إلى التطورات المعرفية التي عرفها النقد، بحكم انفتاحه على جل الحقول المعرفية، فإن إسهام النقاد العرب في نقل المعرفة اللسانية متفاوت؛ إذ نرى مثلا أنّ "أحمد يوسف" يشير إلى إسهامات "موريس أبو ناضر" و"توفيق الزيدي" الذي يقول: "على الرغم من أنّ عناوين بعض المؤلفات كانت تحمل علاقة اللسانيات بالنقد الأدبي إلا أنّ كليهما ركز على الخطاب السردي" [5]، غير أن هاتين المحاولتين بالتحديد تعدّان من الإسهامات الرائدة في مجال النقد الألسني، ونقد النقد، حيث

---

[1] توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 01، 1984 م، ص 10.

[2] نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2009 م، ص 09.

[4] نفسه، ص 40.

[5] أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م، ص 72.

تجلت من خلالها الدعوة إلى "دراسة الأدب من الداخل، والتركيز أولا وقبل كل شيء على الآثار الأدبية ذاتها" [1]، والبحث في وظيفة الوحدات داخل النص، والنظر إليه "ككيان ملموس قابل للتجزئ" [2].

علم الأسلوب والنقد اللساني

يعد علم الأسلوب مدرسة لغوية تعالج النص الأدبي من خلال عناصره، ومقدماته الفنية، وأدواته الإبداعية، متخذا من اللغة والبلاغة جسرا يصف به النص الأدبي من خلال مناهجه مراعيا في ذلك الجانب النفسي، والاجتماعي للمرسل والمتلقي، ومن ثم فإن الدراسات الأسلوبية عملية نقدية ترتكز على الظاهرة اللغوية، وتبحث في أسس الجمال المحتمل قيام الكلام عليه.

أما النقد فيعتمد في اختياره عنصري الصحة والجمال، والصحة مادة الكلام، أما الجمال فجوهره، ويكون علم الأسلوب بمثابة القنطرة التي تربط نظام العلاقات بين علم اللغة والنقد الأدبي، وهي مرحلة وسطى بين علم اللغة والدراسة الأدبية فترتبط باللغة والأدب على حد السواء.

إن الفارق بين النقد الأدبي وعلم الأسلوب يتأتى من الأدوات والأهداف، أو الغايات، فإذا كانت أدوات علم الأسلوب تتوقف على اللغة فحسب، فإن النقد بعينه يعد اللغة إحدى أدواته، وإذا كان الهدف الذي ينشده علم الأسلوب هو الكشف عن البناء اللغوي وما بداخله من انزياحات عن القاعدة المعيارية، فإن الهدف هو الإجابة عن أسئلة فحواها كيف ولماذا ؟، مستعينا بكل ما بكل ما يراه من أدوات تخدم هدفه، فالنقد أداة معرفية اللاوعي، وارتياد المكبوتات فهو شاشة تعكس توترات الناقد، لأن الناقد يبدأ عمله مدفوعا بتوتر داخلي ينشأ من إرادة الوصول إلى فهم النص الأدبي، وشرحه، وتدبره.

وإذا كانت قضية علمية الأسلوب قد وجدت من يقول بها، ويدافع عنها، فقد وجدت من يرفضها، وينفي عنها صفة العلمية، وعلى رأس هؤلاء "كمال أبو ديب"، الذي يقول: "حتى الآن مازلت متمسكا باعتراضي المبدئي على وصف علم الأسلوب بالعلم لأسباب عدة أولها نابع من طبيعة الدراسات الأسلوبية نفسها، فأنا لا أستطيع أن أوحد بين شيئين: الشيء الأول هو القول بعلمية الأسلوب، الثاني هو أن علم الأسلوب محاولة لاكتشاف الخصائص الفردية في كل كيان لغوي متشكل، التي لا يمكن في النهاية أن تؤدي إلى مجموعة من القوانين التي تحكم تطور الحقل المعرفي، هناك نقطة مهمة جدا تمثل لي في أن العلم الذي يخضع لحركات سريعة كتلك التي خضع لها علم الأسلوب لا يمكن أن يكون علما [3].

وعلى أي حال فإن نفي الصبغة العلمية عن علم الأسلوب يحمل في طياته أبعادا أخرى، أهمها ما أهمله كثير من الباحثين الذين تصدوا لعلاقة الأسلوبية بالنقد، ووصلوا إلى قناعة مفادها أن علم الأسلوب لا يقوى على الوقوف ندا للنقد كما وقف في وجه البلاغة، ويكفي للتدليل على ذلك في هذا المقام رأي "عبد السلام المسدي" الذي يقول: "ونحن

---

[1] موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي النظرية والتطبيق، دار النهار العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1979 م، ص 07.

[2] نفسه، ص 09.

[3] يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 56.

ننفي عن علم الأسلوب أن يؤول إلى نظرية نقدية شاملة بكل أبعاد الظاهرة الأدبية، فضلا على أن يطمح إلى نقض النقد الأدبي أصوليا، و علة ذلك أنه تمسك عن الحكم في شأن الأدب من حيث رسالته، بينما رسالة النقد كامنة في إماطة اللثام عن رسالة الأدب" [1].

وإذا كان علم الأسلوب لا ينطق بالحكم ولا يجيب عن سؤال مفاده لماذا ؟ فهو لا يخرج عن رأي "المسدي" الذي وصف به علم الأسلوب بأنه: "لا يطمح إلا أن يكون رافدا موضوعيا يغذي النقد فيمده ببديل اختياري يحل محل الارتسام، والانطباع حتى تسلم أسس البقاء النقدي [2]، فعلم الأسلوب إذن دعامة أدبية تطورية في ممارسة نقدية، وعليه فإن علم الأسلوب ليس بديلا عن النقد لأن كلا منهما يقدم ما لا يقدمه الآخر في خدمة النص، و كونه ليس بديلا للنقد لا ينقص من أهميته، وقيمته، ومن ثم لا ينفى عنه صفة العلمية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م.
2. توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 01، 1984 م.
3. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
4. سعد مصلوح، في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 02، 2010 م.
5. الطاهر روابنية، سوسيولوجيا الأدب وسوسيولوجيا الكتابة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، أفريل، 2001 م.
6. عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2009 م.
7. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
8. عبد المالك كاجور، النص الأدبي في ضوء بعض الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 11، 1997 م.
9. عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981 م.
10. كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2014 م.

[1] نفسه، ص 57.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 115.

11.محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط 01، 1999 م.
12.منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 01، 2002 م.
13.موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي النظرية والتطبيق، دار النهار العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1979 م.
14.ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، باريس، فرنسا، ط 01، 1981 م.
15.يمنى العيد، في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م.
16.يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م.

المحاضرة الثانية عشرة

الأسلوبية والبلاغة 1.

توطئة:

لقد عرفت أمتنا العربية بأنها أمّة البيان، ووصف علماؤها بأنهم أئمة اللسان، ولو تقاسم العالم التراث الإنساني، لكان الفن القولي من تراث هذه الأمة، والموروث البلاغي من نصيبها، لهذا نزل القرآن الكريم بلسانها، أنزل بلسان عربي مبين، ومن ثم كان إعجازه البياني أرقى مراتب الإعجاز، وأولاها بالخصوصية، ولعل أعمق المعجزات أثرا ما وافق طبيعة العصر، وأعلاها منزلة ما واكب متطلبات الحياة، ولقد جبل العربي على حب الكلمة، وتوخي عذوبة الألفاظ، حتى شاعت أسواق العرب الأدبية في "عكاظ"، و"مجنة"، و"ذي المجاز"، فكانت هذه الأسواق ميدانا رحبا تفصح عما تجود به قريحة الشعراء، وتواكب ذائقتهم الأدبية.

فلطالما دارت كلمة "أسلوب" في كتابات النقاد ودارسي الأدب، وطالما ذكرها البلاغيون، والمحدثون في أطروحاتهم الجديدة، ورؤاهم المعاصرة، وأخذت التحليلات الأسلوبية – اليوم – تحتل مكانة مهمة في عالم الأدب، والنقد، واللغة، وصارت موضوعاتها الأسلوبية تستهوي عددا كبيرا من الباحثين الذين تأثروا بها، وراحوا يجدون في المحاولات التي تبذل في أنصافها أقباس هداية تسهم في اكتشاف حقيقة الإبداع الأدبي من جهة، وحقيقة المنهجية العلمية للتحليل الأسلوبي للأدب من جهة ثانية، فـ "الأسلوب" من أهم المقولات التي توحد بين علمي اللغة والأدب، وأن دراسته ينبغي أن تتم في المنطقة المشتركة بينهما كونه ركيزة لغوية، ونوعا من التعبير المنفرد بخواص تعبيرية لغوية، وغير لغوية كما ذهب إليه "كمال بشر" في كتابه "التفكير اللغوي بين القديم والجديد" في قوله: "وحقيقة الأمر عندنا أن "علم الأسلوب" ينتمي إلى مجالين:

01 – **مجال الدراسات اللغوية**: وذلك بالنظر إلى "الأسلوب" على أنه بناء، أو هيكل لغوي مكونة عناصره من وحدات لغوية جاءت منسوقة وفقا لمعايير لغوية على وجه من وجوه قواعد اللغة المعينة.

02 – و"الأسلوب" أيضا ينتمي إلى **مجال الأدب ونقده** بوصفه نوعا من التعبير منفردا بخواص تعبيرية مميزة لغوية، وغير لغوية، وبوصفه نمطا خاصا من الكلام يفي أولا بأغراضه، الأدبية، والثقافية، والاجتماعية، والنفسية أيضا".

وإذا كانت اللغة بناء إلزاميا على الأديب من حيث الشكل، فإن "الأسلوب" هو تلك الإمكانات التي تحققها اللغة، ويستغل أكبر قدر ممكن منها الكاتب، أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب، بل ينبغي أيضا الوصول إلى المعنى بأوضح السبل، وأحسنها، وأجملها، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب، وانعدم معه "الأسلوب".

إن "الأسلوب" في تراث الفكر الغربي ربما جاء مرادفا "للبلاغة" "*La rhétorique*" وربما خصّوه بمعنى أضيق من ذلك هو "مستوى التعبير"، وقد ميزوا ثلاثة مستويات للتعبير: البسيط، والمعتدل، والعالي، وهي مصورة في "دولاب فيرجيل" "*Virgile*" الشاعر الروماني، وقد جاءت هذه المستويات مرتبطة بالمستويات الاجتماعية من جهة، وبالفنون الأدبية من جهة ثانية، وبالمحسنات البيانية من جهة ثالثة، ولعل أصول هذه النظرية كلها مستوحاة من الفيلسوف اليوناني

"أرسطو" "*Aristote*" في نظرته إن "التراجيديا" "*Tragédie*" [1] أرفع من "الكوميديا" "*Comédie*" [2] لأن الأولى نشأت في المدن على أعين التاريخ لقربها من ذوي السلطان، في حين الأخرى نشأت بين أهل القرى مما يسهم في إخفاء أمرها، وهو يدخل عنصر اللغة في تعريف "التراجيديا"، ويجعل فخامة اللغة، وكثرة محسناتها شرطا أساسيا فيها.

لقد قدمت البلاغة أربعة مبادئ أساسية "للأسلوب":

الأول: المناسبة، أو الملاءمة بين الأسلوب ومقامه النصّي (الكاتب، المتلقي، النص).

والثاني: الدقة؛ أي ملاءمة الأسلوب للاستعمال اللساني المعتمد في عصر معين.

والثالث: الوضوح؛ أي: استبعاد تعدد المعاني النصّية.

والرابع: الزخرف؛ أي: زخرفة الخطاب الطبيعي بالصور الأسلوبية.

ولعل هذه المبادئ هي نفسها التي قام عليها مفهوم الفصاحة، والبلاغة في التراث الأدبي العربي، ثم بدأ مفهوم "الأسلوب" يتحدد، ويتسع في الوقت الذي بدأت فيه الدراسة تأخذ شكلا منظما ممّا جعل بعضهم يعطيها اسم "علم الأسلوب".

نشأة البلاغة وتطورها

اهتم العرب القدامى منذ القدم بعلم البلاغة الذي يعد من أبرز، وأشرف العلوم عندهم؛ لأنها كانت من الأدوات المهمة لفهم القرآن الكريم، وإدراك إعجازه، وهذا بدوره دفع الباحثين إلى فهمها ودرسها حتى أصبحت فناً مستقلاً ذات قواعد وأصول، "فإن البلاغة التي نرى بين أيدينا الآن علماً مستقلاً مميزا عن العلوم الأخرى لم توجد دفعة

---

[1] التراجيديا "المأساة" هي شكل من العمل الفني الدرامي يهدف إلى تصوير مأساة قد تكون مبنية على قصة تاريخية، أصل الكلمة هو من اليونانية الكلاسيكية، وتعني حرفياً "أغنية الماعز"، نسبة إلى طقوس مسرحية، ودينية كان يتم فيها غناء الكورس مع التضحية بالماعز في اليونان القديمة، "التراجيديا" عموماً تتعلق باستعراض أحداث من الحزن، ونتيجة مؤسفة في النهاية، كما تنطبق هذه التسمية أيضاً في الثقافة الغربية على وجه التحديد على شكل من أشكال الدراما التي حددها "أرسطو" اتسمت على جانب من الجدية، والشهامة، والتي تنطوي على شخص عظيم يمر بظروف تعيسة، (تعريف "أرسطو" أيضاً يمكن أن يشمل تغير الأحوال من سيء إلى جيد، ولكن "أرسطو" يقول إن التغير من الجيد إلى السيء هو الأفضل لأن هذا يؤدي إلى إثارة الشفقة، والخوف داخل المتفرج)، ووفقاً "لأرسطو" أيضاً فإن "هيكل العمل التراجيدي لا ينبغي أن يكون بسيطا بل معقدا، وأن يمثل الحوادث التي تثير الخوف والشفقة"، ويرى "أرسطو" "أن التغير في الحال نحو التعاسة، والمأساة لا يعود إلى أي خلل، أو عيب أخلاقي، ولكن إلى خطأ من نوع ما، كما أنه عكس الاعتقاد الخاطئ بأن هذه المأساة يمكن أن تنتج من قبل سلطة عليا (على سبيل المثال القانون، الآلهة، المصير، أو المجتمع)، بينما إذا كان سقوط شخصية ما في هذه المحنة ناجم عن سبب خارجي، فإن "أرسطو" يصف ذلك بأنه "بلية" وليس مأساة.

[2] – الكوميديا "الملهاة" هي نوع من أنواع التمثيل، وتكون مسرحية ذات طابع خفيف تكتب بقصد التسلية، أوهي عمل أدبي تهدف طريقة عرضه إلى إحداث الشعور بالبهجة، أو بالسعادة، وقد نشأت الكوميديا في أوروبا من الأغاني الجماعية الصاخبة، ومن الحوار الدائر بين الشخصيات التي تقوم بأداء شعائر الخصوبة في أعياد الإله "ديونيسيوس" "*Dionysos*" ببلاد "اليونان"، وهي الأعياد التي تمخض عنها "فن الدراما"، وتعد مسرحيات "أريستوفان" "*Aristophane*" من أروع الأمثلة على "فن الكوميديا" القديمة في "اليونان".

واحدة، ولم تكن ثمرة لجهد عالم معين من العلماء، أو فترة من الزمان، ولكن هذا العلم كان ثمرة لجهود كثير من العلماء على مر العصور، تعددت مناهجهم، واختلفت ثقافتهم، وشاركوا جميعاً في بناء هذا الصرح البلاغي الكبير" [1].

البلاغة لغة: الانتهاء والوصول، والإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغا: وصلت إليه، ورجل بليغ: حسن الكلام وفصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، والجمع بلغاء، وقيل: البلاغة: الفصاحة" [2].

اصطلاحا: تعدّدت تعاريف البلغاء والنقّاد للبلاغة، فعرفّها "علي بن أبي طالب" "رضي الله عنه" بأنّها: "إفصاح قول عن حكمة مستغلقة: وإبانة عن مشكل" [3]، وعرّفها "الخليل بن أحمد" الفراهيدي" بأنّها "ما قرَبُ طرفاه وبعَدُ منتهاه" [4]، وأورد لها "الجاحظ" في كتابه "البيان والتبيين" تعاريف عديدة كانت لبنات أساسية لتشكيل هذا العلم فيما بعد، ومنها: تعريف "ابن الأعرابي": "الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل"، وتعريف "عمرو بن عبيد": "تخير اللفّظ في حسن الإفهام"، وتعريف بعضهم مما اجتباه الجاحظ ودونه: "أن يسابق المعنى اللفّظ واللفّظ المعنى" [5].

وقال "عبد الحميد بن يحي" "البلاغة تقرير المعنى في الأفهام من أقرب وجوه الكلام"، وقال "ابن المعتز": "البلاغة البلوغ إلى المعنى، ولم يطل سفر الكلام"، وقال "العتابي": "البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر، وحسن التعريف إذا طال"، وقال "عبد اللّه بن المقفع": "البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون في ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ" [6].

أمّا الرمّاني فيعرف البلاغة بقوله: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ" [7]، وعرّفها "العسكري" بقوله: "البلاغة كل ما يبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه، كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض

---

[1] ينظر: فوزي عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005 م، ص 43.

[2] ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 01، ص 346، مادة، "بلغ".

[3] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 01، 1971 م، ص 58.

[4] ابن الرشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 01، 2000 م، ج 02، ص 245.

[5] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998م، ج 01، ص 114.

[6] ينظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م، ص 29، 28.

[7] الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، تحقيق محمد خلف اللّه أحمد ومحمد زغلول سلامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م، ص 89.

حسن" [1]، ويعرفّها "عبد القاهر الجرجاني" "فإذا رأيت البصير بجواهر الكلام يستحسن شعرا، أو يستجيد نثرا، ثم يجعل الثناء عليه من حيث اللفظ فيقول: حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وخلوب رائع، فاعلم أنه ليس ينبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده" [2]، وعرّفها "السّكاكي" بقوله: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب، وإيراد أنواع التشبيه، والمجاز، والكناية على وجهها" [3]، وعرّفها القزويني: فقال: "البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته" [4].

ومن خلال ما تقدّم من تعاريف للبلاغة، نلاحظ أنّ مجملها يقوم على مفهوم واحد، وهو تأدية المعنى المراد بأسلوب جميل، يترك أثرا حسنا في نفس المتلقي.

وإذا تتبعنا الدراسات الأولى لنشأة هذا العلم وصلنا إلى العصر الجاهلي الذي كان الأدباء، والشعراء فيه يقفون عند اختيار الألفاظ، والمعاني، والصور، وكانوا يسوقون أحياناً ملاحظات لاريب في أنها أصل الملاحظات البيانية في بلاغتنا العربية؛ ثم في العصر الإسلامي أخذت تنمو العناية بالكلام بفضل ما نهج القرآن ورسوله الكريم من طرق الفصاحة والبلاغة، وإذا تحولنا إلى العصر الأموي وجدنا الخطابة ازدهرت ازدهارا إثر تحضر العرب، ونمو عقولهم، فشاعت مجادلات الفرق من الخوارج، والشيعة، والزبيرية وغيرها، فكان من الطبيعي أن ينمو النظر في بلاغة الكلام نثراً وشعراً؛ إذ لسوقي "المربد"، و"الكناسة" دورهما في تطور البلاغة، أما العصر العباسي ففيه اتسعت الملاحظات البيانية لأسباب مختلفة، ومنها:

1. تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية؛ لأن كثيرين من الموالي والفرس أتقنوا العربية، ونهضوا بالنثر، والشعر نهضة واسعة.
2. نشوء طائفتين من المعلمين عنيت إحداهما باللغة والشعر، والأخرى بالمناظرة والخطابة.
3. اتساع الترجمة.

لا ينكر دور الكتاب من أمثال "ابن المقفع" في تطور البلاغة الذين كانوا يتكسبون من العمل في ديوان الكتابة، كما كانت وسيلة لتسلم أرفع المناصب، ولا يمكن إنكار دور المتكلمين، واللغويين في تسجيل ملاحظات مختلفة على فصاحة الكلام وبلاغته، فنرى "الجاحظ" يبسط مباحث البلاغة الخاصة في كتابه "البيان والتبيين" كما نرى "ابن المعتز" يجتهد في هذا المجال، ثم نرى "عبد القاهر الجرجاني" يضع "نظرية النظم" في كتابيه "دلائل الإعجاز"، و"أسرار البلاغة"، ويساعد على ازدهار الدراسات البلاغية محتلاً مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة، وكذلك "جارالله الزمخشري" في كتابه "الكشاف" الذي سعى إلى تفسير الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم مطبقاً آراء "الجرجاني" في البلاغة ومضيفاً إليها شيئاً من إبداعه؛

---

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 11.

[2] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م، ص 11.

[3] السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 02، 1987 م، ص 412.

[4] القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م، ص 20.

لكنّ البلاغة بدأ يسري فيها الجمود منذ القرن الرابع الهجري إثر جمود الأدب، ومن المحاولات البلاغية في هذا العصر يمكننا الإشارة إلى "نهاية الإيجاز" "للفخر الرازي"، و"المثل السائر" "لابن الأثير"، و"التبيان في علم البيان" "للزملكاني"، وتعد هذه المحاولات دراسات جانبية، وتلخيصات مبسطة؛ إذ لم يقتف أصحابها أثر "عبد القاهر"، و"الزمخشري" [1].

الأسلوبية والبلاغة

إن الحديث عن "علم الأسلوب" "*Stylistique*" يقودنا إلى الحديث عن البلاغة "*La rhétorique*"؛ إذ لا يمكننا إنكار وجه الشبه بين البلاغة و"علم الأسلوب"؛ إذ أن كلا منهما يجعل موضوعه الأساسي هو "الأسلوب" غير أن الواضح كذلك هو أن البلاغة معيارية تقعيدية إرشادية، أما "علم الأسلوب" فهو وصفي تقريري؛ "فالبلاغة تقوم على تصور الشيء تبعا لنموذج سابق فـ "ماهية" الشيء تسبق "وجوده" بالتعبير الفلسفي، أما علم الأسلوب فهو لا يحدد للأشياء ماهيتها إلا من خلال وجودها فهو يدرك الشيء من خلال معاينة، أو دراسة الخطاب الأدبي" [2]، ومن هنا نستطيع القول أنّ البلاغة علم معياري يحكم من خلال مقاييس مسبقة، وقواعد جاهزة يقضي إلى جزم عقلاني غايته تعليمية، أما "علم الأسلوب" فهو علم وصفي يستقرئ الظاهرة الإبداعية ضمن منهج يتتبع الأحداث، والظواهر المشتتة لتنتهي إلى خصائص مشتركة.

أما على الصعيد المعرفي فإن كلا منهما يسعى إلى وعي "الأسلوب الأدبي" من خلال علائقه اللغوية، ومن ذلك فإن "علم الأسلوب" هو الوريث المعاصر للبلاغة القديمة، ولعل معالم "علم الأسلوب" لم يتضح إلا مع "شارل بالي" "*Charles Bally*" بعد أن كان متداخلا مع علم البلاغة، بحيث نجد أن "علم الأسلوب" قام بعد أن وقعت البلاغة في المعيارية، وبذلك عمل "علم الأسلوب" مع "بالي" على توحيد رؤية البلاغة التي تعمل على تجلية العلاقة القائمة بين النص، ومدلوله، ولهذا يمكن اعتبار "علم الأسلوب" امتداد للبلاغة، ونفي لها في نفس الوقت؛ "علم الأسلوب" يستند إلى قواعد معرفية تتمثل في تعريف الناقد الفرنسي "بيير جيرو" "*Pierre Giroux*" "لعلم الأسلوب" بوصفه "دراسة للتعبير اللساني، ثم للبلاغة التي هي عنده أسلوبية القدماء" [3]، وبها يتحدد تشغيل آلية المنهجية "لعلم الأسلوب" وصفها الوجه الجديد للبلاغة، أو هو البلاغة الحديثة نفسها.

إلا أن هناك من يعتبر "علم الأسلوب" "امتدادا بديلا مغايرا للموروث، وناف له، لأن المفهوم الأصولي للبديل... أن يتولد عن واقع معطى وريث ينفي بموجبه حضوره ما كان قد تولد عنه" [4]، ولعل ما يؤكد هذا تلك المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي "فالبلاغة علم معياري، يميل إلى تقرير الوقائع اللغوية في الخطاب الأدبي، إذ يستند إلى منظومة تصنيفية وفق مقاييس جاهزة، ويرمي إلى تعليم مادته، وموضوعه، بينما "علم الأسلوب" علم وصفي يقوم بتفسير سمة الأدبية التي تشد نسيج النص بعيدا عن المعيارية، ويسعى إلى تحديد الظاهرة الإبداعية بعد أن يتحدد

---

[1] ينظر: شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، ص 13/09.

[2] إبراهيم الرماني، مدخل إلى الأسلوبية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 44.

[3] بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 29.

[4] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 48.

وجودها الفعلي" [1]، هذا إضافة إلى "تعالي منحى البلاغة، وفصلها بين الأغراض، والصور، وتصورها للأشياء تصورا نظريا بموجبه تسبق الأشياء وجودها، في الوقت الذي يتجه "علم الأسلوب" اتجاها اختباريا، ويتصور الأشياء تصورا وجوديا بمقتضاه لا تتحد للأشياء ماهياتها إلا من خلال وجودها، لذا اعتبرت أن الأثر الأدبي معبر عن تجربة معيشة فرديا" [2]، يتقاطع فيه الدال والمدلول مكونين للدلالة .

من خلال هذا الكلام يمكن القول أن صلة "علم الأسلوب" "بالبلاغة" صلة نسب، فهو "يتقلص في مباحثه حتى لا تعدو أن يكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي، وينفصل أحيانا عن هذا النموذج، ويتسع إلى حد يكاد يصبح فيه نفسه بلاغة مختزلة في علم الأسلوب" [3]، ويذهب "جورج مونين" "*Georges Mounin*" إلى "أن كل أسلوبيات تفضي إلى بلاغة، وأن كل نظرية لا تفسر لماذا تصبح كل أسلوبيات بلاغة لن تبلغ منابع سر الأسلوب" [4].

أما عن المفارقات الموجودة بين علم الأسلوب والبلاغة يتحدث عنها "عبد السلام المسدي" قائلا: "وأن من أبرز المفارقات بين المنظورين البلاغي والأسلوبي، أن البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية، ويرمي إلى تعلم مادته وموضوعه "بلاغة البيان"، بينما ينفي علم الأسلوب عن نفسه كل معيارية، ويعزف عن إرسال أحكام تقييمية بالمدح، أو التهجين، ولا يسعى إلى غاية تعليمية البتة، فالبلاغة تحكم بمقتضى أنماط مسبقة، وتصنيفات جاهزة بينما يتحدد علم الأسلوب بقيود منهج العلوم الوصفية، والبلاغة ترمي إلى إحداث الإبداع بوصايا التقييمية، بينما يسعى علم الأسلوب إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن يتقرر وجودها" [5]؛ فالبلاغة اعتمدت فصل الشكل عن المضمون في الخطاب اللساني فميزت في وسائلها العلمية بين الأغراض والصور، بينما يرغب علم الأسلوب عن كل مقياس ما قبلي ويرفض مبدأ الفصل بين الدال والمدلول، إذ لا وجود لكليهما إلا متقاطعين، ومكونين للدلالة، فهما لها بمثابة وجهي ورقة واحدة.

الجذور البلاغية لعلم الأسلوب:

من الملاحظ "أن تحديد الأسلوب يعدّ من أبرز قضايا الأسلوبية المعاصرة، حيث قدّمت في هذا الشأن جملة من الصيغ النظّرية المتباينة، سعيا لضبط هذا المفهوم الذي أصبح موضوع هذا العلم اليافع، والذي نشأ في حضن اللسانيات، وإن كانت جذوره في البلاغة القديمة [6]، وتظهر هذه الجذور جليا عند "عبد القاهر" من خلال "نظرية النظّم" التي كانت "قد أرست أسسها على هذا المفهوم نفسه، لأنها تعتمد على العلاقات اللغوية التي يأتي بها التعبير في المقام الذي يقتضيه الكلام، ولا يفهم من نظرية النظم أنها هي الأسلوب وحده، كما ذهب إلى هذا الرأي الأستاذ "أحمد

---

[1] نفسه، الصفحة نفسها.

[2] نفسه، ص 48، 49.

[3] هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية "نحو نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999 م، ص 19.

[4] رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ص 49.

[5] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 53.

[6] محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 01، جويلية، 2001 م، ص 55.

الشايب" حين قرر أن النظم يقابل الأسلوب، وآثر في استعماله مصطلح الأسلوب على مصطلح النظم" [1]، وفكرة الصياغة في "النظّم" عند "عبد القاهر" تقابلها فكرة "الأسلوب" في "علم الأسلوب".

وتعتبر إشارة "بوفون" "*Georges-Louis Leclerc, Comte de Buffon*" المعروفة عن الأسلوب وتحديد مصطلحه، من الأمور التي تفرض ذاتها في البحث الأسلوبي حيث ينظر إليه من زوايا عديدة، وقد قال "إنّ الأفكار، والحوادث، والمكتشفات شركة بين الناس ولكن الأسلوب من الرجل نفسه، حيث يعتبر أنّ الأسلوب يخص صاحبه ويعدّ جزءا منه" [2]، كما أنهّ بصمة شخصية له، فلا يمكن أخذه، أو استعارة أبعاده منه، ولا يمكن نقله مطلقا لأن ذلك تشويه لملامح الكاتب بكل أبعادها فتتحول عند النقّل إلى ملامح أخرى لا تدلّ عندئذ على إنسان معين" [3]، وبما أنّ قول "بوفون" قد انتشر انتشارا واسعا في أوساط الدارسين، كان لزاما علينا الإشارة إليه في هذا السّياق.

ومن الملاحظ كذلك أن مصطلح الأسلوب عند "بوفون" قد نظر إليه نظرة جزئية حيث اقتطع من سياقه الكلي، واختصر إلى هذه الجملة "أنّ أسلوب الرجل هو الرجل نفسه" [4]، وقد نسب هذا القول خطأ إلى العالم الفرنسي "بوفون" كما توهم "محمد مندور" بقوله: "وفي الأدب الموضوعي تتركز شخصية الأديب، وعبقريته المميزة فيما يسميه الأوروبيون بالأسلوب... عندما نراهم يقولون إن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه وهذا التعريف غير وارد عند "بوفون"، ولا عند الأوروبيين بهذا المعنى" [5].

وقد أخذت هذه الجملة، وصيغت مرات عديدة حسب رؤية من أخذها، وأعيد تشكيلها في سياقها الثقافي لا في سياقها المتكامل الذي بترت منه، حيث عدّلت، وحمّلت من المعاني أكثر مما يدل عليه سياقها الأول، فهي في هذا النص تعني أكثر أنّ الأسلوب سمة شخصية في استعمال اللغة لا يمكن تكرارها" [6]، ولكن المتعمق في هذه الإشارة التعبيرية الاصطلاحية عند "بوفون"، سيوقن بأنه يريد بقوله هذا ربط التعبير الأسلوبي بكل أنواع النشاط الإبداعي للشخص، فكل فن يصوره المبدع يدخل في هذا الحيز الاصطلاحي، إنها إشارة ذكية لها دلالتها الابداعية، "فبوفون" من خلال هذا القول حاول ربط قيم الأسلوب الجمالية بخلايا التفكير الحية، والمتغيرة من شخص لآخر" [7]، ذلك لأن العمل الأدبي كتلة متلاحمة من قيم شعورية، وقيم تعبيرية.

---

[1] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، دار الفكر المعاصر دمشق، سوريا، ودار الفكر، بيروت، لبنان، 1999 م، ص 38.

[2] نفسه، ص 41.

[3] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 41.

[4] بيار جيرو، الأسلوبية والأسلوب، ص 22.

[5] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، ص 41، 42.

[6] شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي دار أنترناشيونال للطب والنشر، القاهرة، مصر، 1988 م، ص 24.

[7] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، ص 42.

وهذا المفهوم حاضر موجود عند "عبد القاهر"، حيث يرى أن المكون المركزي في أصل الكلام هو ذلك التلاحم القوي بين المنطلق اللغوي، والمنطلق الفكري، والمنطلق النفسي، لأن بناء التراكيب اللغوية، ونظم الكلام، وتأليفه، يحتاج إلى دقة في الفهم، وروية وبعُد في الرؤية، والبحث عن الدلالات المختلفة، وما يستتبعها من المعاني القائمة كلها على قواعد النحو" [1]، ومن هنا كان منهج "عبد القاهر" في النظّم هو النظير الكفء للدرس الأسلوبي الحديث، باعتباره يرتكز أساسا على النقد الأدبي بتحليل البنية اللغوية التي تصنعها قواعد التركيب، ومعاني النحو، والنقد عنده يواجه النص مواجهة مباشرة في أول خطوة انطلاقا من مكونات هذه البنية، ثم ينتقل إلى التعامل مع مقتضى معاني النص، ليصل في النهاية إلى تحديد مواطن الإبداع، أو مواقف التكوين، والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولذلك اقتضت الضرورة أن يوصف منهج "عبد القاهر" بأنه منهج فقهي لغوي، وهو ما درسه الآن علم الأسلوب على اعتباره منهجا لسانيا يدرس النص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات، وهذا لا يعني أبدا عند الدارسين أن علم الأسلوب هو البحث الخاص بعلم اللغة، وإنما يعني العناية بأهمية العلاقة الجدلية القائمة بين النص الأدبي وطبيعته اللغوية، ومن هذا الاعتبار يهتم منهج "عبد القاهر" في جملته بهذا الترابط العضوي بين النص الأدبي، ومكوناته اللغوية، كنتيجة يخلص إليها في بحث نظرية النظّم" [2].

وباعتبار أن منشأ الأسلوبية كان نتيجة لمواصلة البحث في المنهج البنيوي الذي أسسه "دي سوسير"، فمن الطبيعي أن يستمر التطابق أيضا بين نظرية النظّم وعلم الأسلوب، وهذا ما تناولته الدراسات المقارنة التي تثبت أن "عبد القاهر" يلتقي مع كثير من المحدثين الغربيين في آراء تخصّ مجال النقد التطبيقي، ومن المحاولات الجادة التي وقعت بين أيدينا والتي تتبوأ منزلة من التفوق العلمي، وظهرت فيها آثار "الشيخ عبد القاهر" جليا، الدراسة المقارنة التي أجراها "محمد عباس" في كتابه "الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني"، والتي قدّم فيها نقاط التلاقي بين العالمين "عبد القاهر الجرجاني" و"جون ليونس" "*John Lyons*"، وكذلك الدراسة المقارنة التي أجراها "شوقي علي زهرة" في كتابه "الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري" حيث التقط نقاطا كثيرة تقاطع فيها الناقدان.

يرى "جون ليونس" "أنّ تحديد أي نص أدبي لأيّ أديب لا يعدّ هدفا في حد ذاته، وإنما هو مرتبط ارتباطا وثيقا بدراسة خصائصه التي تحدث أثرا معينا في القارئ، فإنّ علم الأسلوب بهذا المعنى يندمج بما يسمى قديما بالبلاغة، وبالإمكان وضع تمييز بين علم الدلالة وعلم الأسلوب" [3]، وهذا التوجه في دراسة النص الأدبي دراسة بلاغية دلالية، اعتمده "عبد القاهر" في تصانيفه بشكل واسع، حيث ربط دراسة النظّم بالمعرفة البلاغية، وأرجعه إليها، لأن هذه المعرفة تخدم القارئ في العملية النقدية التي يجريها على العمل الأدبي، فإذا جهلها دخل الخطأ منهجه في التمييز بين نظم ونظم، وهذا نتيجة غفلته، ويظهر ذلك في قوله: "لا جرم أن ذلك قد ذهب عن معرفة البلاغة، ومنعهم أن يعرفوا مقاديرها، وصدّ أوجههم عن الجهة التي هي فيها، والشق الذي يحويها .. وليت شعري إن كانت هذه أمورا هينة، وكان المدى فيها

[1] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، ص 42.

[2] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، ص 42/ 44.

[3] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، ص 47.

قريبا، والجد يسيرا، من أين كان نظم أشرف من نظم ؟، وبم عظم التفاوت ؟، واشتد التباين ؟، وترقى الأمر إلى الإعجاز؟، ... أوليس هذا التهاون إن نظر العاقل خيانة منه لعقله ودينه ؟، ودخولا فيما يزري بذي الخطر؟ ويغض من قدر ذوي القدر" [1].

ويتواصل التلاقي بين "عبد القاهر" و"جون ليونس" في مواقف كثيرة منها موضوع علم الأسلوب، وعلاقة المتكلم وتحكمه في نوعية الأسلوب، بعيدا عن موقفه الاجتماعي الذي تناوله "جون ليونس" نافيا صلته بصناعة السياق، وهذا الرأي نجده حاضرا في نظرية النظّم حين يتناوله "عبد القاهر"، ويبين علاقته بالمتكلم، سواء أكان شاعرا، أم كاتبا، وبتعامله مع طبيعة الأسلوب من حيث العناية، أو التوسعة، وارتباطه بالكلام وحده دون مراعاة الأحوال، والمقامات، والنظّم بهذا المفهوم عند "عبد القاهر" يطابق الأسلوبية في المفهوم الحديث.

و"يرى ليونس" أن نوعية الصوت وحدها، والسّمات اللسانية كما سماها غير كافية بمفردها في إقامة الأسلوب الكامل الذي يعبر عن صاحبه، وإنما هي في تصوره جزء من البناء الكلي للأثر الأدبي الذي يحدد هذه الأشياء التي يبتغيها المتلقي في معرفته، وهذا المنعطف يعدّ نقطة تلاقي بل تطابق مع منهج "عبد القاهر" في اعتباره أنّ اللفظ، وجرس الصوت من جزئيات الأسلوب التي تقوم بإحداث أثر محدود في السياق وصفته، فاللفظ وحده لا يعدّ من الأدوات الأساسية في صناعة النص، وفي تحديد أسلوب الكاتب.

ويقرّر "ليونس" أنّ القضايا التي تصنع النص، وتوجه نمطه التعبيري، هي خصائص علم الأسلوب كاستعمال صيغة، أو عنصر دلالي ما، أو تركيب نحوي ما، وهذا يظهر واضحا في منهج "عبد القاهر"، فهو يبدأ بالصيغة التعبيرية، ثم التركيب النحوي، ويختمها بالتفسير الدلالي الذي يميز المعنى في كل حالة من الحالات ذات الموقف الواحد، وهذه هي الطريقة الكلامية التي أطلق عليها "جون ليونس" "نمط التنوع الأسلوبي"، والذي تحكمه إرادة المتكلم" [2].

أمّا "جون ميري" "*John Murry*" فقد أسس رؤية مميزة للنقد الحديث اتسم بها وذلك من خلال سعة فنية ضربت في اتجاهات شتى اعتمدت على التأصيل، والتحليل الذي عرف عند "عبد القاهر" في تراثنا العربي، وأول ما يلفت الانتباه هو استخدام الناقدين تعبيرات، ومصطلحات متلاقية في المعنى، فقد ترددت بينهما كلمات الخلط، الاعتقادات الفاسدة، الوهم، الغلط، والشك، وهذا أمر يدني من أمور التشّابه، والتلاقي بينهما" [3].

أمّا في حديثهما عن الأسلوب، ومصطلحه فإنّهما يلتقيان في أبعاد فنية تتجمّع في زاويتين:

الأولى: جاء الحديث عن ذكر الأسلوب كمصطلح من خلال عرض تطبيقي قام به "عبد القاهر"، وكذلك فعل "ميري"، فعند حديثهما عن الأسلوب يأتيان بالجوانب العملية "التطبيقية" التي تبرز الملامح الخاصة للأديب.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992 م، ص 87.

[2] محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، ص 51.

[3] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، ص 28.

الثانية: أشار "عبد القاهر" إلى عملية الاحتذاء، وبروز شخصية المبدع، وهذا في نصه الذي تحدث فيه عن الاحتذاء [1]، فشخصية المبدع "المبتكر"، لها طغيانها على المؤلف الثاني "المحتذي"، فمهما قدم هذا الثاني فإنه قد اعتمد كلية خصوصية الأول، وجهوده التشكيلية.

وهكذا أشار أيضا "ميري" "إلى العملية الاحتذائية بين الشعراء خاصة" [2]، وقد اعتمد كلا الناقدين الجوانب التطبيقية عندما تحدثا عن أصالة الأسلوب في مقابل الاحتذاء.

وإذا كان "عبد القاهر" قد نبّه إلى أنّ النظّم هو الوضع الصحيح للنحو، فإن "ميري" أشار إلى هذا الاحتراز بداية قبل الحديث عن الأسلوب، حين اعتبر العملية الإبداعية هي عملية تنظيمية خاصة، تبدأ بمراعاة الجوانب النحوية، وتظهر براعة الكاتب من خلال حركته الفنية الذاتية داخل هذا النظام النحوي" [3]، ومن هنا يُلاحَظ تطابق رؤية "ميري" هذه مع رؤية "عبد القاهر" التي تركز على أنّ النظّم ليس إلا تنظيما نحويا.

ومن نقاط التلاّقي أيضا أن ما تنبّه إليه "عبد القاهر" من قيمة صورة أبيات "كُثيِّر عزّة" يتفق مع نظرة النقد الحديث ذاته، التي تعتبر الصورة عنصرا فعالا في الإبداع الشعري، وإذا كان "ميري" قد فطن إلى قيمة الحركة التركيبية في أبيات "هاردي" "*Thomas Hardy*"، حيث يسمع أصوات الزمن نفسه من خلال حركة الجمل، فإن الجوانب الإيقاعية في قول "كُثيِّر" توحي بالحركة ذاتها، وكأنّنا نسير معه في رحلة العودة هذه من خلال تراكيبه الدالة على ذلك، ويربط "عبد القاهر" حركة الإيقاع بجوهر العمل الإبداعي من حركة الأفكار ذاتها، فالإيقاع عنده هو سلاسة الحركة التأليفية في سياقها، وتعليقها، فالسياق عند "عبد القاهر" شحنة من الانفعالات المحرّكة للمبدع" [4].

هذه باختصار أهمّ النقاط التي التقى فيها "عبد القاهر" مع عالمين فذّين من علماء الأسلوب، ولاحظنا أنّ هذا التلاقي وصل إلى درجة التطّابق، وكأنّ الرجلين اطلعا على مصادر "عبد القاهر" ودرساها ثم حذيا حذوه في تقديم الآراء، وإطلاق الأحكام المؤسسة لعلم الأسلوب.

وبذلك يمثلّ "عبد القاهر" محور المشهد الأخير من سلسلة الجهود السابقة عليه في دائرة النقد، أو دائرة النحو والبلاغة، حيث بلور الخطوات النقدية، والنحوية بعد استيعاب، وفهم، ويقف العالم اللغوي "جون ميري" في هذا المكان مع "عبد القاهر" في مجال النقد الحديث حيث ربط بين النحو والبلاغة في دائرة التطور النقدي الجديد، فالأسلوب عنده ليس إلا تشكيلا نحويا دلاليا، وهذا أمر حققه "عبد القاهر الجرجاني".

وبهذا تتضح عبقرية عربية سبقت منذ قرون ما انتهت إليه فلسفة الجمال في النقد الحديث، بعمق نظراتها، وآرائها التي أصبحت ذات قيمة علمية، وعالمية خالدة" [5]، فهو أوّل باحث في بلاغة الأسلوب، وكلّ من جاءوا بعده لفّوا

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 296.

[2] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، ص 53.

[3] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، ص 56.

[4] شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، ص 156.

[5] محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مطبوعات نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1997 م، ص 290.

لفّه، وتبعوا أفكاره في صياغة الأسلوب، وهم يقسّمون البلاغة إلى ثلاثة أقسام المعاني، والبيان، والبديع، وتعتبر هذه المتابعة في أحكامهم الأدبية مبنيةً على قاعدة صلبة من خصائص الأسلوب، وبلاغته، وهذا يجعلنا نجزم جزما قاطعا بوجود صلة مباشرة، وقوية بين نظرية النظّم العربية والأسلوبية الغربية.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم الرماني، مدخل إلى الأسلوبية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
2. بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
3. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998م.
4. رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
5. ابن الرشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 01، 2000 م.
6. الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م.
7. السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 02، 1987 م.
8. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م.
9. شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي دار أنترناشيونال للطب والنشر، القاهرة، مصر، 1988 م.
10. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02.
11. شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1998م.
12. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
13. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م.
14. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992 م.
15. فوزي عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005 م.

16.القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.

17.محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، دار الفكر المعاصر دمشق، سوريا، ودار الفكر، بيروت، لبنان، 1999 م.

18.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مطبوعات نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1997 م.

19.محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 01، جويلية، 2001 م.

20.ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر.

21.أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 01، 1971 م.

22.هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية "نحو نموذج سيميائي لتحليل النص"، ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999 م.

المحاضرة الثالثة عشرة

الأسلوبية والبلاغة 2.

توطئة:

يعد علم الأسلوب منهجا نقديا تطور بتطور علم اللغة، ويقوم بدراسة التحليل اللغوي، وهو من الدراسات الحديثة الآخذة في التطور، وعلى خلاف زعم بعض البلاغيين المحدثين الذين يعدون علم الأسلوب هو نفسه البلاغة الجديدة، أو فرعاً من فروع البلاغة القديمة، لابد من القول لكن علم الأسلوب يختلف عن البلاغة في غالبيته مناهجه وإن كان يرتبط بها في بعض المواضيع، وفي بعض قضايا التحليل اللغوي؛ لكن فاعليته تختلف في التحليل الأدبي أيضاً، وعلم الأسلوب أوسع مدى من البلاغة.

اهتم كثير من الباحثين المحدثين بدراسة التحليل البلاغي، والأسلوبي، والقياس بينهما بالتطبيق، نحو ما فعله "أسامة بحيري" في دراسته "البنية المتحولة في البلاغة الجديدة"، و"يوسف أبو العدوس" في كتابه "الأسلوبية النظرية والتطبيق"، و"ماهر هلال" في "رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية"، و"محمد عودة" في كتابه "تأصيل الأسلوبية في الموروث النقدي والبلاغي" وغيرهم، يستنتج من دراساتهم التطبيقية بين علم الأسلوب والبلاغة أن البلاغة تقوم بالتحليل الأدبي بعلومها الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، بينما علم الأسلوب يدرس أثراً أدبياً في ثلاثة مستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي، والمستوى التركيبي، وهذا أكثر شمولاً من البلاغة؛ إذ تدخل في دراسة الأسلوبية قضايا نحوية ولغوية.

اجتهد الباحثون في تحديد مفهوم الأسلوبية اجتهاداً بالغاً حتى الآن، وإن لم يتفقوا على مفهوم واحد، فثمة تعاريف عديدة لعلم الأسلوب ومن هذه التعاريف تعريف "مولينيه" "*George Molinie*" الذي يعتبره "فرعا من اللسانيات الحديثة مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية، أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات البيئات الأدبية وغير الأدبية" [1]، و"مولينيه" في هذا التعريف يشير إلى البعد اللساني لعلم لأسلوب، والباحثون يعتقدون أن اللسانيات ظاهرة غربية، ووليدة بيئة أوروبية، وأنها من الدراسات الحديثة، وإن كان الصراع محتدماً حول زمن نشأتها [2].

وعلم الأسلوب مخصص للتحليلات التفصيلية للأساليب الأدبية، أو للاختيارات اللغوية التي يقوم بها المتحدثون والكتاب في السياقات، والبيئات الأدبية، وغير الأدبية، وهذا يعني أن مجالات التحليل لعلم الأسلوب قد تجاوزت حدود اللسانيات فأخذت من علم الاجتماع، وعلم النفس فانضوت تحت مظلتها، وهذا يجعلنا نقول بأن علم الأسلوب قد مد يده إلى بعض العلوم من أجل إجراء تحليلاته.

بهذا التعريف يتسع مدى علم الأسلوب بحيث يتجاوز دائرة الأدب؛ أما "محمد سليمان" فيرد على هذه النظرية ويرى أنه لا يمكن التعامل مع الجوانب الأخرى مع النص الأدبي بالدراسات الأسلوبية [3]، وهو يحدد علم الأسلوب في

---

[1] جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 م، ص 09.

[2] ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م، ص 71.

[3] يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م، ص 67.

الأحكام اللغوية، ويذهب إلى أن علم الأسلوب ليس قادرا على تحليل الأحكام الثقافية، والاجتماعية، والحضارية، ولكن أكثر الباحثين يتفقون على تعريف "مولينيه".

يتفق نقاد الأدب على أن علم الأسلوب بين سنة 1968 م وحتى 1975 م كان ضيق المجال، فالدراسات اللغوية القديمة كانت تنحصر في الجملة، وهذا كان أعلى مستوى؛ ولكن الجملة لا تلبي حاجاتهم؛ لأن دراسة بعض الظواهر اللغوية، وتحليلها لا يمكن أن يتمّ إلا على مستوى النص [1]، وتقدمت الدراسات اللغوية عندما بدأت تدرس بنية اللغة من الجوانب الآتية: الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة والدلالة [2]، وبعدها شهد علم الأسلوب تحولاً جذرياً مع انتشار الدراسات اللسانية، وما تبع ذلك من هيمنة مناهج المدرسة البنيوية في ميادين العلوم الإنسانية، وقد أخذ هذا التطور منحيين اثنيين، وهما: منحى القاعدة العلمية الصلبة "المنهجية البنيوية"، ومنحى الاستقلال في إطار علم متكامل يتعامل مع العلوم الأخرى معاملة الند للند [3]؛ فمعدن علم الأسلوب البحث عن مقومات اللغة [4]، من العلوم الأخرى التي ترتبط بعلم الأسلوب بصلات وثيقة البلاغة، حيث يعدها بعض الباحثين وليدة البلاغة القديمة، وأطلقوا عليها البلاغة الجديدة، ويعتقد بعض الباحثين عكس هذه النظرية نحو "فان دايك" "*Van Dijk*" الذي يرى الأبنية البلاغية للنص ترتبط بالأسلوبية بصلات وثيقة، وتعرف جزء منها، ويعدها من صور الأسلوب [5].

ومع تطور علم اللغة في العصر الحديث ونشأة علم الأسلوب في الدراسات اللغوية، اهتم الباحثون بالجمع بين البلاغة القديمة والأسلوبية الحديثة الغربية، واجتهدوا في طرق تجديد البلاغة، وربطها بالدراسات الأسلوبية الحديثة.

هل علم الأسلوب هو الوريث الشرعي للبلاغة ؟.

برز علم الأسلوب علما جديدا من عباءة اللسانيات، واستوت علما متميزا ذا مناهج خاصة، وتوجهات معينة على مستوي التنظير والممارسة معا، حالت دون أن تبقى البلاغة تتبوأ لنفسها مكانا في الدراسات اللغوية، واللسانية الحديثة، ولم يشفع لها بقاء كثير من مباحثها في علم الأسلوب [6]، ورغم العلاقة الحميمة بين علم الأسلوب والبلاغة، ونقاط الالتقاء الكثيرة بينهما، فإن الفرق الرئيس بينهما لا يكمن في التفاصيل الدقيقة، لكنه يتمثل في نقطتين أساسيتين، هما: علمية علم الأسلوب، وشموليته، ورغم كل ذلك تجد كثيرا من الأسلوبيين يؤكدون على العلاقة الحميمة بين البلاغة وعلم الأسلوب، "فبيير جيرو" "*Pierr Giraud*" يؤمن بأن علم الأسلوب هو وريث البلاغة، و"هي بلاغة حديثة، ذات شكل مضاعف، إنها علم التعبير، ونقد الأساليب الفردية" [7]، أما "شكري عياد" فيرى أن علم الأسلوب ذا نسب عريق في العربية، لذلك،

---

[1] ينظر: محمد سليمان، ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، مكتبة يازوري، عمان، الأردن، 2007 م، ص 28.

[2] ينظر: محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1995 م، ص 203.

[3] محمود حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار القباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007 م، ص 21.

[4] جورج مولينيه، الأسلوبية، ص 07.

[5] ماهر هلال، رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2007 م، ص 204.

[6] يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 61.

[7] بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، ص 05.

فإنه يصدر كتابه "مدخل إلى علم الأسلوب" بقوله: "ولكنني إذ أقدم إليك هذا الكتاب لا أغريك ببضاعة جديدة مستوردة، فعلم الأسلوب ذو نسب عريق عندنا، لأن أصوله ترجع إلى علوم البلاغة " [1].

أولا: علمية علم الأسلوب:

لقد مهد اتصال علم الأسلوب بعلوم اللسان الحديثة الطريق أمامه لينهل من علميتها؛ وذلك بتناول طرق علمية تستخدم في إنتاج الخطاب، وتحليله، وإدراك أسراره، لتتعدى مجرد تأثير الحديث في الجماهير، إلى كيفية التأثير فيهم، "فعلم الأسلوب" "محاولة منهجية تركز على فهم النص من خلال لفتها لإدراك علاقته الداخلية، وللكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية، وهي تنحو منحى علميا من حيث أن معطيات موضوعها تتجوهر حول مادة مجردة هي اللغة" [2].

فمفهوما التجريبي والتنظيم التقني هذان اللذان يميزان العلم، نلمسهما إذا تأملنا العلاقات الأسلوبية جيدة، فهي تقوم على أساس دراسة الأسلوب، أو دراسة الإبداع الفردي، وتصنيف الظواهر الناجمة، وتتبع الملامح المنبثقة، حتى إذا بلغت عملية التصنيف درجة محددة في التجريد الذي يسمح برصد أشكال التعبير، وقوانينه العامة المستخلصة من البحوث التجريبية المتوافقة، أو المتخالفة مع ما استقر في الوعي النقدي من معطيات، بدأت تتحسس، وتتلمس الاتساق والانتظام المعرفي، والتقني فيها، فهي تتعامل مع الخطاب قبل ولادته باستخدام خلاصات دراساتها للخطاب – وبعدها، فوجودها سابق لوجود الأثر الأدبي، وتال عليه، وهي لا تنطلق في بحثها من قوانين سابقة، أو افتراضات جاهزة، كما أنه ليس من شأنها الحكم على قيمة العمل المنقود بالجودة، أو الرداءة، أو الاستناد في حكمها إلى معايير، ومقاييس معينة في صورة مسلمات، واشتراطات تهدف إلى التقويم الذي يسعى إلى غاية مرجوة، يبلغ بها المنشئ إيصال فكرة أو معنى، والتأثير، والإقناع، وبث الجماليات في النص، فعلم الأسلوب علم يدرس المتغيرات اللسانية إزاء المعيار القاعدي [3]، لا المتغيرات البلاغية إزاءه كسب.

ثانيا: الشمولية:

يتسع مجال علم الأسلوب وفائدته ليدرس الخطاب الأدبي من النواحي كلها دون أن يهمل شيئا من متعلقاته، على المستوى الطول والعرض؛ إذ إنه امتص على المستوى الطولي مستويات التحليل البلاغي لها، ومعها مستويات التحليل اللساني: النحوي، والصرفي، والصوتي، والمعجمي وغيرها، كما امتص على المستوى العرضي عمليتي: تركيب الخطاب اللغوي جميعه، وتحليله، في مستوياته المتنوعة: الصوت، والكلمة، والجملة، والفقرة، والنص، والخطاب.

وربما يكون هذا الشمول هو نفسه الذي أدى في النهاية إلى تنحية البلاغة جانبا لتصبح جزءا صغيرا لكنه مهم في سياق علم الأسلوب العام، فقصور البلاغة، وجمودها، وعدم تجاوزها بغض الإشكالات المعرفية، أتاح لعلم الأسلوب أن يكون البديل؛ إذ إنه وقف في دراسته عند حدود التعبير، ووضع مسمياته وتصنيفه، وتجمدت عند هذه الخطوة، ولم تحاول

---

[1] شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 07.

[2] رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، وعالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 58.

[3] نفسه، ص 55.

الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل، كما لم يتبين لها بالضرورة دراسة الهيكل البنائي لهذا العمل، وكان ذلك تمهيدا لحلول علم الأسلوب في مجال الإبداع بديلا يحاول تجاوز الدراسة الجزئية القديمة، وإقامة بناء عملي يبعد عن الشكلية البلاغية التي أرهقتها مصطلحات البلاغيين بتعريفات كادت تغطي على كل قيمها الجمالية [1].

وفي هذا السياق يشير "تودوروف" "*Tzvetan Todorov*" إلى محدودية مجال البلاغة حيث يقول إنها قد أضاعت هدفها النفعي المباشر "كما أنها لم تعد تدرس كيف يقوم الإقناع، واكتفت بصياغة الخطاب الجميل، فأدى بها ذلك إلى التخلي عن الخطاب السياسي، والقضائي، إلى آخره، ولم يبق لها إلا الأدب ميدانا تعمل فيه، ثم إنها تقلصت بعد ذلك أكثر فأكثر فلم تعد تعمل إلا في حدود خصائص التعبير اللغوي للنص، غير أن تطور الدراسات اللغوية أدى إلى مولد اللسانيات، وانفصالها عن الدرس البلاغي، فلما استقلت هذه بنفسها، نافست البلاغة في هذا الميدان أيضا واضطرتها إلى الانسحاب إلى جزء منه لتدرس الصورة فقط، ولكنها لم تلبث فيه إلا عشية وضحاها، فقد أخذت الدراسات الأسلوبية معززة بالدراسات اللسانية تغزو هذا الميدان كذلك، وتزاحمها فيه... ومهما يكن، فقد اختفت البلاغة من المناهج الدراسية كمادة إجبارية، كما آلت أقسامها إلى النسيان [2].

وبهاتين الميزتين المهمتين، وبمميزات كثيرة أقل أهمية، قام علم الأسلوب علما ألسنيا حديثا، لما استقرت قواعده، ومناهجه ضم البلاغة في لوائه، واعتبرها أداة مهمم، استطاع بها أن ينزل إلى خصوصيات التعبير في التركيب والدلالة على السواء، وأصبحت هي البلاغة الجديدة التي يمكث بها تعليم قواعد كتابة النص، أو تركيبه، وتحليله، على حد سواء، وبناء على هذا يقرر "بيير جيرو" و"صلاح فضل": "أن علم الأسلوب بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، أو مزدوج؛ إذ هي علم التعبير، وهي نقد الأساليب الفردية، ومن ثمة فهي فن للتعبير الأدبي وقاعدة في الوقت نفسه، وهي أيضا أداة نقدية تستخدم في تقويم فن كبار الكتاب" [3]، لكن دورها هذا لم يتكون دفعة واحدة بل أخذ ينمو ببطء تدريجي، يكتسب خلاله العلم الجديد تحديدا دقيقا لموضوعه، وأهدافه، ومناهجه، ويتبين ما ورثه من أمته، ليختبره، ويفيد منه [4].

ويشير هذا إلى أن علم الأسلوب لا يعني القطيعة الكاملة مع التراث البلاغي، فأسلوبية التعبير عند "شارل بالي" "*Charles Bally*" مثلا تنبع من البلاغة القديمة، وإن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة، كما أن كثيرا من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور، والأشكال التعبيرية ما زالت مصدرا جديرا بأن يؤخذ في الاعتبار في قسط وافر منه، حيث نجد مجموعة من الملاحظات، والتعريفات التي لا يستطيع الباحث الأسلوبي أن يهملها، وقد احتفظ "جاكبسون" "*Roman Jakobson*" من تراث البلاغة القديم بهذا الجزء المتصل بالصور، والأشكال المتمثلة في الاستعارة، والمجاز، والكناية؛ ليفسرها على ضوء مبادئ علم اللغة الحديث، ويوضح كيفية توظيفها الفني في الأدب، الأمر الذي يجعل كثيرة من الباحثين

---

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 61.

[2] ينظر: يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 61.

[3] بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 05.

[4] صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 134.

الأسلوبين يعتقدون أن المادة التصنيفية الهائلة التي تركها الأقدمون في البلاغة ما زالت صالحة للاستعمال في جزء كبير منها [1].

علمية الأسلوبية:

أثار علو علم الأسلوب نقاشات كثيرة، وخلافات واسعة بين الباحثين فتأرجح الأمر بين معارض ومؤيد، فأما المؤيدون فقد كثرت في تعريفاتهم لذلك كلمة "علم" ورديفاتها "موضوعية" ومشتقاتهما للدلالة على علمية علم الأسلوب، وأما المعارضون فقد خلت تعريفاتهم منها، يتحمس مثلا "عبد السلام المسدي" وهو السباق إلى نقل المصطلح، وترويجه بين الباحثين "العلمية الأسلوبية في غير موضع من مؤلفاته التي أفردها للحديث عن علم الأسلوب، ويرى أن التفاعل مع العقلنة التدريجية التي شهدتها العلوم الألسنية عامة، والتفاعل مع مناهج البحث المعاصر المستمدة من الإلهام العلماني قد أكسب علم الأسلوب مشروعية العلم" [2]؛ ولذلك نراه يفرد عنوانا خاصة في كتابه أسماه "العلم وموضوعه" [3]، تعزيزا للفكرة الدائرة في خلده، ويرى "عبد السلام المسدي" أن علمية علم الأسلوب قد جاءت بسبب "تطور نظرية المعرفة في الفلسفة المعاصرة، وميل، ونزوع العلوم اللسانية إلى العقلنة، والعلمانية" [4].

ويذهب المذهب نفسه سعد مصلوح إذ يميل إلى اعتبار الأسلوبية علم بل يذهب إلى " أبعد من ذلك حين يقرر أن لعلم الأسلوب عددا من العلوم تندرج تحته مثل: علم الأسلوب التأثيري، وعلم الأسلوب الموضوعي" [5] غير أن هذا التفكير في اندراج علوم تحت علم واحد مستبعدة " فالذي يعده من باب العلوم المندرجة هنا، ليس له من مستند إلا ما يقرره علم الأسلوب، وليس له من منهج تناول مصطلحات علم الأسلوب، ويشير "صلاح فضل" في غير موقع من كتابيه: "علم الأسلوب"، و"بلاغة الخطاب وعلم النص" إلى علمية الأسلوبية أيضا [6]، ويضاف إلى ذلك أن المنظر الأول للأسلوبية " بالي " يراها علما قائمة بذاته [7].

ويضع "صلاح فضل" "علم الأسلوب" في الزاوية ذاتها التي ذكرنا كل من "ماروزو" "*Jules Marouzeou*" و"كراسو" "*Marcel Gressot*"، حيث نادي كل منهما بشرعية علم الأسلوب، وعده علم له مقوماته، وأدواته الإجرائية، وموضوعه، ودعم هذا الرأي "جاكبسون"، و"ميشال ريفاتير" "*Michel Riffaterre*"، و"ستيفن أولمان" " *Stephen*

---

[1] يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 88.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 28/18.

[3] نفسه، ص 29.

[4] نفسه، ص 23، 24.

[5] سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصارة على المطلوب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 03، جويلية، 1985 م، ص 217.

[6] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004 م، ص 03، 04.

[7] شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1985 م، ص 29.

Ullmann" [1]، و"باختين" "*Mikhaïl Bakhtine*"، و"هنريش بليث" "*Heinrich Plett*"، وسواهم من الباحثين [2]، من مثل "عبد القادر المهيري"، و"ستاروبنسكي" "*Jean Starobinski*" [3]، و"طه وادي" [4]، و"نور الدين السد"، و"عبده الراجحي" [5]، و"برند شبلنر" "*Bernad Spellner*" [6]، و "فريد هوسن هولن" [7]، و"أحمد درويش" [8]، و"عدنان بن ذريل" [9]، و"شكري عياد" [10]، و"بيير جيرو" [11]، و"منذر عياشي" [12]، و"عمران الكبيسي" [13]، و"مازن الوعر" [14]، و"رنيه ويلك" "*René Wellek*"، و"أستن وارين" "*Austin Warren*" [15]، و"محمد عبد المطلب" [16]، ولولوع بعض العلماء السابقين، وتحمسهم الشديد للقضية حرص بعضهم على أن يحتوي العنوان كلمة "علم" للفت النظر، والانتباه، ولتوجيه الأذهان إلى هذه المنهجية العلمية، ومن هذه الكتب على سبيل المثال: "علم الأسلوب" "لصلاح فضل"، "مدخل إلى علم الأسلوب"، و"اللغة والإبداع"، و"مبادئ علم الأسلوب العربي"، و"البلاغة العربية"، و"علم الأسلوب" (ضمن اتجاهات البحث الأسلوبي) "لشكري عياد".

---

[1] ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والنقد الأدبيّ، منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، الثقافة الأجنبيّة، العدد 01، السنة الثانية، 1982 م، ص 43.

[2] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 17 وما بعدها .

[3] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 357.

[4] فتح أحمد سليمان، الأسلوبية، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990 م، ص 05.

[5] عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981 م، ص 20.

[6] برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م، ص 125.

[7] رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 143.

[8] أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998 م، ص 156/154.

[9] عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م، ص 171، ص 299، ص 297، ص 309.

[10] شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، دار أنترناشيونال للطب والنشر، القاهرة، مصر، 1988 م، ص 05.

[11] بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ص 05/ 07.

[12] منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990 م، ص 29.

[13] عمران الكبسي، إشكالية الجدل المعرفية بين النقد والأسلوبية، مجلة الأقلام، العدد 11، 12، الأردن، 1993 م، ص 63.

[14] مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995 م، مجلد 22، عدد 03، ص 141.

[15] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 24.

[16] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 184.

ومن الطبيعي– كباقي المعارف الإنسانية – أن يمتعض بعض الباحثين من القول بعلمية علم الأسلوب، ويقفوا من ذلك موقف المعارض، ومن هؤلاء العلماء، "كمال أبو ديب" الذي يذهب إلى "نزع العلمية عن علم الأسلوب معتبرا أن القول بعلميته، ومحاولة اكتشاف الخصائص الفردية في كل كيان لغوي، يشكلان أمرا يصعب فيه التوحيد بينهما، ويرى أنه من الصعب أن نوحد بين اكتشاف الخصائص الفردية المكونة التي لا يمكن أن تؤدي إلى مجموعة من القوانين التي تحكم تطور الحقل المعرفي، ومن هنا فإن الجمع بين العلمية، وعدم القدرة على الوصول إلى القوانين التي تحكم الحقل المعرفي، يشكلان عائقا يحول دون إعطاء علم الأسلوب مصطلح العلمية، ويحدد "كمال أبو ديب" غاية العلم بسعيه إلى اكتشاف سلسلة من القوانين التي تحكم المادة موضوع العلم" [1].

إن هذا الاعتقاد الغريب الذي يذهب إليه "كمال أبو ديب" ينفيه الواقع، ويثبت عكسه، فعلم الأسلوب "وإن تحرك في مجال اكتشاف الخصائص الفردية المكونة للنص، فهو يسعى إلى اكتشاف قوانين النص الذي تتعامل معه، وهي قوانين، وإن كانت تصور استخدامات فردية إلا أنها مستمدة من نظام عام تنتظمه قوانين عامة كتلك التي ينادي بها "كمال أبو ديب"، والاستخدامات الفردية تتبع في سيرها تلك القوانين العامة المكتشفة أصلا، ولو نظرنا إلى القوانين الطبيعية رأينا أنها تتشكل من حالات فردية تنطلق منها تلك العلوم لوضع قوانين عامة؛ إذ إن كل حالة طبيعية تنتظم في قوانين معينة خاصة بها، ويأتي العالم الطبيعي ليصل منها إلى القوانين العامة التي تضبط سير هذه الحالات، ونحن إذا نظرنا إلى علم الأسلوب وجدنا أنه في أحد ميادينه يسعى لمثل هذا التوجه فهناك علم الأسلوب العام الذي يجعل من أهدافه تقديم قوانين عامة للاستخدام اللغوي، وهو في مثل تقديمه لمثل هذه القوانين إنما ينطلق من حالات فردية تتجلى فيها سبل الاستخدام الخاص اللغة، ثم إن الجمع بين العلمية عند "أبو ديب"، وعدم القدرة على الوصول إلى القوانين التي تحكم تطور الحقل المعرفي مسألة ليس لها علاقة بالبحث الأسلوبي، وعلميته، وإنما بقدرة الأفراد العاملين على تحويل النتائج إلى قوانين بشكل أساسي.

وقد شغلت القضية "جوزيف ميشال" الذي قال: "ولا يصبح علم الأسلوب علما، لاقتباسه من علوم أخرى كالألسنية، والإحصائية" [2]، وباختصار يمكن القول إن مسيرة التجارب العلمية، وطبيعة تكون العلوم تنفي ذلك، ولهذا فإن تقبل هذا الرأي أمر بعيد، فعلم الفيزياء مثلا علم مستقل غير أنه يستفيد من علم الرياضيات ويعتمد عليه، ويستفيد من علم الكيمياء، والأحياء كذلك.

وعلى العموم لا تناقض، أو تعارض بين العلمية وعلم الأسلوب للاستعانة ببعض العلوم المساعدة في مجال بحوثه، كعلم الأصوات، ودراسة الألفاظ، والنحو المعياري، والنحو التاريخي، ودراسة اللغات العامة – التي هي فرع منها، بل يمكن أن نجد مدخلا هنا أيضا لعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الجمال، والبلاغة المتجددة، وكلها تساعد بلا شك في تحديد العلاقة كما وكيفا بين التعبير والإحساس، كما تحدد الظروف، والملابسات التي تم فيها تحديد هذه العلاقة، فليس على دارس الأسلوب أن يأخذ موقفا معياريا من هذه العلوم المجاورة، بل عليه أن يأخذ منها ما يناسب مهامه فيما يتعلق بدراسة

[1] سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصارة على المطلوب، ص 219.

[2] جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1984 م، ص 38.

الأساليب [1]، وعلى العموم لقد أصبح مصطلح تداخل العلوم حقيقة ثابتة وملموسة، خاصة في مجال الدراسات اللغوية [2]، وتمتد مساحة الباحثين المعارضين لتشمل "رجاء عيد" الذي يقول: "أن بعض المحللين الأسلوبيين يزعم أنه ينبغي أن يدرس الأدب دراسة علمية، وهذا أمر مشكوك فيه، ومن الصعب أن يحدث ذلك لأسباب متعددة" [3]، منها أن "علم الاسلوب مهما يمتد مجاله فإنه لا تستطيع أن يمتد ليغطي حقول الدراسة الأدبية بخصائصها المتعددة، وتفرداتها الفنية المختلفة" [4]، وأن إحصاءاته العددية الدقيقة زبد؛ " لأننا نتذوق النص بصورته الكلية الشاملة، وفي استمرارنا في قراءته ندرك حدسا، ونقنع وجدانا بعمله متأثرين شعوريا ولا شعوريا بوسائله الفنية التي لا تحتاج إلى إثبات عددي، كما يشبه "غراهام هوف" ذلك بقوله: إنا نشعر – مثلا – بأن الجو بارد من غير أن نحتاج إلى أن نتأكد، أو نستشير مقياس الحرارة" [5].

وفي مواجهة هذا التصلب في إبداء الرأي حري القول إن علم الأسلوب باتجاهاته المختلفة يستطيع بلا شك تغطية حقول الدراسة الأدبية بخصائصه المتعددة، وتفرداته الفنية المختلفة، خاصة إذا ما علمنا أنه يستفيد وينهم في اتجاهاته المختلفة من علوم، ومناهج، ومذاهب، ومدارس مختلفة، وعديدة، ثم إن هذه الإحصاءات ليست زبدا، ولا أعدادا بلا معنى لها؛ ذلك أنها خطوة داعمة أولى يتبعها خطوات من الشرح، والتحليل، والفحص.

ويذهب مع التيار نفسه "غريماس" "*Algirdas Julien Greimas*"، و"كورتيس" "*Joseph Courtès*" اللذان يقولان: "ليس علم الأسلوب إلا حقلا من الأبحاث ينضوي تحت التقليد البلاغي، ولكونه استند تارة إلى اللسانيات، وطورا إلى الدراسات الأدبية، فإن علم الأسلوب لم ينجح في أن ينظم نفسه داخل علم مستقل، ومع ذلك فـ"إن ما يذهب إليه "غريماس، وكورتيس" فيه شيء من المجازفة على الرغم من اعترافنا بما لهما من جهود في مجال الدراسات الأدبية والسيميوطيقية على الخصوص، ولكن نفي العلمية عن علم الأسلوب لا يستند إلى دليل علمي مقنع، فعلم الأسلوب استفاد من الحقول المعرفية، وبخاصة من اللسانيات، ولكنه استطاع أن يحدد شروط استقلاله كعلم قائم بذاته لدراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار.

وعلى النهج نفسه سار كل من "ويليام إمبسون" "*William Empson*"، و"غراهام هوف" "*Graham Huff*"؛ فـ"ويليام إمبسون" يرى "أنه ليس من المحتمل أن تكون الدراسة الأسلوبية للأدب يوما علم من العلوم، ولكن لا حاجة لها أن تكون فوضى من الأخيلة الذاتية" [6]، وأما "غراهام هوف" فيرى "أن جميع الادعاءات التحويل الدراسات الأدبية إلى علم أمر مشكوك فيه للغاية، فمن الصعب تصور وضعية الأمور التي ستصل إليها دراسة أسلوب المؤلف الفرد

---

[1] محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 216، 217.

[2] سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، مجلة الفكر، العدد 02، نوفمبر، 1984 م، ص 06.

[3] رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"،ص 183.

[4] نفسه، ص 183.

[5] نفسه، ص 183.

[6] غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985 م، ص 30.

في الحالة التي لا جدال فيها للدليل العلمي، وسيكون هناك دائما متسع لتضارب الآراء بصدد توزيع التأكيد، والأهمية النسبية للسمات المختلفة الملحوظة" [1].

وهناك تيار ثالث يتضمن عددا من العلماء الذين يجعلون من علم الأسلوب مرحلة تطورية علت الفن، ولما تصل بعد إلى العلم، في محاولة منهم للتوفيق بين وجهتي النظر السابقتين، فعلم الأسلوب عندهم "ليست علما حتى اليوم، ولكن مع تقنيات تزداد في كل مرة دقة سوف تكون قاعدة علم في المستقبل" [2]، ومن الذين ذهبوا هذا المذهب "شكري عياد"، و"خير الدين محمد".

على أية حال، يتم السبيل المعقود لحسم الشكوك حول قضية العلمية في إبعاد الآراء السابقة كلها، وتنحيتها، ثم إخضاع علم الأسلوب للأسس العلمية التي حددها العلماء حدا للعلم، فإن هي خضعت لها كانت علما، وإلا فهي غير ذلك مما قد نسميه منهجا، أو مذهبا، أو طريقة.

وببساطة إنّ علم الأسلوب يعتمد المنهجية العلميّة الواضحة، إذ ينطلق من معايير ثابتة، ومحددة، لتحديد عناصر اللغة، وتصنيفها، وتفسيرها" [3]، بعد أن عمد إلى بناء مصطلحاته، وإلى تحديد مفاهيمه، معتمدا المنهجية الواضحة التي تتوسل إقامة فرضيات فعالة عبر الملاحظات المحددة، والمؤقتة أحيانا، وتفسر هذه الفرضيات الملاحظات، وتتوسع بها؛ أحيانا تزيد منها، وأحيانا تهمل بعضها، إلى أن تصل إلى إقرار نظرية معينة [4].

وأخيرا، الإيمان بعلمية علم الأسلوب لا يمنع أن يكون نشاط بشرية ليس مستلبة من الممارسة البشرية الخطاءة، بحيث لا ينتج حقيقة مطلقة، أو وقائع مطلقة، أو ثقة مطلقة، فالنظرية العلمية نظرية من حيث الواقع تناظر الطريقة التي يرى فيها الإنسان العالم، وتخضع رهنا لانتفاعه بها.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م.
2. إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1991 م.
3. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م.
4. بيير جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.

[1] نفسه، ص 54.

[2] إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1991 م، ص 180.

[3] ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م، ص 139.

[4] نفسه، ص 140، 141.

5. جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م.
6. جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1984 م.
7. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م.
8. رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، وعالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
9. رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
10. سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصارة على المطلوب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 03، جويلية، 1985 م.
11. سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، مجلة الفكر، العدد 02، نوفمبر، 1984 م.
12. شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1985 م.
13. شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، دار أنترناشيونال للطب والنشر، القاهرة، مصر، 1988م.
14. شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م.
15. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م.
16. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
17. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
18. عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والنقد الأدبيّ، منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، الثقافة الأجنبيّة، العدد 01، السنة الثانية، 1982 م.
19. عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981 م.
20. عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م..
21. عمران الكبسي، إشكالية الجدل المعرفية بين النقد والأسلوبية، مجلة الأقلام، العدد 11، 12، الأردن، 1993 م.
22. غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985 م.
23. فتح أحمد سليمان، الأسلوبية، الأسلوبية: مدخل نظري ودراسة تطبيقية في شعر البارودي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1990 م.
24. مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995 م.

25.ماهر هلال، رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2007 م.
26.محمد سليمان، ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، مكتبة يازوري، عمان، الأردن، 2007 م.
27.محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1995 م.
28.محمود حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار القباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007 م.
29.منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990 م.
30.ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.
31.يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م.

المحاضرة الرابعة عشرة

علم الأسلوب وتحليل الخطاب.

توطئة:

أصبح الخطاب يشكل حق علمية تهتم به أبحاث علمية متنوعة، في وقت أضحى فيه النموذج اللساني نموذجا مهيمنة على مختلف العلوم والمعارف، من هنا، بات الخطاب يتحدد إما بالكلام المتبادل بين الأفراد الذين يكونون في عملية التواصل طور، مخاطبين، الأمر الذي يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والكلام؛ وإما يتحدد بكونه تعبيرا لغويا عن الفكر، الأمر الذي يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والفكر، هذا بالإضافة إلى أن للخطاب وظيفة تواصلية بين الناس وهم يتدبرون شؤونهم، وأمورهم الخاصة، والعامة، ويتبادلون الرسائل، خصوصا إذا اتخذت هذه الرسائل صيغة كلام، ما يطرح مسألة العلاقة بين اللغة والمجتمع.

من هنا، يجب على أي محاولة ولتحديد الخطاب أن تؤول بصاحبها في النهاية إلى تحديد العلاقات بين اللغة والفكر، واللغة والكلام، واللغة والمجتمع، واللغة والخطاب والأسلوب، وبينها كلها والممارسة الاجتماعية، أو الفعل الاجتماعي، فالخطاب متى كان كلاما منطوقا ليس إبداعا خالصا للمتكلم وحده، ومتى كان مكتوبا ليس نتاجا للكاتب وحده، بل هو في كل أحواله نتاج مشترك بين المتكلم والمتلقي، والمخاطب والمخاطب، والكاتب والقارئ، من حيث إننا كلما حللنا وضعا يتبادل فيه الناس الخطب والكلام، إلا وتبينا أن المتكلم متلق، والمخاطب مخاطب، والقارئ كاتب، وفي لعبة التحولات هذه، يصبح ممكن إنتاج الخطابات، وليست لعبة التحولات تلك إلا وجها من أوجه التفاعلات التي يتكون منها ما به يكون الإنسان إنسانة، وهو الفعل الاجتماعي، وللأسلوب دور في كل هذا.

الخطاب "المفهوم والتصور"

لقد حمل القرآن الكريم في آياته مصطلح الخطاب ومشتقاته عدة مرات؛ ارتبط معظمها بالأمر العظيم، أو المواجهة بالكلام، أو سبب الأمر، ولعل من أهم الآيات تلك التي حملت مصطلح الخطاب كانت في "سورة ص"؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [ص: 20]، وقوله: ﴿ **إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ [ص: 23] "[1]"، يقول "الزمخشري" في تفسير الآية الأولى: " فمعنى فصل الخطاب: البين من الكلام المخلص الذي يتبينه من المخاطب به لا يلتبس عليه" [2]، ويقول "ابن عباس" "رضي الله عنهما" وغيره فصل الخطاب هو "القضاء بين الناس بالحق، وإصابته، وفهمه،

---

[1] جاء في القرآن الكريم آيات أخرى تحمل هذا المصطلح، ومشتقاته كقوله تعالى: ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ** ﴾ [طه: 95]، وقوله تعالى في "سورة الذاريات" و"سورة الحجر": ﴿ **قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [الذاريات: 31] و[الحجر: 57]، وقوله تعالى: ﴿ **رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا** ﴾ [النبأ: 37]، وقوله: ﴿ **وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ** ﴾ [البقرة: 235]، وقوله في "سورة القصص": ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص: 23]، وغيرها من الآيات.

[2] الزمخشري، الكشاف، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1998 م، ج 5، ص 251.

ويقال أيضا: فصل المعنى وإيضاحه" [1]، ويقول في قوله تعالى: ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾ [ص: 23]، "وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل" [2]، ومن معاني الآية أيضا: "أوجه مني فإذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامي، وقوته أعظم من قوتي" [3]، وقيل أيضا: "هو الإيجاز يجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل" [4]، ومما نلاحظه في سياق ورود لفظ "خطاب" في هذه الآية الكريمة أن الخطاب مقرون بالحكمة.

فاللفظ القرآني يحيلنا إلى المعنى العميق لمصطلح "خطاب"، فيصبح معنى الخطاب هنا هو البيان الشافي في كل قصد، وهذا قد يخرج مصطلح "الخطاب" عن المفهوم اللغوي بحسبانه مراجعة للكلام، أو الكلام الذي يقصد به الإفهام، ويرتقي به إلى مستوى أرفع شديد اللصوق بمعنى الحكمة التي هي وضع الأمور في موضعها، وتدبيرها على ما ينبغي لها، ويتلاقى المفهومان اللغوي والقرآني، في التأكيد على الدلالة السامية للخطاب على اعتبار أن "فصل الخطاب" لا يتم على الوجه الأفضل، إلا إذا اقترن بالحكمة، وكان القصد منه تبيان وجه الحق على أكمل الوجوه، وأتمها؛ فالخطاب من الناحية اللغوية هو الكلام الذي يقصد به الإفهام، إفهام من هو أهل للفهم والكلام الذي لا يقصد به إفهام المتلقي، فإنه لا يسمى خطابا.

مصطلح الخطاب في المعاجم اللغوية

إن اللغات على حد تعبير "ابن خلدون": "كلها ملكات شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع" [5]؛ ولعل هذا هو ميدان علم الدلالة دراسة الخطاب للوصول إلى كنه المعنى سواء أكان صيغا إفرادية، أم بنى تركيبية.

أما الخطاب فيكاد يرتبط بالأساس بالدلالة اللغوية لمعنى الخطب وهو "الشأن، أو الأمر، صغر، أو عظم" [6]، وقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الذاريات: 31]، ويقول "ابن فارس": "الخاء والطاء

---

[1] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث اللغوي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م ج 5، ص 61.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج 5، ص 254.

[3] الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج 5، ص 63.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 01، 2006م، ج 18، ص 149.

[5] ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة بمراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م، ص 764 .

[6] ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998 م، ج 14، ص 1194، مادة "خطب"، وابن سيده، المحكم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 م، ج 5، ص: 122، مادة "خطب".

والباء، أصلان أحدهما بين اثنين يقال: خاطبه خطابا، والخطبة من ذلك والخطبة الكلام المخطوب به، والخطب: الأمر يقع؛ وإنما سي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة" [1]، والخطاب، والمخاطبة: "مراجعة الكلام، واسم الكلام الخطبة" [2]، ومن معاني الخطب أيضا "سبب الأمر، وأيضا فلان يخطب امرأة، ويختطبها خطبة" [3]؛ ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء**﴾ [البقرة: 235]، ويظهر من المعنى اللغوي للخطاب من خلال تواصلية اللغة، ذلك باعتماده على المنطوق في حالة المحاورة، ويضاف إلى ذلك الخطاب المكتوب في حالة المراسلة.

الخطاب اصطلاحا

من خلال الدلالة اللغوية لمادة "خطب" التي من خلالها يتحدد البناء الدلالي، والبياني لمفهوم الخطاب من خلال اعتباره "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه" [4]، وقد اعتبر "الراغب الأصفهاني" الخطاب ما ينفصل به الأمر" [5]، وهو عند "الكفوي" "الكلام الذي يقصد به الإفهام" [6]؛ أما الخطب فهو الأمر الذي يكثر فيه التخاطب وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ**﴾[طه: 95]، وقوله جل علاه أيضا: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ [الذاريات: 31].

إن مصطلح الخطاب إشكالية تصعب الإحاطة بها سواء في التراث، أو في الفكر العربي المعاصر، الأمر الذي دفع الدارسين، واللغويين إلى وضع تصورات منهجية يكون الهدف من ورائها القبض على الآليات المؤسسة له، وهكذا تعددت الرؤى، واختلفت طرائق دراسته بين هذا الدارس أو ذاك، وبذلك يكون مفهوم الخطاب، مفهوما إجرائيا يساعدنا على فهم بعض المرتكزات التي يقوم عليها الفكر اللغوي في التراث خاصة كونه خطابا مكتوبا من جهة، وتحديث هذا الفكر اللغوي التراثي من جهة ثانية؛ فالفكر اللغوي في التراث خطاب منفتح ينبغي قراءته باستمرار، كما ينبغي أن تتعدد القراءة؛ لأن تعدد القراءة سيفضي بنا إلى مفهوم التحليل والتأويل، والبحث في الخطاب، هو في جانب آخر، بحث في سلطة النص، ومن ثم فإن البحث عن التراث هو بمثابة بحث في خطاب هذه السلطة.

الخطاب في اصطلاح المحدثين

ما انفكت الظاهرة اللغوية تبسط أمام الفكر البشري صنفين من القضايا "أحدهما نوعي والآخر مبدئي عام، فأما الصنف الأول فيتمثل في عناصر اللغة باعتبارها نظاما مخصوصا له مكوناته الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية، وأما الصنف الثاني من القضايا فيتصل بالمشاكل المبدئية التي يواجهها الناظر في اللغة من حيث هي

---

[1] ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979م، ج 2، ص 198، مادة "خطب".

[2] الخليل، العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م ج 9، ص 419، مادة "خطب".

[3] نفسه، الصفحة نفسها.

[4] التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م، ج 1، ص 749 .

[5] الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008 م، ص 150.

[6] أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1998م، ص 419.

ظاهرة بشرية مطلقة" [1]، فمن خلال قراءتنا لبعض كتب المحدثين المختصة في مجال تحليل الخطاب يتبين لنا أن هناك نوعا من الترادف بين "النص" "*texte*"، و"الخطاب" "*discours*"، و"التلفظ" "*prononciation*"، والقول أو الكلام " *parole*".

ولعل القول هو المقصور على الخبر القائم بنفسه، وأقل ذلك اسم وصفة، والخبر من حيث الدلالة يدل على كل جزء فيه على شيء من معناه، كما يتأكد القول ويزداد بيانا بجملة من اللواحق والروابط هي القرائن السياقية التي تفيد معنى جديدا أو تقوي معنى قديما وغيابها في القول لا يؤثر في بناء الخبر في جملته، ويذهب "بول ريكو" *paul ricoeur*" إلى أن "كل خطاب تثبته الكتابة فهو نص" [2] لكنه يفرق في الوقت نفسه بين النص والكلام "فعندما يأخذ النص مكان الكلام، يحدث شيء ما مهم في تبادل الكلام، يكون كل من المتكلمين حاضرا بالنسبة للآخر، وكذلك يكون الوضع المحيط، والوسط الظرفي للخطاب دالا تماما إلا مقارنة بهذا الوسط الظرفي للخطاب" [3]، وهذا ما يأخذنا إلى الخطاب المنطوق والمكتوب، ومما يشد انتباهنا أيضا أن الدراسة التحليلية تهتم بالخطاب المكتوب أكثر من الخطاب المنطوق وبخاصة إذا تعلق الأمر بالخطاب الديني الحامل في طياته الفكر الطائفي والعقدي، الذي يتكون عادة من كم هائل من الشفرات اللغوية، فاللغة في الخطاب الديني العقدي هي الشفرة أو مجموع الشفرات التي ينتج المتحدث استنادا إليها رسالة معينة" [4]، وأما مصطلح القول والكلام فعادة ما يطلق على الخطاب المنطوق، وأما مصطلح الخطاب فيحمل كل من الوجهين المكتوب والمنطوق؛ وعليه فإن الخطاب أعم من النص في مصطلحه.

فالنص يقوم على الإظهار والتراكم والتعيين؛ فالخطاب "ما يقوم بين طرفين: أحدهما مخاطِب، وثانيهما مخاطَب" [5]؛ فالقول والنص يحتاجان إلى عملية التلفظ والخطاب، فالخطاب "*Discours*"، والتلفظ "*Prononciation*" أعم من "النص" "*Texte*"، والقول أو الكلام "*Parole*"، وعليه "فالخطاب هو الواقعة اللغوية" [6]، زد على ذلك أن الخطاب مدونة نصية لحدث كلامي متعدد الوظائف حسب الهدف الإيصالي المبلغ عنه بنية إحداث أو إبلاغ أمر ما باستعمال اللغة منطوقة كانت، أو مكتوبة الغرض منها التواصل.

---

[1] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط 02، 1986 م، ص 15، 16.

[2] بول ريكو، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 01، 2001 م، ص 105.

[3] نفسه، ص 107.

[4] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط01، 2001 م، ص 25.

[5] محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م، ص 34.

[6] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ص 34.

ذلك أن الخطاب يقوم على ركائز باعث للخطاب ومتلقي هذا الخطاب، وبينهما رسالة خطابية على نحو ما يصوره لنا جاكبسون "*R. Jacobson*" للوظائف التي تؤديها اللغة [1]، لكن من الضروري أن يكون المرسل والمتلقي على علم باستخدامات اللغة، وشفراتها، "فالشفرة اللغوية هي التي تضفي البنية المحددة على الأنظمة اللغوية، التي نعرفها بوصفها لغات متعددة تتكلمها جماعات لغوية مختلفة" [2] فعلى كل من باعث الرسالة الخطابية والمتلقي إدراك العلاقات الصوتية، والصرفية، واللغوية، والدلالية الأسلوبية التي تكون النظام البنائي للغة.

وهذا ما يجعل من الخطاب "جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها حتى لتكاد تكون مغلقة" [3]، وهذا ما يفرق بين النص والخطاب "فالنص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة منسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة منسقة منسجمة" [4]، وأما الخطاب فهو "مادة قارة لها بذلك طواعية للترشيح الاختباري، ومقومات هذه النظرة اعتبار الخطاب في بنيته الصورية بعد ضبطه في وحدات لغوية متعاضدة" [5]؛ فهو كل ما يتعلق بما هو لغوي مكتوبا كان أم شفويا، مقصودا أو عفويا، بكل أشكاله التعليمية السيميائية الرسمية حتى وغيرها، باختلاف أبعاده ووظائفه وحالاته، مما يفرض قطبين تجري بينهما عملية تواصل، ويعتبر "لالاند" "*André Lalande*" الخطاب "عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة" [6]، فاللغة لا تعني "القدرة على التحدث، ولا الكفاءة المشتركة على التكلم، بل تشير إلى البنية الخاصة للنسق اللغوي الخاص" [7]، ولأهمية الخطاب يمكن لنا اصطلاحا أن نقول أن مصطلح "الخطاب" في الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة أعم من مصطلح "النص" و"الكلام".

في مصطلح التحليل:

إن الحديث عن ماهية اللغة، يقودنا إلى تلك العلاقة بين الإنسان، والظاهرة اللغوية فحقيقة الوجود الإنساني ترتكز بالأساس على الحدث اللساني؛ إذ التركيبة الطبيعية لهذا المخلوق تقتضي البعد اللغوي المنحصر في جوهر وجوده بالكلام، فالإنسان تفاعل مع الظاهرة اللغوية منذ النشوء البشري، ذلك من عدة جوانب كونه ناطقا بها، ودارسا لها في نفس الوقت، فاللغة كيان في الإنسان موجود في ذاته، مجسد في الحدث الفعلي للكلام، وعليه أظهر الإنسان اهتماما بالغ الأهمية بمختلف القضايا اللسانية منذ عصور قديمة على أنها ارتبطت في بادئ الأمر بالقضايا الاجتماعية عند بعض المجتمعات، وأخذت منحى العلمية عند المجتمعات التي كانت العقيدة الدينية لها الدور

---

[1] تمام حسان، الأصول، دار الكتب، القاهرة، مصر، 2000 م، ص 347.

[2] بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ص 24.

[3] نور الدين السد، الأسلوبية والأسلوب وتحليل الخطاب، دار هومه للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر، ج 2، ص 67.

[4] محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، ص 35.

[5] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 2، ص 67.

[6] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 02، 2001 م، ج 1، ص 287.

[7] نفسه، ص 25.

الأوفر في الحياة الاجتماعية؛ إذ تطلع الإنسان الناطق بهذه اللغة إلى معرفة لغة عقيدته، ولغة طقوسه الدينية، بدءا بالعقيدة الهندوسية عند الهنود وكتابهم "الفيدا" *Rig-Véda* ، مرورا بفلسفة الإغريق، وقوانين اليونان، وعقيدة التلمود عند اليهود؛ والدراسات العربية للقرآن؛ فالمناخ الديني أرسى أرضية صلدة لدراسة اللغة من هذا الوازع.

هذا المناخ الديني ألح على إعمال العقل والتفكير، فعملية التفكير *Pensée* هي عملية عقلية مركبة تتألف من مجموعة من العمليات التي يتم بها نشاط التفكير [1]؛ فالتفكير في الأمر تفكيرا أعمل العقل فيه، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى المجهول، وفكر في المشكلة أعمل الرؤية فيها ليصل إلى حلها، والتفكير عند معظم الفلاسفة عمل عقلي عام يشمل التصور، والتذكر، والتخيل، والحكم، والتأمل، ويطلق على كل نشاط عقلي، ومنه قول "رينيه ديكارت" *René Descartes*: "أنا أفكر؛ إذن أنا موجود" [2]؛ فالعمليات التي يتم بها نشاط التفكير هي: المقارنة *Comparaison*، والتجريد *Abstraction*، والتحليل *Analyse*، والتصنيف *Classification*، والتعميم *Généralisation*، والتركيب *Synthése*، والتنظيم *Organistion*، والاستدلال *Raisonnement*، والارتباط بالمحسوسات، وإذا خصصنا الحديث عن "التحليل" *Analyse* باعتباره من أهم عمليات التفكير نجده عكس "التركيب" *Synthése* الذي هو تأليف الكل من أجزائه، أما التحليل فهو إرجاع الكل إلى أجزائه، وهو تقسيم بنية الخطاب إلى وحدات أساسية وفق رؤية منهجية محددة سلفاً، وأما مصطلح "التحليلات" *Analytique* فهو عند "آرسطو" *Aristote* هو المنطق الصوري، وهي قسمان: "التحليلات الأولى" *Premiers Analytique* وتشمل على تحليل القياس، و"التحليلات الثانية" *Seconds Analytique* وتشمل على شروط المعرفة العلمية والبرهانية.

فالتحليل في اللغة يعني "الفتح"، جاء في لسان العرب "حل العقدة يحلها حلا: فتحها، ونقضها فانحلت؛ أي فككها" [3]، وذكر "الزبيدي" في "تاج العروس" أن أصل "الحل" هو حل العقدة؛ أي: فتحها، وفكها، يقول تعالى: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾ [طه: 27]، وحلّل الشيء: أرجعه إلى عناصره الأولى، وحلَّلْت اليمين أحلِّلها تحليلا: أي لمْ أفعلْ إلاَّ بقَدْر ما حلَّلتُ به قَسَمي أنْ أفْعَلَهُ ولمْ أُبالغ، ثمَّ كثُر هذا في كلام العرب حتَّى قيل لكل شيء لمْ يُبالغ فيه تحليلٌ، وتقول العرب "يا عاقد أذكر حلا"، وقد يقال: يا حامل اذكر حلاً يضرب مثلا للنظر في العواقب، وأصله أن الرجل يشد حمله على بعيره، فيسرف في الاستيثاق فيضر ذلك به وببعيره عند الحلول وأخذ المثل "أبو نواس" فقال:

يا عاقِدَ القَلبِ مِنّـــي هَلّا تَذَكَّرتَ حَلّا
تَرَكتَ جِسمي عَليلاً مِـنَ القَليلِ أَقَلّا

---

[1] ينظر: فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية المتحدة، ط 01، 1999م، ص 38 وما بعدها.

[2] ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود الخضيري، مراجعة محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1985 م، ص 214.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج 11، ص 169، مادة "حلل".

يَكادُ لا يتجزأ أَقَلَّ في اللَفظِ مِن لا
وَقَد مُلِئتَ لِعَيني شُحّاً عَلَيَّ وَبُخلا
فَما تَراني لِوَصلٍ وَإِن هَوَيتُكَ أَهلا [1]

وجاء في "الكليات" "للكفوي" قوله: "التحليل هو تكثير الوسائط، وإعادة المقدمات من الأسفل إلى الأعلى، وإنما يذكر للانتقاد" [2]؛ فالتحليل بهذا المعنى يعني التفكيك ***Déconstruction***؛ الذي يعد أهم حركة ما بعد بنيوية في النقد الأدبي فضلاً عن كونها الحركة الأكثر إثارة للجدل أيضاً، وربما لا توجد نظرية في النقد الأدبي قد أثارت موجات من الإعجاب وخلقت حالة من النفور والامتعاض مثلما فعل التفكيك في السنوات الأخيرة، فتفكيك الشيء إلى مكونات جزئية، تتيح لنا معرفة بنياته الداخلية "الصغيرة والكبيرة"، والخارجية، وبنية التفاعل فيما بينها، يقول "صامويل باتلر" ***Samewal Bateler*** : "يجب أن ندرس كل شيء في ذاته قدر الإمكان، وأن ندرسه – كذلك – من حيث علاقته؛ فإذا حاولنا النظر إليه في ذاته مطلقا، ونقطع النظر عن علاقته، فإننا سنجد أنفسنا شيئا فشيئا قد استنفذناه فهما ودراسة، وإذا حاولنا النظر إليه من خلال علاقته فقط، فسنكشف أنه لا توجد زاوية في هذا الكون إلا وقد احتل مكانه فيها" [3]، والتحليل أيضا كالتفكيك مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاطية على ما يسمى "الخطاب ***Discours***؛ إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك شكلا ودلالة، المكتوب والمنطوق إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة، داخلية وخارجية، من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية "الأسس المعرفية، والخلفية الفكرية، والأطر النظرية للخطاب"، التي ساهمت في تشكله؛ أي معرفة: "مضامينه، ومحتوياته، وغاياته، ومعاييره، وأغراضه، وجنسه، ونوعه....إلخ، ليتحقق التحليل؛ الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد، تتطلب من أجل التحكم فيها، معرفة موسوعية عميقة في التخصص بالإضافة إلى معارف رافده أخرى، من جهة؛ والتحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي يقودنا إليها "التحليل" كمصطلح جامع من جهة أخرى، منها مصطلح القراءة ***Lecture***، والتأويل ***Interprétation***، والتفسير ***Explication***، والاستنباط ***Elicitation*** ، والاستقراء ***Induction***، فالبحث اللغوي في الأسلوب كما يقول "روجر فاولر" ***Roger Fowler*** "يعتمد على رصد عدد المرات التي يتكرر فيها ورود الخصائص اللغوية المتغيرة، وأن النتائج ينبغي أن تُمثل بالطرق الإحصائية أو على الأقل بالأعداد والأرقام" [4].

---

[1] الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1993 م، ج 05، ص 115، مادة "حلل".

[2] أبو البقاء الكفوي، الكليات، ج 01، ص 265.

[3] جوليان بروان وجورج يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م، مقدمة المؤلف.

[4] روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة عفاف البطاينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2012 م، ص 25.

فالتحليل المرتبط بالمدونات الخطابية يقوم على مستويين أساسيين هما مستوى الفهم ومستوى التذوق، أما مستوى الفهم فيقوم على قراءة واعية متأنية تلتمس معاني التراكيب، والألفاظ، والعبارات، والعلاقات النحوية والفنية، وإدارة الحركة الجزئية في الخطاب، والحركة الكلية التي توجد جوانبه بوساطة التحليل، والتركيب، وأما مستوى التذوق فيقوم على قراءة متتالية متأنية تحلّل البني السطحية والعميقة الأصلية والفرعية، ورصف المعاني الإنمائية الدقيقة لتعزيز الفكرة الأساسية وتتبع المقويات الدلالية، والمعجمية، والمجازية، والفنية الخاصة، وتحيط بامتداد الخطاب وتبرز عمقه وتكتشف أبعاد التفكير، والتعبير، والتصويرية، وترابط أجزائه بالبيئة اللغوية، والاجتماعية، والفكرية، والبنية الفنية، وبذلك تتمثل المرجعيات، والأصلية، والحوادث، والأفكار ،والانفعالات، والآثار النفسية الجمالية، فينفعل بما يوحي به من عواطف، وصور الجمال.

وعليه يشمل تحليل الخطاب استرجاع المعلومات، التحليل المعجمي لدراسة شيوع الكلمات، التعرف على الأنماط اللغوية، الترميز اللغوي، استخراج المعلومات، تقنيات التنقيب عن البيانات متضمنا تحليل الروابط والصلات، التصور، والتحليلات التنبؤية، والهدف الأساس من هذه العمليات هو تحويل المدونات الخطابية إلى بيانات قابلة للتحليل عن طريق تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية، والأساليب التحليلية، كذلك يصف هذا المصطلح تلك التطبيقات الخاصة بتحليل الخطاب، فالتحليل من خلال كل هذا الكلام هو بيان أجزاء الشيء ووظيفة كل جزء فيها ويقوم على الشرح، والتفسير، والتأويل، والعمل على جعل الخطاب واضحًا جليّاً، ومن هذا المنطلق يركز الناقد على اللغة، والأسلوب، والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء والكل، لكي يصبح معنى الخطاب ورمزيته واضحَين، من حيث يعتمد التلخيص لما فيها من تنظيم المعلومات بشكل منطقي، وقدرةً على فهم الخطاب، لذا فإنّ قراءة الخطاب على عَجَلٍ لا تعد تحليلا، فإذا وقف القارئ أو المتلقي على المدونة الخطابية وقفة سريعة وفهم فيها الخطاب وأدرك مغزاه، وقرأ ما بين السُّطور، وكان على وعي بالدلالات الاجتماعية للألفاظ، وعرف عناصر الجمال والقبح فيه، دخل في منطقة النقد، والتذوق الأدبي، أما عملية التحليل الفني فإنها تحتاج إلى جهد، ووقت، وخبرة، وبحث.

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ التحليل: هو دراسة نقف بها على كشف خبايا الرسالة المنطوقة، أو المكتوبة، أو المرئية، كما نقف على جزئياتها، وعناصرها الأولية، ووظيفة كل منها بالشرح، والتفسير، والتأويل، دون مبالغة في ذلك أو إخلال فيه.

الأسلوب من زاوية الخطاب:

يرى أصحاب هذا الاتجاه الثالث أن النص الإبداعي، أو الخطاب هو الحامل الفعلي الأسلوب الأدبي، خاصة إذا أخذنا بفكرة موت المؤلف، وانفصال النص عن صاحبه لحظة انتهاء فعل الكتابة، وهذا المفهوم الرابط بين الأسلوب مفهوما والخطاب مصدرا لهذا المفهوم، ويستمد هذا المفهوم مبادئه من المنظور اللساني للظاهرة الأدبية، والأسلوب من جهة الخطاب "موجود في ذاته يمتد حبل التواصل بينه وبين لافظه، ومحتضنه لاشك، ولكن دون أن تعلق ماهيته على

أحد منهما" [1]، وقد قامت هذه الرؤية على فكرة "سوسير" في وصفه لمستويي الظاهرة اللغوية: مستوى اللغة، ومستوى الخطاب أو الكلام.

والأسلوب هو "العلامة المميزة لنوعية الكلام داخل حدود الخطاب، وتلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض ومن ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص وهي ذاته أسلوبه" [2]، وهذه البنية النوعية تقوم على خصائص انتظام المركبات للخطاب أي كما يرى "يمسليف" "*Louis Hjelmslev*" في "الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية [3].

ويعتمد تكوين الأسلوب بالنظر إلى النص على أنه "نوع من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي" [4]، وهو الخطاب الذي يعتبر "جاكبسون" "*Roman Jakobson*" أنه شكل تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وهو ما يفضي حتما لتحديد ماهية الأسلوب بكونه "الوظيفة المركزية المنظمة لذلك كان النص خطابا تركب في ذاته ولذاته" ؟ [5]، وعمل الأسلوبي انطلاقا من ذلك لا يعدو أن يكون تفكيكا للعناصر المكونة للخطاب في طريق العزل والضم، والأسلوب يتحدد على أنه "توافق بين عمليتين؛ أي تطابق جدول الاختيار على جدول التوزيع مما يفرز انسجاما بين العلاقات الاستبدالية التي هي علاقات غيابية يتحدد الحاضر منها بالغائب والعلاقات الركنية، وهي علاقات حضورية تمثل تواصل سلسة الخطاب حسب أنماط بعيدة عن العفوية والاعتباط" [6]، ومهمة الناقد الأسلوبي بذلك هي البحث عن القيم التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة، والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكل نظام الوسائل اللغوية المعبرة وذلك على مستويين هامين هما الاختيار والانزياح "والاختيار هو استعمال خاص للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات، والاحتمالات المتاحة، والتأكيد عليها في مقابل إمكانات، واحتمالات أخرى" [7]؛ أي أنه اختيار وحدات لغوية معزولة في مقابل وحدات أخرى يمكن أن تحل محلها، وتؤدي دورها.

أما الانزياح فلا يتم وجوده إلا في مقابل معيار يخرج عنه المبدع إلى مجالات أرحب تسمح له بالتعبير اصطلح "المسدي" وأخرون على تسميتهما "بالواقع الأصل، والواقع الطارئ، والنص بينهما تحسيد لغوي لكائن، وانفتاح خارج اللغة على كينونته في الغياب؛ أي أنه هو ذاته علاقة جدلية بين الحضور والغياب لا في كليته فحسب بل على مستوى

---

[1] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م، ص 83.

[2] نفسه، ص 90.

[3] محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م، ص 28.

[4] فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م، ص 22.

[5] محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، ص 28.

[6] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 96.

[7] سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 33.

مكوناته اللغوية أيضا" [1]، وباجتماع الاختيار والتركيب يمتلك الكاتب أداة مهمة في الكتابة الأدبية، غير أن حاجته إلى الانزياح تبدو أقوى لأنه الوسيلة الأهم للخروج باللغة من النمطية إلى الأسلوب الفني المتميز .

علم الأسلوب وتحليل الخطاب

لما كان النص في حركيته الإبداعية لا يستخلص إلا عن طريق التحليل، الذي يمثل الفهم السليم للنص في ذاته، لكونه يبرز وحداته اللغوية التي تؤلف شكله، فإن دراسة النص تتم بتحليل مستوياته المتعددة، و"تحليل قصيدة شعرية مثلا يستلزم وصف مختلف العلاقات التي تقوم بين المستويات المتعددة للقصيدة" [2]، تضمن هذه المستويات إجابات متعددة لما ينطوي عليه المركب النصي من مجموعة عضوية متكاملة، يفهم مجموعه بالدراسة الدقيقة لأجزائه، ووحداته اللغوية، ويتم التحليل الأدبي على مستويات، لكل منها وحداته الخاصة به اعتمد التحليل الأسلوبي على أجزاء الوحدات اللغوية وخصائصها التي يمكن أن تبحث جميعا على أساس كمي وإحصائي، والمعرفة العلمية للأدب التي تهدف إلى الموضوعية، تتم بهذا النوع من التحليل، فلا يتصف علم الأسلوب بالجدة إلا بإدراجه في إطار علمي، "وإذا حصل ذلك فإن النتيجة يمكن أن يكون لها بعض الحق في الادعاء العلمي" [3]، ولا يستغني أي علم عن الإحصاء، لأنه مفتاح منهجي مهم يفضي بنا بعد كل دراسة إلى حصر الخصائص الألسنية العامة لنسيج النص، بعد ملاحظة، وتشخيص، وقياس الظاهرة الأدبية.

ونحن نعلم بأن للعملية الإحصائية فضل بارز في عقلنة المنهج النقدي [4]، ومن هنا فإن علم الاسلوب يطبق الإحصاء والكم، لقياس تردد العدولات في اللغة، خاصة اللغة الشعرية؛ إذ يعتبر الكم في حد ذاته عاملا من العوامل البروز، والظهور، فالمواد التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة كفيلة بإثارة الانتباه بكمياتها نفسها، إن القارئ الناقد هو نفسه معيار الانزياح" [5]، ويعرف الانزياح الأدبي كميا بالقياس، واللغة الشعرية تصبح قابلة للقياس، والتشخيص الإحصائي، في الدراسات الأسلوبية التي تتبع بصمات الشحن في الخطاب عامة [6].

ولا يتأتى لها ذلك إلا بوصف الظاهرة الأدبية، وتمييز سماها اللغوية فيها، ثم تحليلها، وتأويلها بعد إظهار نسب، ومعدلات تكرارها، لتنتهي إلى إظهار السمات الأسلوبية للنص المدروس، وتعتمد في ذلك على أدواتها الإجرائية، مستثمرة معارف اللغة، وحقولها في وصف البنى السطحية، والبني العميقة في الخطاب، لتحديد الظاهرة الفيزيائية" [7]، لتنتهي بتحديد النظام العام للخطاب، والوصول إلى المؤثرات الموضوعية للنص.

---

[1] كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، لبنان، 1987 م، ص 19.

[2] إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي: دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 2013 م، ص 19.

[3] غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985 م، ص57.

[4] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دار أمية للنشر، تونس، 1991 م، ص 78.

[5] محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990 م، ص 29.

[6] عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص 29.

[7] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص 79.

وفي هذا وجدنا "سعد مصلوح" يرى بأن "التشخيص الأسلوبي الإحصائي يمكن اللجوء إليه حين يراد الوصول إلى مؤثرات موضوعية، في فحص لغة النصوص الأدبية" [1]، وتعتبر تلك المؤشرات وسيلة منهجية منطقية، يمكن استنفاذ الدرس الأدبي من ضباب العموم، والتهويم، وتخليصه من سلطات الأحكام الذاتية، التي تفتقد السند والدليل، وتسعى الدراسات النقدية إلى اعتماد منهج الأسلوبية الإحصائية، في تحليلها للخطاب الأدبي، إنها تتعدى الإحصاء، إلى الكشف عن التوظيف الأسلوبي والدلالي للظاهرة اللغوية المتواترة، في الخطاب، وبالتالي يتحول الكم الرقمي إلى كيف دلالي، فينحصر بذلك العمل عن الوجهة التقويمية المعيارية، التي تعتمد إطلاق الأحكام المعيارية، والارتجالية، إلى وجهة المعاينة الدقيقة، ذات الموضوعية [2].

وينظر إلى المعجم الشعري، وخاصيته الأسلوبية الفنية من خلال تواتره، وأساليب توظيفه، وتردده في سياقات محددة تفصح عن مكنونات الشاعر، وأحاسيسه، ولا تدرس الكلمات المحصاة للمعجم الفني خارج سياقها، بل تعالج ككل متكامل، لأن المعجم هو أحد العناصر الأساسية لبنيوية النص، فكلماته الطاغية في النص تؤلف خطابه، الذي تتضافر في نسجه العناصر الصوتية، والمعجمية، والمعنوي ويقوم المعجم بدور مهم في تركيب الجمل وفي معناها، لارتباطه بحياة اللغة ارتباطا وثيقا، حين يتردد في الخطاب بنفسه، أو بتركيب يؤدي معناه، لهذا فإن الدراسة التركيبة ترى في المعجم مكونا أساسيا، جوهريا تأسس عليه بنية الجملة، ويتحدد معناها، فالتركيب والمعجم بحسب هذه النظرة غير منفصلين، وعلاقتهما تكوينية ضامنة الإشغال اللغة" [3]، ولتصنيف المعجم لا بدل من القراءة الباطنية التأويلية، لكشف الدلالات المبينة، والدلالات المسكوت عنها، "لأنه لا تلقي بدون تأويل ولا تأويل بدون تلقي [4].

إن انتقاء المعجم اللغوي، وتوظيفه ضمن سياق معين يدل على دراية أسلوبية، لأن "إحدى مميزات اللغة الأدبية .. تعويلها المطلق على طاقتها الإيحائية دون الطاقة التصريحية" [5]، وتكشف بهذه الطاقة عن لغة المؤلف، وأسلوبه، ومختلف العلاقات التي تقوم بين مستويات الخطاب، فالكلمات تكتسب مدلولاتها الخاصة، والمميزة عبر العمل المشترك للسياق، وهي بالرغم من إحالتها إلى مدلول معين، تظهر في الوقت نفسه محملة بمدلولات أخرى ممكنة خاصة في الخطاب الشعري [6]، وتردد الحقول الدلالية في أي نص، وتعدد قرأها يفضي إلى تحديد هوية النص "فإذا ما وجدنا نصا بين أيدينا، ولم نستطع تحديد هويته بادئ الأمر، فإن مرشدنا إلى تلك الهوية هو المعجم، بناء على التسليم بأن لكل

---

[1] نور الدين السد، الأسلوبية والأسلوب وتحليل الخطاب، ج 1، ص 108.

[2] نفسه، ج 1، ص 120.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1986 م، ص 57.

[4] سعيد يقطين، من قضايا التلقي والتأويل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1994 م، ص 141.

[5] عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، ص 78.

[6] أمبرتو أيكو، المرسلة الشعرية، مجلة الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، العدد، 18، 19، 1982 م، ص 103.

خطاب معجمه الخاص" [1]، لكن القول بأن لكل خطاب شعري معجمه الخاص به أمر نسبي، فقد تكون للشاعر الواحد نفسه معاجم بحسب المقال والمقام فـ: "إنما الذي بعث في مثل ذلك اللفظ المعجمي الحياة الدلالية هو الفنان" [2].

ويضاف إلى ذلك أن المعجم قد يتراجع عن هيمنته في النص، ويترك الصدارة للظاهرة الصوتية، والتركيبية، كما أن سمة عدم الثبات هي خاصية المعجم الشعري، الذي يتغير حسب قدرات الشاعر على الإبداع، وعدم وحدانيته عبر الزمان والمكان ضمن لغة ما، جعل معجم الشعر متطور باستمرار، تتحكم فيه الشروط الذاتية والموضوعية.

فالشاعر يعيش بالكلمة في بيئته اللغوية، وفيها يتم الاتصال بينه وبين الأخرين في إطار أسلوبه الخاص، الذي هو "كيفية ممكنة ينبغي أن تسترجع في عملية الاستقبال" [3]، ونبحث بعلم أسلوب المعجم في وسائل تعبير الكلمات، وما يترتب على ظواهر نشأتها، في "اللفظ كان على الدوام جزءا نصيا بامتياز" [4]، إن النظر للمعجم الشعري الفني للشاعر لا يتأتى إلا بدراسة الحقول الدلالية بمنهجية إحصائية، وتسهم هذه الأخيرة بدور فعال في إظهار الترددات التي تشكل محاور معجمية، أو حقول دلالية، تضمن انسجام النص مع نفسه، ومع غيره من النصوص، يقول "محمد مفتاح" في هذا الصدد: "الطريقة الإحصائية تضع يدنا على بعض الترددات التي هي ذات مغزى، فلا أحد ينكر دورها في رصد المحاور التي يدور عليها الديوان، أو القصيدة، ولا أحد يجادل في أن تلك الترددات تضمن انسجام النص مع نفسه ومع النصوص الأخرى التي ينتمي إلى جنسها" [5].

وأثناء رصد المعاجم المتواترة والحقول الدلالية الطاغية في الخطاب، يتوصل الباحث إلى نتائج سليمة، وموضوعية، تتحدد على إثرها الخصائص الأسلوبية للدلالات اللغوية في العمل الأدبي، ولا يتم ذلك إلا بمنهجية علمية دقيقة تطبق قواعد، وإجراءات خاصة، ترسم الطريق بوضوح، وبصورة مستقيمة، ومع ظهور البنيوية في القرن العشرين، بتأثير من "لسانيات دي سوسير"، ودعوتها إلى دراسة النص من الداخل، وإقصائها لجميع السياقات الخارجة عن النص، راحت جل المناهج النقدية المعاصرة تحذو حذوها في قراءتها النصوص الأدبية، لذلك نجد علم الأسلوب من المقاربات التي اقتصرت في درسها للنص الأدبي على جانبه اللغوي، "ومن هنا فإن الجانب اللغوي هو مجال الباحث الأسلوبي، أما ما يتصل بالأثر الجمالي، أو تحليل عمل الشاعر، أو الروائي، أو المسرحي وجدانية، وجمالية، وموقف، أو سواه فكل ذلك يكون مهمة الناقد الأدبي بعد ذلك بصفة أكثر شمولية [6]، وذلك ما يطلع به النقد بشتى اتجاهاته.

---

[1] محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص 58.

[2] عبد الملك مرتاض، النص من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م، ص 86.

[3] برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م، ص 109.

[4] خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حامد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م، ص 183.

[5] محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ص 60.

[6] رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م، ص 33.

فعلم الاسلوب اتجاه من اتجاهات النقد الأدبي، إن لم نقل جزء منه، وإن كنا نجد أن كل من الباحث الأسلوبي، والناقد الأدبي يقوم بالممارسة لفعل القراءة كل حسب ما توفرت له من رؤية، وأدوات إجرائية، حينها لا نجد فرقة، أو احتواء أحدهما للآخر، مادام كل منها يحاول أن يقارب النص الإبداعي بأدواته الإجرائية، غير أن الناقد الأدبي يصبح أكثر منهجية عندما يستوعب، ويلتزم بأحد المناهج، يستقي منه أدواته، ليقارب النصوص الأدبية، فالنقد الأدبي لن يوفق في عمله مالم يستعن بمنهج نقدي من المناهج النقدية المعروفة سواء أكانت سياقية منها أم نسقية، كل بحسب أدواته الإجرائية، وطرائقه، ومقولاته في استنطاق النصوص الأدبية، وفهم العملية الإبداعية من ناص، ونص، ومتلق.

مصادر ومراجع المحاضرة:

1. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي: دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 2013 م.
2. الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008 م.
3. أمبرتو أيكو، المرسلة الشعرية، مجلة الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، العدد، 18، 19، 1982 م.
4. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 02، 2001 م.
5. برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م.
6. أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1998م.
7. بول ريكو، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 01، 2001 م.
8. بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط01، 2001 م.
9. تمام حسان، الأصول، دار الكتب، القاهرة، مصر، 2000 م.
10. التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
11. الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث اللغوي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م .
12. جوليان بروان وجورج يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.

13.ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة بمراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م.
14.الخليل بن أحمد، العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.
15.خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو حامد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م.
16.ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود الخضيري، مراجعة محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1985 م.
17.رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
18.روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة عفاف البطاينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2012م.
19.الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1993 م.
20.الزمخشري، الكشاف، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1998 م.
21.سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1992 م.
22.سعيد يقطين، من قضايا التلقي والتأويل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1994 م.
23.ابن سيده، المحكم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 م.
24.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
25.عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط 02، 1986 م.
26.عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دار أمية للنشر، تونس، 1991 م.
27.عبد الملك مرتاض، النص من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م.
28.غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985 م.
29.ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979م.
30.فتح الله أحمد سليمان الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
31.فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية المتحدة، ط 01، 1999م.

32.القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 01، 2006م.
33.كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، لبنان، 1987 م.
34.محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990 م.
35.محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م.
36.محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
37.محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1986 م.
38.ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998 م.
39.نور الدين السد، الأسلوبية والأسلوب وتحليل الخطاب، دار هومه للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر.

المصادر والمراجع العامة

المصادر والمراجع العامة:

القرآن الكريم

1. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط 01، 1997 م.
2. إبراهيم أبراش، النظرية السياسية بين التجريد والممارسة، دار الجندي للنشر والتوزيع، القدس، فلسطين، ط 01، 2012 م.
3. إبراهيم الرماني، مدخل إلى الأسلوبية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.
4. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1990 م.
5. إبراهيم أنيس، الأصوات العربية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر.
6. إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2010 م.
7. إبراهيم زكريا، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر.
8. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي: دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر، ط 01، 2013 م.
9. أحمد الشايب، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 01، 1964 م
10. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات العامة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994 م.
11. أحمد درويش، الأسلوب والأسلوبية، مجلة فصول، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 01، جانفي، 1984 م.
12. أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998م.
13. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط 01، 2001 م.
14. أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
15. أحمد محمد قدور، المدخل إلى فقه اللغة العربية، جامعة حلب، سوريا، 1991 م.
16. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 1996 م.
17. أحمد مطلوب، بحوث لغوية، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 01، 1987 م.
18. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 2005 م.
19. أحمد يوسف، القراءة النسقية: سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2007 م.

20.إدوارد سعيد، العلم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوظ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000 م.
21.أدونيس، الثابت والمتحول "بحث في الإبداع والإتباع عند العرب"، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط07، 1994م.
22.أديث كرزويل، عصر البنيوية "من ليفي شتراوس إلى فوكو"، ترجمة جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد، العراق، 1985 م.
23.الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط 01، 1993 م.
24.ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الكويت، 1963 م.
25.إلهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مدخل إلى علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند، وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1999 م.
26.أماني سليمان داود، الأسلوبية والصوفية: دراسة في شعر الحسين بن منصور الحلاج، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
27.أمبرتو أيكو، المرسلة الشعرية، مجلة الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، العدد، 18، 19، 1982 م.
28.آمنة بن مالك، مجلة الآداب، طرق التعبير عن المعاني النحوية والصرفية، جامعة قسنطينة، العدد 30، 1996 م.
29.أمينة غصن، بنيوية جاكبسون، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد المزدوج 19/18، مارس، 1982 م.
30.ابن الأنباري، الإغراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق سعيد الأفغاني، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، سوريا، 1957 م.
31.ابن الأنباري، لمع الأدلة في أصول النحو، تحقيق أحمد عبد الباسط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 2017 م.
32.ابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء تحقيق: عطية عامر، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 1998 م.
33.أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، وباريس، فرنسا، ط 02، 2001 م.
34.إنريك أندرسون، مناهج النقد الأدبي، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1991 م.
35.أنطوان الدحداح، معجم لغة النحو العربي، مراجعة جورج مثري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 03، 2001 م.

36.إيهاب الملاح، شغف القراءة، دار الرواق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2019 م.
37.بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، العراق، 1985 م.
38.برند شبلنر، علم اللغة والدراسات الأدبية: دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ط 01، 1991م.
39.بسام بركة، معجم اللسانية، منشورات جروس – برس، بيروت، لبنان، 1985 م.
40.أبو البقاء الكفوي، الكليات، تح، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1998م.
41.بول ريكو، من النص إلى الفعل، ترجمة محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 01، 2001 م.
42.بول ريكو، نظرية التأويل "الخطاب وفائض المعنى"، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 2006 م.
43.بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان.
44.تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
45.تمام حسان، الأصول، دار الكتب، القاهرة، مصر، 2000 م.
46.تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1978 م.
47.تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.
48.تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979 م.
49.التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث "مناهجها في البحث"، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008 م.
50.تودوروف، الأدب والدلالة، ترجمة محمد نديم حشفة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا.
51.تودوروف، في أصول الخطاب النقدي، ترجمة أحمد المريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق 1987 م.
52.توفيق الزيدي، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس وليبيا، ط 01، 1984 م.
53.الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح، علي محمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث اللغوي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م .
54.جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، ط 03، 1992م.
55.الجاحظ، البيان والتبين، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 07، 1998 م.

56.جان بياجيه، البنيوية، ترجمة عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، باريس، فرنسا، ط 04، 1985 م.

57.جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة عبد الولي محمد العربي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م.

58.جبور عبد النور، المعجم العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 02، 1984 م.

59.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1973 م.

60.جورج مولينيه، الأسلوبية، ترجمة بسام بركة، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م.

61.جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي، دمشق، سوريا، ط 03.

62.جوزيف ميشال شريم، دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 01، 1999م.

63.جوليا كرستيفا، علم النص، ترجمة فريد الزاهي، بمراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1997 م.

64.جوليان بروان وجورج يول، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.

65.جون ستروك، البنيوية وما بعدها "من ليفي شترواس إلى ديريدا"، ترجمة جابر عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996 م.

66.جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمري ومحمد الوالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1986 م.

67.الجوهري، الصحاح، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان، ط 04، 1990 م.

68.جيرار جينيت، عودة إلى خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، 2000 م.

69.حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م.

70.حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، ليبيا، بيروت، لبنان، ط 01، 2007 م.

71.أبو حامد الغزالي، معيار العلم، تح، سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1960 م.

72.حسام أحمد فرج، نظرية علم النص: رؤية منهجية في بناء النص النثري، تقديم سليمان العطار ومحمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 02، 2009 م.
73.حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1994م.
74.حسن المرصفي، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط 01، 2012 م.
75.حسن ناظم، البنى الأسلوبية: دراسة في أنشودة المطر للسياب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 2002م.
76.حسين المرصفي، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، مصر.
77.حسين الواد، قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، دار سراس للنشر، تونس، 1985 م.
78.حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 01، 2007 م.
79.أبو حيان الأندلسي، الإدراك للسان الأتراك، المطبعة العامرة الشرفية، القاهرة، مصر.
80.الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 03، 1993 م.
81.ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة بمراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع، بيروت، لبنان، 2001 م.
82.الخليل بن أحمد، العين، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.
83.خوسيه ماريا بوثويلو إيفانكوس، في نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد، سلسلة الدراسات النقدية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م.
84.دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1985 م.
85.ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996 م.
86.ديكارت، مقال في المنهج، ترجمة محمود الخضيري، مراجعة محمد مصطفى حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1985 م.
87.رابح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.
88.رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993 م.
89.رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، وعالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

90.الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2008م.
91.رجاء عيد، البحث الأسلوبي "معاصرة وتراث"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
92.رجاء عيد، تحليل الأسلوب والمنهج العلمي لدراسة الأدب، مجلة التربية، قطر، العدد 103، ديسمبر، 1992 م.
93.ابن الرشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق النبوي عبد الواحد شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 01، 2000 م.
94.الرماني، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل "الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني"، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلامة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م.
95.رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 03، 1998 م.
96.روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998 م.
97.روبنز، موجز تاريخ على اللغة في الغرب، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد 227، نوفمبر، 1997 م.
98.روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة عفاف البطاينة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2012م.
99.روجيه غارودي، البنيوية "فلسفة موت الإنسان"، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1985م.
100. رولان بارت، مبادئ في علم الأدلة، ترجمة وتقديم محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط 02، 1987 م.
101. ريفاتير، معايير التحليل الأسلوبي، ترجمة: حميد لحميداني، دار النجاح الجديدة الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1993 م.
102. ريمون طحان، الألسنية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 02، 1981 م.
103. الزبيدي، تاج العروس، تح، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1993 م.
104. زتسيسلاف وأورزنياك، مدخل إلى علم النص مشكلات بناء النص، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2003 م.
105. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، القاهرة، مصر، 1990 م.
106. الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م.

107. الزمخشري، الكشاف، تح، عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1998 م.
108. ستيفن أولمان، اتجاهات جديدة في علم الأسلوب، مقال مترجم من كتاب اتجاهات البحث الأسلوبي لشكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
109. ستيفن أولمان، الأسلوبية وعلم الدلالة، تح محي الدين محسب، دار الهدى للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، 2001 م.
110. سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1992 م.
111. سعد مصلوح، علم الأسلوب والمصارة على المطلوب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05، العدد 03، جويلية، 1985 م.
112. سعد مصلوح، في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة، مجلة الفكر، العدد 02، نوفمبر، 1984م.
113. سعد مصلوح، في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 03، 2002 م.
114. سعد مصلوح، في النقد اللساني: دراسات ومثاقفات في مسائل الخلاف، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 02، 2010 م.
115. سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري، مجلة فصول، المجلد 10، العدد 01، 02، جويلية، 1991م.
116. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط 01، 2004م.
117. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ومؤسسة سوشبريس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1985 م.
118. سعيد يقطين، من قضايا التلقي والتأويل، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1994م.
119. السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 02، 1987 م.
120. سلوم تامر، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 01، 1983 م.
121. سمير شريف، منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العراق، ج 16، 1988 م.

122. سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط 02، 1977 م.
123. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط 01، 2002 م.
124. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2000 م.
125. ابن سينا، العبارة، تح، محمود الخضيري، مراجعة إبراهيم مدكور، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
126. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 03، 2003 م.
127. شفيع السيد، الاتجاه الأسلوبي في النقد الأدبي، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2009 م.
128. شكري الماضي، في نظرية الأدب، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط 01، 1986 م.
129. شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1985 م.
130. شكري عياد، اللغة والإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي، دار أنترناشيونال للطب والنشر، القاهرة، مصر، 1988 م.
131. شكري عياد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992 م.
132. شكري عياد، مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد الأول، العدد الأول، أكتوبر، 1980 م.
133. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02.
134. شوقي علي زهرة، الأسلوب بين عبد القاهر وجون ميري: دراسة مقارنة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1998 م.
135. الشوكاني، فتح القدير، تحقيق يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2007 م
136. صائل رشدي شديد، عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دار الأهلية، عمان، الأردن، ط 01، 2004 م.
137. صلاح فضل، أساليب شعرية معاصرة، دار القباء، القاهرة، مصر، 1998 م.
138. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004 م.
139. صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 01، 1993 م.
140. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 01، 1998 م.

141. طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1985 م.
142. الطاهر روابنية، سوسيولوجيا الأدب وسوسيولوجيا الكتابة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، المجلد 09، العدد 01، أفريل، 2001 م.
143. عاصي ميشال وإميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1987م.
144. عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 01، 2007 م.
145. عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001 م.
146. عبد الرحمن الحاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، جامعة الجزائر، المجلد 1، العدد 2، 1971 م.
147. عبد الرزاق محمد الديلمي، نظريات الاتصال في القرن الحادي والعشرين، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2016 م.
148. عبد السلام السيد حامد، الشكل والدلالة، دار غريب، القاهرة، مصر، 2002 م.
149. عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2009 م.
150. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط 02، 1982 م.
151. عبد السلام المسدي، الأسلوبيّة والنقد الأدبيّ، منتخبات من تعريف الأسلوب وعلم الأسلوب، الثقافة الأجنبيّة، العدد 01، السنة الثانية، 1982 م.
152. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط 02، 1986 م.
153. عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، 2003 م.
154. عبد السلام المسدي، المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين للجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، تونس، 1976 م.
155. عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 01، 1983 م.
156. عبد السلام المسدي، في آليات النقد الأدبي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 01، 1984 م.
157. عبد السلام المسدي، قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون، دار سعاد الصباح، القاهرة، مصر، ط 04، 1993 م.

158. عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دار أمية للنشر، تونس، 1991 م.
159. عبد السلام المسدي، محاولات في الأسلوبية الهيكلية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 03، مارس، 1977 م.
160. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا، 2006 م.
161. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، عمان الأردن، ط 01، 1998 م.
162. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م.
163. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، مصر، ط 03، 1992 م.
164. عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من التشريحية إلى البنيوية "نظرية وتطبيق"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 06، 2006 م.
165. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 04، 2008 م.
166. عبد المالك كاجور، النص الأدبي في ضوء بعض الاتجاهات النقدية الحديثة، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، العدد 11، 1997 م.
167. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي: معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 م.
168. عبد المالك مرتاض، النص من أين؟ وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م.
169. عبد المالك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997 م.
170. عبد المالك مرتاض، مدخل في قراءة الحداثة، مجلة البيان، الكويت، العدد 317، ديسمبر 1996 م.
171. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الحديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ط 01، 2004 م.
172. عبده الراجحي، علم اللغة والنقد الأدبي "علم الأسلوب"، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 01، العدد 02، جانفي، 1981 م.
173. عثمان أبو زنيد، نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 01، 2010 م.

174. عثمان الميلود، شعرية تودروف، دار قرطبة، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990 م.
175. عثمان مقبرش، الخطاب الشعري في ديوان قالت الوردة للشاعر عثمان ولصيف، دار النشر المؤسسة الصحفية بالمسيلة للنشر والتوزيع والاتصال، المسيلة، الجزائر، ط 01، 2011 م.
176. عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، 1980 م.
177. عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1989 م..
178. عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للعلوم، القاهرة، مصر، 2001 م.
179. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، تقديم سليمان العطار، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2007 م.
180. عفيف دمشقية، مجلة الفكر العربي المعاصر، الإبلاغية فرع من الالسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، العدد: 08، 1979 م.
181. علي جعفر العلاق، الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، دار الشروق، عمان، الأردن، ط 01، 2002 م.
182. علي زيعور، مذاهب علم النفس، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط 03.
183. عمر الجميلي، فقه المآلات وقضايا العصر، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2019م.
184. عمران الكبسي، إشكالية الجدل المعرفية بين النقد والأسلوبية، مجلة الأقلام، العدد 11، 12، الأردن، 1993 م.
185. غراهام هوف، الأسلوب والأسلوبية، ترجمة كاظم سعد الدين، دار آفاق، بغداد، العراق، 1985 م.
186. الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1968 م.
187. ابن فارس، المقاييس في اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1979م.
188. فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط 02، 1996 م.
189. فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث "منطلقات وتطبيقات"، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، العراق ط 02، 2000 م.
190. أبو الفتح الشهرستاني، الملل والنحل، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر،1968 م.

191. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2004 م.

192. فتحي عبد الرحمن جروان، تعليم التفكير مفاهيم وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الامارات العربية المتحدة، ط 01، 1999م.

193. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 2010 م.

194. فرحات بدري الحربي، الأسلوبية في النقد العربي الحديث ودراسة تحليل الخطاب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.

195. فريد عوض حيدر، علم الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2005 م.

196. فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة الولي محمد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط 01، 2000 م.

197. فوزي عبد ربه، المقاييس البلاغية عند الجاحظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2005 م.

198. فوزية لعيوس غازي الجبري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 01، 2011 م.

199. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق محمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 08، 2005م.

200. فيصل الأحمر ونبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، دار المعرفة، الجزائر، ط 01، 2009 م.

201. فيلي ساندرس، نحو نظرية أسلوبية لسانية، ترجمة خالد محمود جمعة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط 01، 2003 م.

202. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، 1973 م.

203. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 01، 2006م.

204. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2003 م.

205. كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، ترجمة خالد الأشهب، مراجعة قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2014 م.

206. كلود ليفي شتراوس، الانتروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977 م.
207. كمال أبو ديب، في الشعرية، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، لبنان، 1987 م.
208. كمال بشر، التفكير اللغوي بين القديم والجديد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005 م.
209. لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 01، 1970 م.
210. ليندة قياس، لسانيات النص بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 01، 2009 م.
211. ماري زيادة، اللسانيات وخطاب التحليل النفسي عند "جاك لاكان"، مجلة الفكر العربي المعاصر، ترجمة فاطمة طبال بركة، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، العدد 23، جانفي، 1983 م.
212. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 08، 1998 م.
213. مازن الوعر، الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995 م.
214. ماهر هلال، رؤي بلاغية في النقد والأسلوبية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، 2007م.
215. مجدي فرج، القراءة النصية في الأدب والفن، دار الكتاب الحديث، الجزائر، ط 01، 2008 م.
216. مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
217. مجموعة باحثين، اتجاهات البحث الأسلوبي، اختيار وترجمة وإضافة شكري محمد عياد، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1985 م.
218. محسن علي عطية، اللغة العربية: مستوياتها وتطبيقاتها، دار المناهج للنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2007 م.
219. محمد إسماعيل بصل، نحو نظريةٍ لسانيةٍ مسرحيةٍ، دار الينابيع للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 1996 م.
220. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، 2008 م.
221. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 1999 م.
222. محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ط 01، 1999 م.

223. محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1990م.
224. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة: مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 2006 م.
225. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العالي، بيروت، لبنان، ط 01، 1991 م.
226. محمد سليمان، ظواهر أسلوبية في شعر ممدوح عدوان، مكتبة يازوري، عمان، الأردن، 2007 م.
227. محمد عباس، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني: دراسة مقارنة، دار الفكر المعاصر دمشق، سوريا، ودار الفكر، بيروت، لبنان، 1999 م.
228. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، مصر، ط 01، 1994 م.
229. محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 02، 1995 م.
230. محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط 01، 1995م.
231. محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط 01، 1992 م.
232. محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا، مطبوعات وزارة الثقافة السورية، دمشق، سوريا، ط 01، 1989 م.
233. محمد عزام، المستويات الدراسة الألسنية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، سوريا، العدد 249، 1992 م.
234. محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح، علي دحروج بمراجعة رفيق العجم، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
235. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مطبوعات نهضة مصر، القاهرة، مصر، 1997 م.
236. محمد فكري الجزار، لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحدثة، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 02، 2002 م.
237. محمد مشبال، البلاغة ومقولة الجنس الأدبي، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 30، العدد 01، جويلية، 2001 م.
238. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1996 م.
239. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 02، 1986 م.

240. محمود حجازي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات والبحث العلمي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1973 م.

241. محمود حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار القباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007 م.

242. مسعود بودوخة وآخرون، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2017 م.

243. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مطبعة المقتطف والمقطم، القاهرة، مصر، ط 03، 1928 م.

244. مصطفى وهبي التل، عشيات وادي اليابس: ديوان مصطفى وهبي التل، تح: زياد صالح الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1998 م.

245. معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي "بين التأصيل والتنظير والتطبيق"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 01، 2007 م.

246. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 01، 2002 م.

247. منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1990 م.

248. ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1998 م.

249. موريس أبو ناضر، الألسنية والنقد الأدبي النظرية والتطبيق، دار النهار العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 1979 م.

250. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية، ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006 م.

251. موسى ربابعية، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002 م.

252. ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، باريس، فرنسا، ط 01، 1981 م.

253. ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 02، 1983 م.

254. ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد الله مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، ط 02، 2000 م.

255. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 02، 2009 م.

256. نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى جواد باقر، مطابع جامعة الموصل، العراق.
257. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب "دراسة في النقد العربي الحديث الخطاب الشعري والسردي"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 01، 2005 م.
258. نيكولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة محمود عودة وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980 م.
259. الهادي الجطلاوي، مدخل إلى الأسلوبية تنظيرا وتطبيقا، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب.
260. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 01، 2007 م.
261. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 01، 1971 م.
262. هند حسين طه، النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، 1981 م.
263. هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، ترجمة محمد العمري، منشورات دراسات ساك، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989 م.
264. يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد 20، العدد 03، ديسمبر، 1989 م.
265. يمنى العيد، في معرفة النص: دراسات في النقد الأدبي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 01، 1999 م.
266. يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 01، 2007 م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحاضرة الأولى.....15/02

المحاضرة الثانية.....28/17

المحاضرة الثالثة.....43/30

المحاضرة الرابعة 54/45

المحاضرة الخامسة.....66/56

المحاضرة السادسة.....77/68

المحاضرة السابعة.....90/79

المحاضرة الثامنة.....110/92

المحاضرة التاسعة.....121/112

المحاضرة العاشرة.....134/123

المحاضرة الحادية عشرة.....144/136

المحاضرة الثانية عشرة.....156/146

المحاضرة الثالثة عشرة.....169/159

المحاضرة الرابعة عشرة..... 185/171

المصادر والمراجع العامة..... .....202/187